السهل المفيد

فى

التوحيد ونواقضه

سعيد رمضان بن علي صالح

مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا كما أمر ، نشكره سبحانه وتعالى وقد تأذن بالزيادة لمن شكر.
والصلاة والسلام على النبى الشافع المشفع يوم المحشر.
وعلى آله وصحبه السادة الغرر.

وبعد

فإن معرفة الله بالتوحيد ، من أول الواجبات ، وأول دعوة المرسلين، وأول ما يحاسب عليه ، يوم القيامة. ففيه الخصومة ، بين الله وعباده ، ومن أجله، تنصب الموازين، ويضرب الصراط على شفير جهنم ، وتزلف الجنان، وتسعر النيران.
ومن أجله خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب ، وخلقت الجنة والنار وكان الحساب والعقاب.
ومن أجله قامت الدعوة والجهاد، وأريقت دماء وقطعت رقاب وذهبت أموال. فلا شيء فى الدين إلا وهو دونه ، فهو يتقدم التكاليف كلها ولا يتقدم عليه تكليف.
فإن أتى به العبد ربه يوم القيامة فقد فاز ونجا وإن أتى بغيره فقد خاب وهلك.
ذلك أنه حق الله على العبيد ، فواجب على العبد ، ألا يتوانى فى طلبه ، ولا يدخر جهدا ، ولا تسكن جوارحه ، أو تنام عينه ، أو يقر قراره، حتى يتعلم مسائله، ويتقن مداخله ومخارجه. ويعرف مواطن الزلل، ومواضع الشبهات فيه.
فالمُعرض عنه ، أو الجاهل فيه ، كافر كالمعاند ، سواء بسواء.
قال ابن منده فى كتابه " التوحيد ":
" ذكر الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله، - عز وجل - ووحدانيته كالمعاند:قال الله تعالى مخبرا عن ضلالتهم ومعاندتهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٤] ". انتهى
فكيف ينشغل طالب النجاة عنه، أو يجتهد فى غيره، قبل أن يتقنه ويتيقنه ؟؟
ولأن الحاجة ماسة لتعلمه، ولأنه أول طريق الفلاح وأخره، ولأن الجهالة به عامة، استعنت بالله ، فى تسطير هذا السفر، شارحا فيه أقسامه، وبينت نواقضه المختصة بهذه الأقسام ، ملتزما عقيدة أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية ، محذرا مما عم وطم من مظاهر الشرك المعاصر بصفة خاصة ، وغيره بصفة عامة .
راعيت فيه سهولة العرض والعبارة ، وعدم التطويل الممل ، أو التقصير المخل .
وجعلت هذا السفر صدقة جارية ، يطبعه من شاء ، على ألا يزيد فيه أو ينقص منه شيئا.
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول

أقسام التوحيد

الفصل الأول : تعريف التوحيد وذكر أقسامه وفضائله

الفصل الثانى : توحيد الربوبية

الفصل الثالث : توحيد الإلوهية

الفصل الرابع : توحيد الأسماء والصفات

الفصل الأول

تعريف التوحيد وذكر أقسامه وفضائله

الفصل الأول

تعريف التوحيد وذكر أقسامه وفضائله

تعريف التوحيد:

" التوحيد فى اللغة: مشتق من وحد الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وحد يوحد أى جعل الشىء شيئا واحداً.
وفى الشرع : إفراد الله - سبحانه- بما يختص به من الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات". ([1])
بمعنى نفى الكفء والمثل عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ونفى الشريك فى ربوبيته وعبادته - عز وجل -.
قال تعالى فى نفى الكفء: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١ - ٤]
وقال فى نفى الشريك فى الربوبية:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].
وقال فى نفى الشريك فى العبادة: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]
وقال سبحانه أيضا: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢ - ١٦٣]

فضائل التوحيد :

والتوحيد له فضائل كثيرة منها :

*** من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب :**

قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]. " ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ﴾ أي: يخلطوا ﴿ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء ، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم ، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً ، لا بشرك ، ولا بمعاص ، حصل لهم الأمن التام ، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ، ولكنهم يعملون السيئات ، حصل لهم أصل الهداية ، وأصل الأمن ، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة ، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء. ([2])
وعن عمران قال قال نبى الله ﷺ :" يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ". قالوا ومن هم يا رسول الله قال:" هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم

---

[1]- القول المفيد فى شرح كتاب التوحيد:٢١. الشيخ محمد بن صالح العثيمين. ط / دار المستقبل
[2]- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان :٣٢١/١ ، عبد الرحمن بن ناصر السعدى . ط / دار ابن الجوزى

يتوكلون ". فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم. قال:" أنت منهم ".قال فقام رجل فقال يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم. قال: " سبقك بها عكاشة "(١)
فهؤلاء السبعون ألفا ، لم تقع لهم مشقة يوم الحساب ، وذلك أنهم حققوا التوحيد بكماله .
وتحقيق التوحيد: تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ، ومن البدع القولية الاعتقادية ، والبدع الفعلية العملية ، ومن المعاصي ، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات ، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله ، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد ، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره . فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص ، وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله ولم يجرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي ، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب ، ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها .
ومن أخص ما يدخل في تحقيقه : كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه ، ولا يستشرف إليهم بقلبه ، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله ، بل يكون ظاهره وباطنه ، وأقواله وأفعاله ، وحبه وبغضه ، وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله ، متبعاً فيها رسول الله ﷺ.
والناس في هذا المقام العظيم درجات : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام :١٣٢]
وليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق ، ولا بالحِلى العاطلة وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان وصدقته الأخلاق الجميلة ، والأعمال الصالحة الجليلة .(٢)
وعن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ". وعند مسلم بلفظ : " من أبواب الجنة الثمانية ، أيها شاء ".(٣)

*** من حقق التوحيد فهو أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ :**

عن أبي هريرة ﷺأنه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : " لقد ظننت - يا أبا هريرة - أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد

---

1 - متفق عليه : البخارى ، كتاب الرقاق ، (باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب)
ص:٧٨٤ ح :٦٥٤١. ط / دار ابن حزم ، ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى .
مسلم ، ص(٦٤) ح (٢١٨) ط / دار ابن الجوزى .
2 - القول السديد شرح كتاب التوحيد : محمد بن عبد الوهاب :٢٠
ط / وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالسعودية .
3 - متفق عليه : البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء : باب قوله : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ....} [النساء:١٧١] ص: ٤١٨ ح : ٣٤٣٥.
مسلم : كتاب الإيمان (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا)
ص : ٢٢ ح : ٢٨

أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه " (١)

*** التوحيد عصمة للمال والدم :**

دماء البشر عند الله ، ليسوا سواء . فدم الموحد أعظم حرمة عند الله من البيت الحرام ، أما المشرك فلا حرمة لدمه ولا مقدار .

وقد أرسل الله رسوله وأنزل كتابه بإهدار دم المشركين ، فما أهون هذه الدماء وأرخصها عند الله العزيز الحكيم .

عن أبي مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله ".(٢)

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله " (٣)

*** التوحيد عصمة من الخلود فى النار:**

نصيب العباد من الإيمان (٤) ، متفاوت ، فهذا مقل وهذا مكثر . إلا أن الذرة والخردلة من الإيمان ، مع سلامة التوحيد ، كافية فى إخراج صاحبها من النار بعد دخولها . ولولا التوحيد ، ما خرج من النار ؛ فما أعظم هذا التوحيد .

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير " (٥)

*** التوحيد أثقل الأعمال فى ميزان العبد :**

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشرعليه تسعة وتسعين سجلاً،كل سجل مثل مد البصر،ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً،أظلمك كتبتي الحافظون فيقول: لا يا رب، فيقول أفلك عذر فقال: لا يا رب ،فيقول الله تعالى :بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتُخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد

---

1 - البخارى : كتاب الرقاق (باب صفة الجنة والنار) ص (٧٨٦) ح (٦٥٧٠)

2 - مسلم : كتاب الإيمان (باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) ص (٢١) ح (٢٣) .

3 - البخارى : كتاب الإيمان {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ } [التوبة:٥] .ص (١٢) ح (٢٥).
مسلم : كتاب الإيمان (باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) ص (٢١) ح (٢٢)

4 - الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والمقصود هنا أن أقل الأعمال الصالحة ، مع سلامة التوحيد ، تنجى من الخلود فى النار

5 - متفق عليه : البخارى: كتاب الإيمان (باب زيادة الإيمان ونقصانه) ص : ١٤ ح : ٤٤ .
مسلم كتاب الإيمان (باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ص:٥٨-٥٩ ، ح : ١٩٣م

أن محمداً عبده ورسوله ،فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء".([1])

*** كلمة التوحيد أفضل الذكر:**

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " من قال لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . فى يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت لـه حرزا من الشيطان يومه ذلك ، حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء بـه إلا رجل عمل أكثر منه ".([2])

*** التوحيد من أعظم أسباب المغفرة :**

وعن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ "يقول الله ﷻ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة .([3])

*** من أحب التوحيد أحبه الله :**

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته، فيختم ب ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال :" سلوه لأى شيء يصنع ذلك " . فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبى ﷺ :" أخبروه أن الله يحبه ". ([4])

وقال السعدى :" وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة ، والفضائل المتنوعة ، مثل التوحيد فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله . فإن مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثاره .

ومن فضائله : أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما

ومن أجل فوائده أنه يمنع الخلود في النار . إذا كان في القلب منه مثقال حبة خردل . وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية .

ومنها : أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة .

ومنها : أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه ، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه .

ومن أعظم فضائله : أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها

---

1 - رواه الترمذى :كتاب الإيمان (باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله): ٢٥/٢، ح : ٢٦٣٩ .، ط / المكتبة الثقافية . بيروت – لبنان .
وصححه فى السلسلة الصحيحة- محمد ناصر الدين الألبانى ، برقم : ١٣٥

2 - البخارى : كتاب الدعوات (باب فضل التهليل) ص:٧٧٠، ح :٦٤٠٣

3 - مسلم :كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار(باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى) ص : ٦٣٠ ح : ٢٦٨٧

4 - البخارى :كتاب التوحيد(باب ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى) ص:٨٧٧ ، ح : ٧٣٧٥ . ، مسلم : كتاب صلاة المسافرين وتقصيرها (باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) ص : ١٨١، ح : ٨١٣

وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد ، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.
ومن فضائله : أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات ، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي ، لما يخشى من سخطه وعقابه .

ومنها : أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ، وجعله من الراشدين .
ومنها : أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام بحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان ، وتلقيه المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة .

ومن أعظم فضائله : أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم ، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي . ويكون مع ذلك متألها متعبداً لله ، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه ، ولا ينيب إلا إليه ، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه .

ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء : أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملاً بالإخلاص التام فإنه يُصيّر القليل من عمله كثيراً ، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب ، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمارها من جميع خلق الله كما في حديث أبي سعيد ([1]) ، وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلاً من الذنوب ، كل سجل يبلغ مد البصر . وذلك لكمال إخلاص قائلها ، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ ، لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد .
ومن فضائل التوحيد : أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال .
ومنها : أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة ، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره ، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة والله أعلم".(٢)

1 - قال موسى: يا رب علمنى شيئا أذكرك به وأدعوك به قال : يا موسى قل لا إله إلا الله قال : يا رب كل عبادك يقول هذا قال: قل لا إله إلا الله قال : لا إله إلا أنت يا رب إنما أريد شيئا تخصنى به قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهم لا إله إلا الله .
(أبو يعلى ، والحكيم ، وابن حبان ، والحاكم ، وأبو نعيم ، والبيهقى فى الأسماء ، والضياء عن أبى سعيد)، وضعفه الألبانى ، فى " ضعيف الترغيب والترهيب" برقم : ٩٢٣ .
2 - القول السديد شرح كتاب التوحيد : ٥٦- ٦٥

أقسام التوحيد :

١- توحيد الربوبية . ٢- توحيد الإلوهية . ٣- توحيد الأسماء والصفات.

وهذا التقسيم ليس مقصوداً لذاته وإنما هو من باب الإفهام والتعليم فقط . وإلا فالتوحيد لا يقسم ، وما لم تكتمل دائرته وجوانبه لا يسمى توحيدا . فالحصول على ثلثى التوحيد أو أكثر دون الباقى لا يسمى توحيداً ، ولا يسمى صاحبه موحداً.



الفصل الثانى

توحيد الربوبية

الفصل الثانى

توحيد الربوبية

معنى الربوبية :

قال ابن منظور :" اللّه ﷻ هو رَبُّ كلِّ شيءٍ :أي مالكُه وله الرُّبوبيَّة على جميع الخَلْق لا شريك له وهو رَبُّ الأَرْبابِ ومالِكُ المُلوكِ والأَمْلاكِ ....وربُّ كلِّ شيءٍ مالِكُه ومُسْتَحِقُّه وقيل صاحبُه ويقال فلانٌ رَبُّ هذا الشيءِ أي مِلْكُه له وكُلُّ مَنْ مَلَك شيئاً فهو رَبُّه.
يقال هو رَبُّ الدابةِ ورَبُّ الدارِ وفلانٌ رَبُّ البيتِ........ وفي حديث أشراط الساعة وأن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّها أو رَبَّتَها .فالرَّبُّ يُطْلَق في اللغة على المالكِ والسَّيِّدِ والمُدَبِّر والمُرَبِّي والقَيِّمِ والمُنْعِمِ.ولا يُطلَق غيرَ مُضافٍ إلاّ على اللّه ﷻ وإذا أُطْلِق على غيره أُضِيفَ فقيلَ ربُّ كذا ".(1)

فربنا سبحانه " هو المربي جميع العالمين - وهم من سوى الله- بخلقه إياهم وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء.
فما بهم من نعمة، فمنه تعالى .
وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة و خاصة.
فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم ، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.
والخاصة: تربيته لأوليائه ، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه ، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر.
ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب.
فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة "(٢)

فالرب إذاً : هو المالك والسيد والمربى والقيم والمنعم والمدبر المتصرف .

معانى توحيد الربوبية :

إذا معانى توحيد الربوبية تدور على إفراد الله ﷻ بالخلق والرزق والتدبير والملك والملك التام ، والحكم بنوعيه ، القدرى والتشريعى .

---

1 - لسان العرب : ١٥٤٦/١ (باب ربب) . ط / دار المعارف . بتصرف
2 - تيسير الكريم الرحمن: ٢١/١

إفراد الله بالخلق

خلق الله السماوات والأرض والليل والنهار والأنهار والجبال والثمار:

قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد:٣] .

وقال: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس:٣٧].

وقال:﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل :١١] .

وخلق الملائكة والجان والإنسان :

قال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر:٢٦-٢٧]

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: " خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم ".[1]

وخلق الدواب :

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام:٣٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥] .

وقال: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية:١٧].

وخلق الأحوال :

خلق الليل والنهار، قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [الأنبياء:٣٣]

وخلق الحر والبرد ،قال تعالى:﴿ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر:٢١]

وخلق الظلمات والنور، قال تعالى:﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١]

وخلق الرعد والصواعق ، قال تعالى:﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء ﴾ [الرعد:١٣]

خلق النوم واليقظة قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٤٧]

وخلق الموت والحياة ، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك :٢]

وخلق السمع والبصر: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ [الملك:٢٣]

1- رواه مسلم : كتاب الزهد والرقاق (باب فى أحاديث متفرقة). ص(٦٩٥)ح (٢٩٩٦)

وخلق الكلام واللغات وخلق الأصوات :

قال تعالى: ﴿ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:٢٢]

وخلق الشفاء والمرض ، وخلق الفهم والغباء :

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]

قال تعالى:﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء ﴾ [البقرة:٢٦٩]

وقال:﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة :١٠٣]

وخلق الضحك والبكاء ، وخلق القوة والضعف :

قال تعالى:﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [النجم:٤٣]

قال تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء ﴾ [الروم :٥٤]

وخلق الله الحب والبغض والسعادة والشقاء والرضى والسخط والأمن والخوف والسكينة والفزع والعلم والجهل وخلق الألوان وخلق الطعم والمذاق ،وخلق الرفق والحلم والأناة وخلق الغلظة والعجلة والجزع .....إلخ .

الله منفرد بالخلق وحده سبحانه :

قال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [البقرة:٢٩]

وقال :﴿ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦]

وقال:﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر:٣]

وقال :﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [لقمان:١١]

وقال:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

فالله وحده هو الخالق ، وكل ما سواه مخلوق



إفراد الله بالرزق

الله سبحانه هو مصدر الرزق الوحيد لجميع الخلق:

قال تعالى :﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [سبأ: ٢٤]
وقال:﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود:٦]
" أي : جميع ما دب على وجه الأرض ، من آدمي ، أوحيوان بري أو بحري ، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها على الله ".([1])

وقال سبحانه :﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [البقرة: ٢٩]
وقال سبحانه:﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨]

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان:٢٠]

قال ابن كثير" يقول تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إياها لهم سقفا محفوظا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإزاحة الشبَه والعلل".([2])
وقال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ [الحج:٦٥]
وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:١٤].

" أي : هو وحده لا شريك له ﴿ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾ وهيأه لمنافعكم المتنوعة.
﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ وهو السمك والحوت الذي يصطادونه منه ، ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ فتزيدكم جمالا وحسنا إلى حسنكم ، ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ أي: السفن والمراكب ﴿ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ أي : تمْخُر في البحر العَجاج الهائل بمقدمها حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي يطلبون بها الأرزاق وفضل الله عليهم ".([3])

وقال تعالى:﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل:٧٢].

" يخبر تعالى عن منته العظيمة على عباده ، حيث جعل لهم أزواجا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولادا تقرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم ، ويقضون حوائجهم ،

1- تيسير الكريم الرحمن : ٤٦٩/١
2- تفسير ابن كثير : الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى أبو الفداء : ٤٥٠/٣.
ط / دار الفكر العربى
3- تيسير الكريم الرحمن : ٥٤٧/١

وينتفعون بهم من وجوه كثيرة ، ورزقهم من الطيبات من جميع المآكل والمشارب ، والنعم الظاهرة التي لا يقدر العباد أن يحصوها ".([1])

قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [غافر: ٧٩،٨٠]

" يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة من الإنعام، منها: منافع الركوب عليها، والحمل. ومنها: منافع الأكل من لحومها، والشرب من ألبانها. ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة، من أصوافها، وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع.﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ من الوصول إلى الأوطان البعيدة، وحصول السرور بها، والفرح عند أهلها. { وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ أي: على الرواحل البرية، والفلك البحرية، يحملكم الله الذي سخرها، وهيأ لها ما هيأ، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها ".([2])

وقال سبحانه :﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون:٢١]

وقال أيضا: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل:٦٦،٦٧]

قال السعدى : " ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ ﴾ التي سخرها الله لمنافعكم ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ تستدلون بها على كمال قدرة الله وسعة إحسانه حيث أسقاكم من بطونها المشتملة على الفرث والدم، فأخرج من بين ذلك لبنا خالصا من الكدر سائغا للشاربين للذته ولأنه يسقي ويغذي، فهل هذه إلا قدرة إلهية لا أمور طبيعية.

فأي شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح لبنا خالصا سائغا للشاربين؟.

وجعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد ، ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد طريًّا ونضيجا وحاضرا ومدخرا وطعاما وشرابا يتخذ من عصيرها ونبيذها ، ومن السَّكَر الذي كان حلالا قبل ذلك ، ثم إن الله نسخ حلَّ المُسكرات، وأعاض عنها بالطيبات من الأنبذة، وأنواع الأشربة اللذيذة المباحة".([3])

يبسط الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء :

قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٣٠] .

فى الآية " إخبار أنه تعالى هو الرزاق ، القابض الباسط ، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء ، ويفقر من يشاء ، بما له في ذلك من الحكمة ؛ ولهذا قال:

---

[1]- المصدر السابق : ٥٥٦/١-٥٥٧

[2]- المصدر السابق : ٩٤٣/٢

[3]- تيسير الكريم الرحمن : ٥٥٥/١-٥٥٦

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر ".([1])

الله يرزق الضعفاء والعجزة كما يرزق الأقوياء والقادرين :

قال تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٦٠] .

"....أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم (أى المهاجرون) بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار؛ ولهذا قال: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئًا لغد، ﴿ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ } أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه ، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦] ".([2])
وعن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو أنكم تتوكلون على الله حق وتوكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً ".([3])
وعن أنسٍ ﷺ قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ، وكان أحدهما يأتي النبي ﷺ، والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه للنبي ﷺ فقال: لعلك ترزق به ".([4])
فالله وحده هو الرزاق وكل ما سواه مرزوق



1- تفسير ابن كثير : ٣٨/٣ بتصرف
2- المصدر السابق : ٤٢٠/٣
3- رواه الترمذى : كتاب الزهد (باب فى التوكل على الله) ٤٩٥/٤. ح : ٢٣٤٤، وقال حديث حسن . وصححه الألبانى فى " الصحيحة " برقم : ٣١٠
4- رواه الترمذى: كتاب الزهد (باب فى التوكل على الله) ٤٩٦/٤ . ح : ٢٣٤٥ وقال: حديث حسن . وصححه الألبانى فى " الصحيحة " برقم : ٢٧٦٩

إفراد الله بالتدبير

في كل لحظة ولمحة تجرى في الكون أحداثا لا عد لها ولا حصر .
سلم وحرب ، هزيمة ونصر ، حياة وموت ، مرض وشفاء ، سعادة وشقاء ، كسر وجبر ، يقظة ونوم ، سفر وعودة ، حر وبرد ، مطر وجفاف ، نهار وليل ، شمس وقمر ، سيل وإعصار ، بركان وزلزال ، زرع وحصاد ، شراء وبيع ، طيران وهبوط ، حركة وسكون ، ربح وخسارة ، هلاك ونجاة ، نجاح ورسوب......إلخ.
والله سبحانه وحده هو المدبر لكل هذه الحوادث والمتصرف فيها.

الله وحده المدبر لشئون الخلق :

قال تعالى:﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]
قال ابن كثير: " أي: أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير، تعالى وتقدس." ([1])

وقال السعدى : " وهذا يشمل الحكم الكوني القدري ، والحكم الشرعي الديني ، فإنه الحاكم في خلقه قضاء وقدراً ، وخلقا وتدبيراً ، والحاكم فيهم ، بأمره ونهيه ، وثوابه وعقابه." ([2])

وقال تعالى:﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [السجدة:٥]
﴿ يُدَبِّرُ الأمْرَ ﴾ القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير ﴿ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأرْضِ ﴾ فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعِزُّ، ويُذِلُّ، ويُكرمُ، ويُهينُ، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويُنزل الأرزاق".([3])

وقال تعالى :﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء:١١١] .

قال ابن كثير:" ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ أي: ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير، بل هو تعالى [شأنه] خالق الأشياء وحده لا شريك له، ومقدرها ومدبرها بمشيئته وحده لا شريك له.
قال مجاهد في قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ لم يحالف أحدًا ولا يبتغي نصر أحد.﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ أي: عظّمه وأجِلّه عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا".([4])

وقال تعالى:﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣].
قال السعدى:" ﴿ يُدَبِّرُ الأمْرَ ﴾ في العالم العلوي والسفلي من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة

1- تفسير ابن كثير: ٨٠/٣
2 - تيسير الكريم الرحمن : ٥٩٦/١
3- المصدر السابق : ٨٢٩/٢
4- تفسير ابن كثير : ٦٩/٣

سؤال السائلين.
فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مذعنون لعزه خاضعون لعظمته وسلطانه ".([1])

وقال رسول الله ﷺ : " إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ".(٢)

تدبيره سبحانه شئون الأفلاك :

قال تعالى :﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الشورى:١٢].
وقال:﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ [الأعراف:٥٤] .
وقال:﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] .
وقال :﴿ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا ﴾ [يونس:٢٤]

تدبيره سبحانه الليل والنهار :

وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم : ٣٣]
وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَكُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٢٩]
وقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص:٧١-٧٢]

تدبيره سبحانه الهواء والماء :

وقال :﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٥٧] .
وقال:﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر:٢٢]
وقال:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١٨].
وقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [الملك:٣٠]

1- تيسير الكريم الرحمن : ٤٤٥/١
[2] - سنن ابن ماجه : أبوعبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، وماجة اسم أبيه يزيد: المقدمة " باب ما أنكرت الجهمية " (٧٠/١) ح (١٩٥) . ط / دار إحياء الكتب العربية.
وصححه الألبانى فى " صحيح ابن ماجه " ١/ ٨٣-٨٤ . ح : ١٦٢. ط / مكتبة المعارف

تدبيره سبحانه شئون الإنسان :

دبر الله نشأت الإنسان وموته :

قال سبحانه :﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢:١٤]

وقال:﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ [الحج:٥].

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر:١١]

ودبر له طعامه وشرابه ونومه ووسائل نقله :

قال تعالى :﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل :٥- ١٤]

وقال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ [إبراهيم:٣٢]

الكون كله خاضع لتدبيره سبحانه :

وما ذكرنا إلا مثلا ، فالكون كله تحت تدبيره سبحانه ، يصرفه كيف يشاء ، ويحكم فيه ما أراد ، ولا يكن فى الكون أمرا ، إلا ما قضاه سبحانه وحده بلا شريك .

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]

وقال : ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣] .

وقال : ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣] .



إفراد الله بالمِلك والمُلك

معنى المِلكُ والمُلك :

قال ابن منظور :" كل من يَمْلِك فهو مالك ... مالك الدراهم ومالك الثوب ومالكُ يوم الدين يَمْلِكُ إقامة يوم الدين ،ومنه قوله تعالى : مالِكُ المُلْكِ ...

وأما مَلِكُ الناس وسيد الناس ورب الناس فإنه أراد أفضل من هؤلاء ولم يريد أنه يملك هؤلاء ....

والمُلْكُ معروف وهو يذكر ويؤنث كالسُّلْطان ومُلْكُ الله تعالى ومَلَكُوته سلطانه وعظمته ، ولفلان مَلَكُوتُ العراق أي عزه وسلطانه ومُلْكه ...

والمَلِكُ والمَلِيكُ والمالِكُ ذو المُلْكِ ...

وجمع المَلْكِ مُلوك ، وجمع المَلِك أمْلاك وجمع المَلِيك مُلكاء وجمع المالِكِ مُلَّكٌ ومُلاَّك ".([1])

لله وحده المِلك والمُلك التام المطلق

فغير الله مِلكه ومُلكه محدود ، زمانا ومكانا ، كمية وكيفية .

فقد يَملك العبد أرضا أو عقارا أو مالا ، لكنه بالطبع يستحيل أن تجد من يَملك دولة فضلا ، عن كونه يَملك قارة ، أو بحرًا ، أو محيطاً ، أو شمسا ، أو قمرا ....إلخ

وقد يكون مَلِكا على مصر من الأمصار ، أو مجموعة منها ، ولكن ويندر أن يكون مَلِكا على قارة كاملة ، فضلا عن يكون مَلِكا على الأرض ، فما فوقها من الأفلاك .

ثم المِلك والمُلك قد يُسلب منه ، أو يموت هو ويتركه لغيره ، ولا بد من ذلك .

أما ربنا سبحانه ، فهو المَالك لكل ما سواه ، منذ النشأة ، وإلى الأبد .

وهو سبحانه مَلِكٌ على جميع الحلق من الأزل للأبد أيضا .

وهو سبحانه لا يُنازع فى مِلكه أو مُلكه ، وهو حى لا يموت ، فله ميراث السماوات والأرض .

قال سبحانه : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]

وقال تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٨٣]

قال السعدى : " فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية ".([2])

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧]

قال السعدى:" يقول الله لنبيه ﷺ :﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ أي: أنت الملك المالك لجميع الممالك، فصفة الملك المطلق لك، والمملكة كلها علويها وسفليها لك

---

[1] - لسان العرب : باب (ملك) .

[2] - تيسير الكريم الرحمن : ٨٨٧/٢

والتصريف والتدبير كله لك، ثم فصل بعض التصاريف التي انفرد الباري تعالى بها ، فقال: ﴿ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ ".([1])

وقال: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم:٩٣]

الله يملك المعانى والأحوال ، كما يملك المبانى :

الله سبحانه وتعالى ، يملك المعانى كما يملك المبانى ، وهو سبحانه ملك عليها أيضا. فهو يملك السمع والبصر والفهم والكلام والليل والنهار والحر والبرد ، الليل والنهار والأمن والخوف...إلخ

ثم هو بعد ذلك ملكا وحاكما لكل هذه المعانى ، فيهبها من يشاء ، كيف شاء ، ويمنعها من يشاء ، كيف شاء .

قال تعالى:﴿ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ﴾ [يونس:٣١] .

وقال:﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة :٢٦٩]

وقال:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥]

وقال:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢]

وقال: ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ [الأنفال:١٢]

وقال: ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦-٢٧]

وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم : ٣٣]

وقال: { وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٠]

وقال:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص:٧١-٧٣]

وقال: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس:٣٧-٤٠].

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن :١٤٢/١

الله سبحانه منفرد بالملك والملك وحده:

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء:١١١]

وقال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١]



إفراد اللّه بالحكم

بيان إنفراد الله بالحكم وأنه قسمين :

الحكم يقصد به ، الحكم القدرى ، والحكم التشريعى ، والله سبحانه منفرد بالحكم بنوعيه .

فالقدر يجرى بأمره وحده سبحانه ، وكذلك الأحكام الشرعية - حق التحليل والتحريم - له وحده بلا شريك .

فلا قدرة لمخلوق أن يتدخل فى تقديره سبحانه ، ولا يحل لمخلوق أن يشرع حكما من دونه سبحانه ، لمجرد أنه مخلوق .

قال تعالى:﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]

" أي: لـه الخلـق الـذي صـدرت عنـه جميـع المخلوقـات علويهـا وسـفليها ، أعيانهـا وأوصـافها وأفعالهـا والأمـر المتضمن للشرائع والنبـوات، فـالخلق: يتضمن أحكامـه الكونية القدرية ، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية "([1])

قال تعالى :﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ ﴾ [يوسف :٤٠]

قـال ابـن كثيـر:" أخبـرهم أن الحكـم والتصـرف والمشيئة والملـك كلّـه لله ، وقـد أمـر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه".([2])

وقال السعدى:" لأن الحكم لله وحده، فهو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع، ويسن الأحكام ".([3])

وقال تعالى:﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٦]

" وهذا يشمل الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحـاكم فـي خلقـه، قضـاء وقدرا، وخلقا وتدبيرا، والحاكم فيهم، بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه "([4])

أولا : الحكم القدرى (القضاء والقدر)

معنى القضاء والقدر فى اللغة :

قال ابن منظور : " القَضاء الحُكْم . وأَصله قَضايٌ لأَنه من قَضَيْت ...

قال أَهل الحجاز: القاضي معناه في اللغة القاطِع للأُمور المُحكِم لها ...

والقَضايا الأَحكام واحدتها قَضِيَّةٌ ...

وقَضاء الشيء إِحْكامُه وإِمْضاؤُه والفراغ منه ؛ فيكون بمعنى الخَلْق .

وقال الزهري : القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إِلى انقطاع الشيء وتمامه وكلُّ ما أُحْكِم عمله أَو أُتِمَّ أَو خُتِمَ أَو أُدِّيَ أَداء أَو أُوجِبَ أَو أُعْلِمَ أَو أُنْفِذَ أَو أُمْضِيَ فقد قُضِيَ ...

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن : ٣٥٨/١

[2] - تفسير ابن كثير : ٤٧٩/٢

[3] - تيسير الكريم الرحمن : ٤٩٧/١

[4] - المصدر السابق : ٥٩٦/١

فالقَضاء والقَدَرُ أمران مُتَلازمان لا يَنْفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القَدر ؛ والآخر بمنزلة البناء وهو القَضاء ؛ فمن رام الفَصْل بينهما فقد رام هَدْمَ البناء ونَقْضه .

وقَضَى الشيءَ قَضاء صنَعه وقَدَّره . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ . أي فخلقهن وعَمِلهن وصنعهن وقطَعَهن وأحكم خلقهن "([1])

وقال : " القَدِيرُ والقادِرُ من صفات الله ﷻ يكونان من القُدْرَة ويكونان من التقدير.....

القَدْرُ : والقَدَرُ القضاء والحُكْم ؛ وهو ما يُقَدِّره الله ﷻ من القضاء ويحكم به من الأمور.

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أي : الحُكْم .....

والقَدَرُ كالقَدْرِ وجَمْعُهما جميعاً أقْدار......

قال أبو منصور: وتقدير الله الخلق تيسيره كلاًّ منهم لما علم أنهم صائرون إليه من السعادة والشقاء ؛ وذلك أنه علم منهم قبل خلقه إياهم ؛ فكتب علمه الأزليّ السابق فيهم وقَدَّره تقديراً وقَدَرَ الله عليه ذلك يَقْدُرُه ويَقْدِرُه قَدْراً وقَدَراً وقَدَّره عليه وله "([2])

وعليه :

فالقضاء والقدر لغة : كل ما شاء الله حدوثه ، فقدر ، قدره وحد حدوده ، ثم أنفذ مشيئته بإيجاده .

المقصود بالقدر فى الاصطلاح :

القضاء والقدر : هو ما سبق به العلم وجري به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق ، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون فى الأزل ، وعلم سبحانه أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها " ([3])

فالله سبحانه علم ما الخلق عاملون ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ ، كتب وجوده ، وكميته ، وكيفيته ، وصفته ، وزمانه ، ومكانه ، وأسبابه ، ونتائجه ، ثم شاء وجوده ثم خلق أفعال العباد ومشيئتهم التي بها فعلوا الخير والشر؛ فوقعت الحوادث بالقدر والكيفية التى كتبها سبحانه .

قال الشافعى ؛ لما سئل عن القدر:

ما شئت كان وإن لم أشأ *** وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت *** ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت *** وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد *** ومنهم قبيح ومنهم حسن([4])

---

[1] - لسان العرب : باب قضى
[2] - لسان العرب : باب قدر
[3] - القضاء والقدر : ٢١ ؛ أ . د / عمر سليمان عبد الله الأشقر . ط / دار النفائس .
[4] - جامع شروح العقيدة السفارينية : ٤٥٤ ، محمد بن أحمد بن سالم السفارينى .

القدر من حيث المشيئة :

القدر من حيث المشيئة ، منه ما يتعلق بمشيئة الله وحده ، ليس للعبد فيه يد أو كسب ولا خلاف فيه بين الناس .

مثل تقلب الليل والنهار ، ونزول الغيث والأمطار ، واختلاف الألوان والألسنة والشعوب والقبائل ، وغير ذلك .

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر:٢١]

وقال أيضا:﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس:٣٨-٤٠]

وقال:﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى:١-٣]

وقال :﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١٢]

إلى غير ذلك من الآيات .

ومن القدر: ما يتعلق بمشيئة الله ومشيئة العبد ، وفيه ظهرت الفرق والاختلافات .

مثل الطاعات والمعاصي وسائر أعمال العباد ، التي لهم فيها اختيار .

قال تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر:٣٧- ٣٨]

وقال : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]

فأثبت الله المشيئة لنفسه سبحانه ، وأثبتها للعبد أيضا .

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر :

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة .

روى مسلم عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً.قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ . قَالَ :" أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ".قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ . قَالَ: " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ". قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ : " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ". قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَتِهَا.

قَالَ: " أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ ". قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِى " يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ ". قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ " فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ".([1])

ط / ابن الجوزى .

[1] - رواه مسلم : كتاب الإيمان – باب :بيان الإيمان والإسلام والإحسان . ص: ١٦ ح : ٨

قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]
وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء:٤٧]
وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨]
وقال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [الأنفال:٤٤]
وقال : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢]
وقال : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٢]
وقال : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٨]
وقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم :٣٢-٣٣]
وقال رسول الله ﷺ : " إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ما كان و ما هو كائن إلى الأبد ".([1])
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ".([2])
وقال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني ، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن أول ما خلق الله جل ثناؤه القلم فقال له : اكتب ، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " يا بني ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من مات على غير هذا فليس مني ".([3])
وقال ابن عمر أيضا لما أخبر عن قول معبد الجهنى (أن الأمر أنف) .
قال : " إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برئ منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنفق أحدهم مثل أحدٍ ذهبا ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر".([4])
وهذا دليل واضح علي بطلان عمل من لم يؤمن بالقدر بل دليل علي كفره لذلك كان غلاة القدرية النفاة - الذين ينفون القدر جملة فينفون علم الله الأول - خارجون عن الملة نوعا وعينا باتفاق أهل السنة وليسوا من أهل القبلة وهم وإن كانوا انقرضوا إلا أن آثار منهجهم موجودة في عقائد أهل البدع .

1 - صحيح الجامع الصغير وزيادته : ٤٠٥/١ برقم : ٢٠١٧ . محمد ناصر الدين الألبانى . ط / المكتب الإسلامى .
2 - رواه مسلم : كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .ص : ٦٢٣ ح : ٢٦٥٣.
3 - صحيح سنن أبى داود : ١٤٨/٣، برقم :٤٧٠٠؛ للإمام سليمان بن الأشعث السجستانى ، تأليف / محمد ناصر الدين الألبانى . ط / مكتبة المعارف .
4 - رواه مسلم : كتاب الإيمان – باب :بيان الإيمان والإسلام والإحسان . ص: ١٦ ح : ٨

المذاهب فى الإيمان بالقضاء والقدر :

ضل خلق كثير فى القضاء والقدر ، فمنهم من نفى مشيئة الله فى فعل العباد ، وجعل مشيئة العبد مستقلة بذاتها ، لا تؤثر فيها مشيئة الله .
ومنهم من نفى مشيئة العبد فى فعله ، فجعل الإنسان لا مشيئة له ولا إرادة .
وأما أهل السنة فهم حق بين باطلين ووسط بين طرفين ، حيث يثبتون مشيئة للرب ومشيئة للعبد ، وإليك بيانه :

أولا : القدرية (نفاة القدر) :

أثبتوا مشيئة العبد ونفوا مشيئة الله ، فلم يثبتوا له مشيئة أو اختيار أو خلق فيما يفعله العبد .
وزعموا أن العبد مستقل بفعله ؛ حتى غلا طائفة منهم وقالوا : إن الله تعالي لا يعلم ما يفعله العباد إلا بعد أن يقع ، فنفوا مرتبة العلم ومرتبة الكتابة ، وخلق أفعال العباد.
وأول من قال بهذا ، معبد الجهني ثم قلده واصل بن عطاء رأس المعتزلة وعمرو بن عبيد .
وقد حذر النبي ﷺ منهم وخاف علي أمته من شأنهم فقال ﷺ :
" أخاف علي أمتي من بعدي ثلاثا حيف الأئمة ، وإيمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر"([1])
وسماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة حيث قالوا : بوجود خالقين ، فيرون أن الله خلق الذات والعبد خلق الفعل ، كما قالت المجوس : النور خالق الخير والظلمة خالق الشر.
عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ".([2])
وقد نص مالك والشافعي وأحمد علي كفر من لم يقر بعلم الله .

مناظرة بين سنى وقدرى :

دخل عبد الجبار الهمداني شيخ المعتزلة علي الأستاذ أبي إسحاق الإسفريني أحد أئمة السنة
فقال : سبحان من تنزه عن الفحشاء .
فقال الأستاذ: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء .
قال القاضي: أيشاء ربنا أن يعصي .
فقال الأستاذ: أيعصي ربنا قهرًا .
فقال القاضي: أرأيت إن منعي الهدي وأورثني الضلال أحسن إليَّ أم أساء .
قال الأستاذ : إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فالله يختص برحمته من يشاء فبهت القاضي .

---

1 - صحيح الجامع : ١٠٣/١، ح : ٢١٤ .
2 - الصحيحة : ٦ / ٥٦٣ ، برقم : ٢٧٤٨

ثانيا : الجبرية :

أثبتوا مشيئة الله ونفوا مشيئة العبد . وهم طائفة من المعتزلة ، مذهبهم تلقاه الجهم بن صفوان من أحد يهود الشام ، وأظهر هذا المذهب الجعد بن درهم .
يقولون: إن أفعال العبد لا مشيئة له فيها ، وإنما هى أفعال الله تعالى أجراها على يد العبد . أى العبد مسير لا مخير.
وقد ترك هؤلاء العمل احتجاجا بالقدر قبل وقوعه ، واحتجوا بالقدر علي ما يقع منهم من أعمال مخالفة للشرع ولم يفرقوا بين الكفر والإيمان لأن الجميع عندهم خلق الله ، ومنهم نشأت الإباحية ، بالقول بسقوط الواجبات ورفع العقوبات .
ومن الناس تأثر بهذه الضلالات ، تراه ينسب الفعل لنفسه عند الطاعة ، وينسبه لله عند المعصية ، فيكون فى الطاعة قدريا وفى المعصية جبريا .
وهؤلاء الجبرية ينقسمون إلي :
أ - الجبرية الخلص هؤلاء ينفون القدرة والإرادة الإنسانية فعندهم دقات القلب لا تختلف عن القتل والزنا من حيث مسئولية المرء عنها .
ب - الجبرية المستترين (الأشاعرة) وهؤلاء يثبتون قدرة ومشيئة للإنسان ولكن يقولون إنها لا يقع بها الفعل ولكن معها ، فيقترن وجود الفعل مع القدرة والمشيئة من غير أثر لها في الفعل .
فيقولون: الله خلق القطع عند مرور السكين أي بسبب السكين ، فعندهم السكين لا تقطع ، أما نحن فنقول الله يخلق القطع بالسكين .
وكذلك يقولون النار لا تحرق ولكن الله يخلق الإحراق عند وجود النار، أما أهل السنة فيقولون: النار تحرق ويخلق الله الإحراق بالنار .
فمذهبهم – الأشاعرة - هو مذهب الجبرية وإنما الفرق فى إثباتهم قدرة ومشيئة للعبد بلا أثر.
ومن الجبرية تفرعت الإباحية الذين عدوا الكبائر والكفر كرامات ، فيقولون: من كرامات الولي الفلاني أنه كان يأتي البغلة في الطريق ، ومن كرامات الولي الفلاني أنه صعد المنبر فقال أشهد أن لا إله لكم إلا إبليس .

من غرائب الجبرية :

أن أحدهم رأي رجلا يفجر بزوجته ، فأقبل يضربها وهي تقول: القضاء والقدر فقال لها: يا عدوة الله أتذنبين وتعتذرين بمثل هذا . فقالت: أوه تركت السنة وأخذت مذهب بن عباس فتبنه ورمي بالسوط وقال لها: لولا أنت لضللت.

ثالثا: أهل السنة :

يثبتون لله مشيئة ، وللعبد مشيئة ، ويغلبون مشيئة الله على مشيئة العبد .
قال الحكمى:" وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة ، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم ، وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ...
ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه ولا يشاءون إلا أن يشاء الله ﷻ ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين ... كقوله ﷻ ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ

الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٨]
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [المزمل:١٩]
وقال : ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان:٢٩-٣٠]
وقال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۞ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩] ....
وقال النبي ﷺ : " الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .
وقال البخاري رحمه الله تعالى : باب : ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف :٤٣] . ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزمر:٥٧]
...عن البراء بن عازب ﷺ قال رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول : والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا .... فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم "([1])

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

نؤمن بأن الله علم ما الخلق عاملون ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ ثم شاء وجوده ثم خلق أفعال العباد ومشيئتهم التي بها فعلوا الخير والشر.
قال ابن القيم : " مراتب القضاء والقدر التى من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر ، وهى أربعة مراتب :
المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .
المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .
المرتبة الثالثة : مشيئته لها .
المرتبة الرابعة : خلقه لها .([2])
وبيانه كالتالى :

المرتبة الأولى : مرتبة العلم :

وهي أن يؤمن العبد إيمانا جازما بأن الله بكل شئ عليم ، يعلمه جملة وتفصيلا ، ما كان منه قبل أن يكون ، وما هو كائن ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .
ويقصد بهذه المرتبة :
أولا : أن علم الله للأشياء تفصيلي وليس إجماليا فقط كما يدعي الفلاسفة .
قال تعالى:﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام :٥٩]
وقال :﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]

---
[1] - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول فى التوحيد : ٢١١-٢١٢ .
الشيخ / حافظ بن أحمد حكمى . ط / مكتبة الصفا
[2] - شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : ٧٧

وقال:﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات:١٦]

ثانيا: علم الله سابق علي وجود الأشياء وهو ما يعبر عنه البعض (بالعلم الأول أو القديم أو الأزلى).

قال تعالى:﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]

ثالثا: علم الله بالغيبيات الخمس لا يشاركه فيه أحدا :

وقال:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤]

وما جاء من نصوص فيها إخبار غير الله عن شئ من هذه الخمس لم يخرجها عن كونها من الغيبيات التي استأثر الله بعلمها حيث إن المخبر عنها لا يخبر إلا بمتعلق من متعلقاتها وهذا لا يخرجها عن كونها من الغيبيات التي استأثر الله بها فعندما يخبر النبي ﷺ عن علامات الساعة لا يخبر عن وقتها ، وعندما أخبر النبي ﷺ عن مصارع القوم- فى أحد - بالتفصيل فقال: هذا مصرع فلان – إن شاء الله - علق ذلك علي المشيئة .

رابعا : علم الله شامل لما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون:

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]

وقال تعالى :﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه :٥١-٥٢]

ومعني قولنا وما لم يكن لو كان كيف يكون ، مثل ما جاء في القرآن بلفظ لو أو لولا فهو من هذا الباب .

قال تعالي : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٨]

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ [الحجر: ١٤- ١٥].

خامسا: هذا العلم السابق لا يحاسب الله العباد عليه ، وإنما يحاسبهم علي ما سطرته الملائكة من أعمالهم .

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة:٧- ٨]

قال ابن القيم : " والله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملون وما هم إليه صائرون ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومة الذي علمه فيهم كما علمه وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومة فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل أن يعملوها فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه أعذارا إليهم وإقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا ".([1])

---

[1] - شفاء العليل : ٨٩

المرتبة الثانية : الإيمان بكتابة المقادير:
أن نؤمن بأن الله كتب عنده فى اللوح المحفوظ مقادير كل شيء قبل الخلق بخمسين ألف سنة.
وقد جمع الله مرتبة العلم والكتابة فى قوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج:٧٠]
وكتابة المقادير ، ليست كتابة واحدة ، بل كتابات متعددة ، غير أن أساسها اللوح المحفوظ ، وبيان هذه الكتابات كالتالى :

أولا : الكتابة قبل خلق السماوات والأرض :
قال تعالى:﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس:١٢]
وقال:﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر:٥٢].
قال ابن القيم : " قال عطاء ومقاتل كل شيء فعلوه مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ وروى حماد بن زيد عن داود بن أبي هند عن الشعبي ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ . قال كتب عليهم قبل أن يعملوه وقالت طائفة المعنى أنه يحصى عليهم في كتب أعمالهم ، وجمع ابو إسحاق بين القولين فقال مكتوب عليهم قبل ان يفعلوه ومكتوب عليهم إذا فعلوه للجزاء وهذا أصح وبالله التوفيق"([1])
وعن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ".([2])
قال ابن القيم :" وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب"([3])
فهذه الكتابة هى كتابة اللوح المحفوظ ، ومن الكتابة :

ثانيا : الكتابة يوم أخذ الميثاق :
قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢]
وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال :" خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمني فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه إلي الجنة ولا أبالي وقال للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي "([4])
قال ابن القيم : "عن ابن مسعود عن أناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢]

---
1 - شفاء العليل : ١٠٣
2 - مسلم : كتاب القدر – باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام – ص : ٦٢٢ ح : ٢٦٥٣
3 - شفاء العليل : ١٠١
4 - السلسلة الصحيحة برقم : ٤٩

قال: لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال: أدخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال: ألست بربكم قالوا: بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال: هو والملائكة ﴿ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣] . فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن الله ربه ، ولا مشرك إلا وهو يقول: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣] . فذلك قوله ﷻ :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ " ([1])

ثالثا : الكتابة والإنسان جنين في بطن أمه :

عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول ﷺ وهو الصادق المصدوق قال :" إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع برزقه ، وأجله ، وشقى ، أو سعيد ، فوالله إن أحدكم – أو الرجل - ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها " ([2])

رابعا : كتابة التقدير السنوي :

قال تعالي :﴿ حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان:١-٤]

قال ابن القيم : " وقال ابن علية ثنا ربيعة بن كلثوم قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر في كل رمضان هي قال : نعم والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كل رمضان وأنها لليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها .

وذكر يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان .

وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية أنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى .

وقال مقاتل : يقدر الله في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة "([3])

---

[1] - شفاء العليل : ٣٢-٣٣

[2] - البخارى : كتاب بدء الخلق – باب ذكر الملائكة . ص :٣٩٠ ، ح : ٣٢٠٨
مسلم : كتاب القدر – باب كيفية الخلق الآدمى – ص :٦٢٠ ، ح : ٢٦٤٣

[3] - شفاء العليل : ٥٩

خامسا : كتابة التقدير اليومي :
قال تعالي:﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:٢٩].
قال ابن القيم:" عن ابن عباس أن مما خلق الله لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم هو في شأن .....
فهذا تقدير يومي والذي قبله تقدير حولي والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به والذي قبله كذلك عند أول تخليقه وكونه مضغة والذي قبله تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السماوات والأرض والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته وزيادة تعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه وقد قال تعالى أنا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ فتستنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن يعملوها فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه فيثبت الله تعالى منه ما فيه ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو".([1])

المحو والإثبات:
سؤال يُطرح كثيرًا ، هل المكتوب قابل للتعديل ؟؟ أى الشطب ، وكتابة غيره .
حيث أن الإنسان قد يكتب عليه بلاء بسبب ذنب ، ثم يتوب منه ، أو يصاب بمكروه ، ثم يدعوا الله أن يزيح عنه ذلك البلاء ، فيستجاب له .
الجواب:
الكتابات ليست كلها سواء ، فاللوح المحفوظ لا يقبل التغيير ولا التعديل ، وإنما يقع ذلك فيما سواه من الكتابات .
قال تعالى: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد:٣٩]
قال السعدى: " ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ من الأقدار ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال : ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب.
فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ " ([2])

---
[1] - شفاء العليل : ٦١-٦٢
[2] - تيسير الكريم الرحمن : ٥٢٥/١

المرتبة الثالثة : الإيمان بمشيئة الله النافذة :

أن نؤمن بأن ما في الكون من حركة أو سكون أو خير أو شر أو أفعال اضطرارية أو اختيارية للمخلوقين كله بمشيئة الله وقدرته وإرادته ، فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَوَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨]

وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:١١٢]

وقال :﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]

وقال :﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

وقال:﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥]

وقال:﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [يونس:٤٩]

وقال: ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى:٥٢]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة -وفي رواية تسعين امرأة. وفي رواية: مائة امرأة- تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله، فقيل له -وفي رواية: فقال له الملك- قل: إن شاء الله. فلم يقل ، فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان"، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده، لو قال: " إن شاء الله " لم يحنث، وكان دركا لحاجته "، وفي رواية: "ولقاتلوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون". وفى ذلك بيان أن مشيئة الله هى الغالبة النافذة ".([1])

وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي ﷺ يكلمه في بعض الأمر فقال الرجل لرسول الله ما شاء الله وشئت فقال رسول الله ﷺ :" أجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده".([2])

المرتبة الرابعة : مرتبة خلق أفعال العباد :

أن نؤمن بأن الله علم ما الخلق عاملون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ وشاء وجوده وخلق أفعال العباد ومشيئتهم التي فعلوا بها الخير والشر، فوقع كل ما كتبه الله على نحو ما كتبه ، ولم يتخلف منه شيئا ، ولا وقع غير المكتوب .

وهذا معني أن نؤمن بالقدر خيره وشره ، فالله خالق الذوات وصفاتها وأفعالها.

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢]

---

1 - البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء – باب { ووهبنا لداود سليمان} . ص : ٤١٦ ح : ٤٣٢٤ . مسلم : كتاب الإيمان – باب الاستثناء – ص : ٣٩٧ ، ح : ١٦٥٤

2 - السلسلة الصحيحة برقم : ١٣٦

قال ابن القيم :" والعالم قسمان أعيان وأفعال وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال كما أنه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شيء منه عن علمه ولا عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته "([1])

قال أيضا : " ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ [النحل:٨١].
فأخبر أنه هو الذي جعل السرابيل وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل إلا أن بعد تحيلها صنعة الأدميين وعملهم فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها صورتها ومادتها وهيآتها ونظير هذا قوله : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ [النحل:٨٠]
فأخبر سبحانه أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة مجعولة له وهي إنما صارت بيوتا بالصنعة الآدمية ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس :٤١-٤٢]
فأخبر سبحانه وتعالى أنه خالق الفلك المصنوع للعباد وأبعد من قال أن المراد بمثله هو الإبل فإنه إخراج المماثل حقيقة واعتبار لما هو بعيد عن المماثلة ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله أنه قال لقومه:﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٥-٩٦] . فإن كانت ما مصدرية كما قدره بعضهم فالاستدلال ظاهر وليس بقوى إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتونه بأيديهم وبين إخبارهم بأن الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها وغير ذلك فالأولى أن تكون ما موصولة أي والله خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له لا آلهة شركاء معه فأخبر أنه خلق معمولهم وقد حله عملهم وصنعهم ولا يقال المراد مادته فإن مادته غير معمولة لهم وإنما يصير معمولا بعد عملهم" ([2])

وقال رحمه الله :" ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال:
﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم:٤٠]
وقوله:﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم:٣٧]
وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ [الحديد:٢٧]
وقوله حكاية عن زكريا أنه قال عن ولده :﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم:٦]
وقال في الطرف الآخر:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة:١٣].وقال:﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام:٢٥] وهذه الأكنة والوقر هي شدة البغض والنفرة والإعراض التي لا يستطيعون معها سمعا ولا عقلا . والتحقيق أن هذا ناشيء عن الأكنة والوقر فهو موجبه ومقتضاه فمن فسر الأكنة والوقر به فقد فسرهما بموجبهما ومقتضاهما وبكل حال فتلك النفرة

[1] - شفاء العليل : ٢٩
[2] - شفاء العليل : ١٣١-١٣٢

والإعراض والبغض من أفعالهم وهي مجعولة لله سبحانه كما أن الرأفة والرحمة وميل الأفئدة إلى بيته هو من أفعالهم والله جاعله فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وإراداتها واعتقاداتها فذلك كله مجعول مخلوق له وإن كان العبد فاعلا له باختياره وإرادته "([1])

فالله خالق لأفعال العباد ، ووجه ذلك أن فعل العبد من صفاته ، والعبد مخلوق لله ، وخالق الشيء خالق لصفاته، ووجه آخر أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله ﷻ . وقال رسول الله ﷺ : " إن الله خلق كل صانع وصنعته "([2])

بيان مسألة هداية وإضلال العباد :

قد يقول قائل : كيف يحجب الله الهداية عن العبد ، ويورثه الضلالة ، ويحاسبه على ذلك ؟

أو يقول : أليس الله هو الذى هدى وأضل ، فلماذا يؤاخذ العبد على ذلك ؟

وهذا القول نتيجة التأثر بالمذهب الجبرى المذكور سلفا.

ولا شك أن المسألة بخلاف ما يتوهمه البعض ، ولإزالة هذا الوهم ، وبيان حقيقة الأمر أكثر مما ذكرنا ، نقول :

خلق الله الطبيعة البشرية قابلة للهداية والضلالة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣]

وقال:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:٧-١٠].

فكون الطبيعة البشرية مخلوقة قابلة للفجور والتقوى ، فليس فى الأمر جبر إذا .

بل الشريعة ترفع العقوبة عن المكره مطلقا ، فإذا فقد الإنسان القدرة على الاختيار سقطت عنه المؤاخذة ؛ لأن التكاليف الشرعية ، والحساب عليها لا يكونان إلا حيث تتوفر الإرادة الحرة :

قال تعالى :﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٣]

وعمر بن الخطاب ؓ أسقط الحدَّ عن امرأة زنتْ ، ثم أثبتت أن الراعي منعها الماء ، وكاد يهلكها الظمأ ، ولم يسقها حتى مكنته من نفسها.

أما كون الله جعل الهداية والإضلال بيده سبحانه :

فقال تعالى : ﴿ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤]. فالأمر ليس عبثا وليس فيه إكراه كما قد يتوهم البعض .

قال ابن كثير فى تفسيره :

" ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ﴿ الحكيم ﴾ في أفعاله ، فيضل من يستحق الإضلال ، ويهدي من هو أهل لذلك "

فالمسألة خاضعة للحكمة الإلهية البالغة ، والعدالة المطلقة ، من ناحية ، ومن ناحية

---

[1] - شفاء العليل : ١٣٤- ١٣٥

[2] - السلسة الصحيحة برقم : ١٦٣٧

أخرى لها متعلق باختيار العبد وعمله .
ولو جمعت الآيات الكريمة ، المرتبطة بقضية الهداية والضلال ، وحمل فيها المطلق على المقيد لاتضحت معالم القضية ، وبيان ذلك :

أولا : جعل الله الضلالة للمعاندين :

قال تعالى: ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [فاطر:٨]
إنما ذلك للذى لا يؤمن بالله ولا يقبل منهجه ، وقد اختار طريق الكفر والضلال ، ويفسر ذلك قول الله تعالى :﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٦] .
وقال:﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ [غافر:٧٤] . وقال: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم:٢٧] . وقال:﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]
وقال:﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٦٤]
وقال:﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة:١٠٨]
وقال:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]
وبذلك ظهرت لنا العلاقة بين مشيئة الرب والعبد فى إضلال الله للعبد ، فالعبد إذا خبثت سريرته وسعى طالبا للضلالة ، معرضا عن الهداية ،أضله الله بعدله ، ولو شاء لهداه بفضله ، ولكن الله لا يُسئل عما يفعل.

ثانيا : أن الله جعل الهداية للراغبين فيها الساعين إليها :

فالآية المطلقة ، كقوله تعالى:﴿ ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [فاطر:٨]
لا بد أن تحمل على المقيد ، فالهداية بمعنى تذليل العقبات والحمل على طريق الخير لمن استمع لله وآمن به ، وأقبل على منهجه ولذلك قال تعالى :
﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٨]
وقال : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد:١٧]
قال السعدى :" ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا ﴾ بالإيمان والانقياد، واتباع ما يرضي الله ﴿ زَادَهُمْ هُدًى } شكرا منه تعالى لهم على ذلك "([1])
وبذلك تتبين العلاقة بين مشيئة العبد والرب فى هداية الرب للعبد .

كل ميسر لما خلق له :

وعلى ما فصلناه آنفا لا يقال : الإنسان مخير أو مسير ، بل يقال : ميسر لما خلق له.
عن على ﷺ قال: كان النبى ﷺ فى جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض فقال: " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ".
قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال: " اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة " .
ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل:٥-١٠] "([2])

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن : ٢ /٩٩٧- ٩٩٨
2 - البخارى : كتاب التفسير – باب قوله { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} ص: ٦١٥ ، ح : ٤٩٤٥
مسلم : كتاب القدر - باب كيفية الخلق – ح : ٢٦٤٧ متابعات

فليس الإنسان مسيرًا بمعني أنه مجبور علي فعله ، وليس مخيرًا بمعني أنه لا سلطان لله عليه ، فإن لله مشيئة في فعله .
إذاً هو مخير له قدرة ومشيئة ولكن قدرته ومشيئته تحت مشيئة الله وقدرته .
قال تعالي:﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]. ونحن عندما نثبت لله مشيئة في فعل العبد ننزه الله سبحانه عن أن يوجد شئ في الكون دون إرادته أو رغماً عنه .

مسألة إثبات قدرة النبى ﷺ على هداية الخلق ، ونفيها عنه :

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢]
وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص:٥٦]
أثبت الله قدرة النبى ﷺ على هداية الخلق فى الآية الأولى ، ونفاها عنه فى الثانية ، كيف ذلك ؟؟
الهداية نوعين :هداية دلالة – حسية – على طريق الحق ، وهى المثبتة للنبى ﷺ، وهداية قلبية – معنوية – عبارة عن شرح الصدر لقبول الحق ، وهى المنفية عنه ، لأنها تتعلق بالقلوب ، والقلوب بيد الله وحده ، يقلبها كيف يشاء .

الله خالق الشر ، والعبد فاعل له :

نسبة الشر إلي الله هي نسبة خلق وإيجاد وليس أن تقدير الله ﷻ هو الشر ففعل الله – الخلق والإيجاد - ليس بشر، لأن فعل الله صفة من صفاته والله سبحانه وتعالي الخير كله في يديه والشر ليس إليه فليس من صفاته ولا من أفعاله شر، ولكن الشر من مخلوقاته .
فمثلا الزنا شر ، الذي فعل الزنا هو العبد والذي خلقه هو الله ، فالله مكنه من الفعل أي خلق له قدرة وإرادة وجسما وآلة فعل بها ذلك الشر، ففعل الله غير فعل العبد .
قال ابن القيم : " بيد الله تعالى نوعان فضل وعدل . كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ " يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه "([١])

الحكمة من خلق الشر ودخوله تحت الأمر الكوني :

الشر ليس شرًا محضا وإنما فيه من أنواع الخير ما لأجلها قدره العليم الحكيم فالمرض به َعُبد الله بالصبر ، وبه تغفر الذنوب حتى يسير العبد علي الأرض وما عليه خطيئة والابتلاء للمؤمنين تمحيص للنفوس وتطهير للقلوب وتربية للأرواح .
عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ : " أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن و الزلازل و القتل "([٢])

وخلق الله إبليس ابتلاء للخلق ، وبسببه وجنده عبد الله بالجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر....
وخلق الله الكفار ، وشاء أن يتسلطوا على المؤمنين ، ليتخذ من المؤمنين الشهداء ، وربنا يحب ذلك سبحانه .

---

[1] - شفاء العليل : ٥٠١
[2] - السلسلة الصحيحة برقم : ٩٥٩

قال تعالى:﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٠]

ما يبغضه الله واقع بمشيئته القدرية دون الشرعية ، وما يحبه سبحانه واقع بمشيئته الشرعية والقدرية :

قد يحتج البعض على إقرار المعاصي ، لكون الله قدرها وشاء وقوعها ، فيظن رضاه بوقوعها .

فلا يميز بين إرادة الله القدرية ، غير الشرعية ، وبها يقع ما يكره ، وإرادته القدرية الشرعية ، وبها يقع ما يحب .

قال ابن القيم : " وهاهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علما وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر وأمره سبحانه نوعان : أمر كوني قدري وأمر ديني شرعي فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني وكذلك تتعلق بما يحبه وبما يكرهه ، كله داخل تحت مشيئته كما خلق إبليس وهو يبغضه وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله ، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تتعلق به مشيئته وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته فلفظ المشيئة كوني ولفظ المحبة ديني شرعي ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة وإرادة دينية فتكون هي المحبة إذا عرفت هذا ، فقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] وقوله : ﴿ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٥] .وقوله: ﴿ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] . لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره فإن المحبة غير المشيئة والأمر غير الخلق ونظير هذا لفظ الأمر فإنه نوعان : أمر تكوين وأمر تشريع والثاني قد يعصي ويخالف بخلاف الأول فقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [الإسراء:١٦] . لا يناقض قوله :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف:٢٨]

ولا حاجة إلى تكلف تقدير أمرنا مترفيها فيها بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها بل الأمر هاهنا أمر تكوين وتقدير لا أمر تشريع لوجوه أحدها أن المستعمل في مثل هذا التركيب أن يكون ما بعد الفاء هو المأمور به كما تقول أمرته فقام وأمرته فأكل كما لو صرح بلفظة أفعل كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ [البقرة:٣٤]."(١)



---

[1] ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : ١٢٠-١٢١ – الإمام / شمس الدين محمد بن أبى بكر . ابن القيم الجوزية . ط / دار الحديث

ثانيا : الحكم التشريعي

ويقصد بالحكم التشريعي الأوامر والنواهي ، أو التحليل والتحريم ، في الكتاب والسنة .
وإفراد الله بالحكم الشرعي ، واجب على كل موحد .
قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠].
قال السعدى: " فهو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع ، ويسن الأحكام "([1])
وقال سبحانه : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]
قال ابن كثير:" ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ ﴾ أي: فاحكم يا محمد بين الناس : عَرَبهم وعجمهم ، أميهم وكتابيهم ﴿ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ ﴾ إليك في هذا الكتاب العظيم ، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك ".([2])
وقال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [الجاثية: ١٨]
قال السعدى: " أي : ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي ﴿ فَاتَّبِعْهَا ﴾ فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح ، ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ هواه وإرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون".([3])

بيان أن الكتب المنزلة جاءت لتحكم :

الكتب المنزلة ، كلمة الله ، ويجب أن تكون هى العليا ، وصاحبة السيادة على كل ما سواها من كلام البشر .
وهذا بخلاف ما تقرره العقائد الشركية ، مثل العلمانية والليبرالية والديمقراطية وغيرها ، من حثالة الأفكار وزبالة الأقوال ، التى جعلت كلمة المخلوق فوق كلمة الخالق سبحانه .
قال تعالى:﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٣]
وقال سبحانه:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة:٤٤]
وقال:﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة:٤٧]
وقال:﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة:٤٨]

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن : ٤٩٧/١
2 - تفسير ابن كثير : ٦٦/٢
[3] - تيسير الكريم الرحمن : ٩٨٥/٢

وقال:﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة:٤٩]
هكذا ترى الله يحذر نبيه ﷺ من أن يترك الحكم ببعض ما أنزل الله إليه ، بمعنى لو قال حاكم سأحكم بالشريعة فى تسعة وتسعون وتسعة من العشرة فقط ، لا يقبل قوله. لأن ذلك يعتبر إيمان ببعض الكتاب وكفر بالبعض الآخر ، وهذا يعتبر كمن كفر بالكتاب كله.
قال تعالى :﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٨٥]

بيان أن الاستسلام لحكم الله وحده هو الإسلام :

كثيرًا من الناس للأسف يذهل عن معنى الإسلام ، فلا يعلم أن مسمى الإسلام ، حقيقته القبول ، والخضوع والانقياد لحكم الله ورسوله ، فإذا انتفى ذلك ، انتفت صفة الإسلام عن العبد .
قال ابن منظور ".. الإِسْلامُ والاسْتِسْلامُ الانقياد ..الإِسْلامُ : إِظهار الخُضُوعِ والقَبُول لما أَتى به سيدنا رسول اللَّه......، أَسْلَمَ أَمره للَّه أَي سَلَّمَ ، أَسْلَمَ أَي دخل في السِّلْمِ وهو الاسْتِسْلامُ ، أَسْلَمَ من الإِسْلامِ ".[1]

فحقيقة الإسلام : هى الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا ، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته ، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر .
قال شيخ الإسلام فى " مجموع الفتاوى " : "والإسلام : أن يستسلم لله لا لغيره فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك ومن لم يستسلم له فهو متكبر وكلاهما ضد الإسلام " والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده ، فهذا دين الإسلام الذى لا يقبل الله غيره
قال تعالى:﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران:١٩]
وقال:﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]
إذا تقرر هذا فقد علم بيقين أن السيادة العليا ، الحاكمة - صاحبة الحق فى التحليل والتحريم - لله وحده ﷻ ، وأن المنازعة فى ذلك كفر وشرك وضلال .

إفراد الله بالحكم التشريعى مطلقا شرط الإيمان :

إن عبادة الله وحده ، لا تتحقق إلا بإفراده بالحكم التشريعى ، فالله سبحانه ، يعبد الخلق له بالأمر والنهى – التشريع - ، فمن اتخذ مشرعا غيره ، فقد اتخذ إلها من دونه .
قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠].
دلت الآية على أن إفراد الله بالحكم إفراده بالعبادة ، وأن عبادته وحده هى الدين القيم.

---
1 - لسان العرب : باب سلم

وقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّـهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام:١١٤]
وأنكرت هذه الآية أن يبتغى غير الله حكما وهو الذى أنزل الكتاب مفصلا .
وإفراد الله بالأمر – الحكم التشريعى- كإفراده سبحانه بالخلق تماما .
وقال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]
فمنازعة الله فى شىء من الأمر كمنازعته فى شىء من الخلق ولا فرق .
قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] ، هنا أفرد الله نفسه بالأمر.
وقال تعالى:﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر:٦٢] ، وهنا أفرد نفسه بالخلق.
فمن قال غير الله يشرع ، كمن قال غير الله يخلق ، ولا فرق .

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]
قال ابن كثير: " وقوله : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة : أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكم الرسول ﷺ وفي جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ؛ ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي : إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ".([1])

قال السعدى : " أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليمًا بانشراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن.
فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين.([2])

وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]
قال ابن كثير: فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] وفي الحديث: "والذي نفسي بيده، لا

1- تفسير ابن كثير: ٥٢٠/١
2- تيسير الكريم الرحمن : ٢٢١/١

يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به".([1])
ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا ﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] ".([2])

وقال الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله :

" كل أمة بعث الله إليها رسولا ، لا يصح إسلامها ولا يتم إيمانها ولا تحصل لها السعادة والنجاة إلا بتوحيدها لله ، وإخلاص العبادة له ﷻ ، ومتابعة رسولها ﷺ، وعدم الخروج عن شريعته ، وهذا هو الإسلام الذي رضيه الله لعباده ، وأخبر أنه هو دينه ، كما في قوله ﷻ :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ ﴾ [آل عمران:١٩]

وبهذا يتضح لذوي البصائر أن أصل دين الإسلام وقاعدته أمران :

أحدهما : أن لا يعبد إلا الله وحده ، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

الثاني : أن لا يعبد إلا بشريعة نبيه ﷺ .

فالأول : يبطل جميع الآلهة المعبودة من دون الله ، ويعلم به أن المعبود بحق هو الله وحده .

والثاني : يبطل التعبد بالآراء والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، كما يتضح به بطلان تحكيم القوانين الوضعية والآراء البشرية ويعلم به أن الواجب هو تحكيم شريعة الله في كل شيء ، ولا يكون العبد مسلما إلا بالأمرين جميعا ، كما قال الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية:١٨-١٩] ؛ وقال سبحانه :﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]

وقال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠] ، وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥]
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧]

وهذه الآيات تتضمن غاية التحذير والتنفير من الحكم بغير ما أنزل الله ، وترشد الأمة حكومة وشعبا إلى أن الواجب على الجميع هو الحكم بما أنزل الله والخضوع له والرضا به ، والحذر مما يخالفه ، كما تدل أوضح دلالة على أن حكم الله سبحانه هو أحسن الأحكام وأعدلها ، وأن الحكم بغيره كفر وظلم وفسق وأنه هو حكم الجاهلية الذي جاء شرع الله بإبطاله والنهي عنه ، ولا صلاح للمجتمعات ولا سعادة لها ولا أمن ولا استقرار إلا بأن يحكم قادتها شريعة الله ، وينفذوا حكمه في عباده ،

---

1 - سبق تخريجه
2- تفسير ابن كثير: ٣/٤٩٠

ويخلصوا له القول والعمل ، ويقفوا عند حدوده التي حدها لعباده ".(1)

إجماع الأمة على أن السيادة للشرع لا غير :

" ولقد انعقد إجماع الأمة كلها فى مختلف الأعصار والأمصار ، إجماعا لم يشذ عنه كبير ولا صغير ، ولا ذكر ولا أنثى ، ولا حر ولا عبد ولا طائع ولا عاص .. أنه لا دين إلا ما أوجبه الله ، ولا شرع إلا ما شرعه ، ولا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، وأن من جادل فى هذه البديهية فأحل ما حرمه الله أو حرم ما أحله الله ، أو رد شيئا من حكمه ، أو أعطى غيره حق التحليل والتحريم والإيجاب والندب .. فهو مارق من الدين ، كافر بإجماع المسلمين .

يقول الغزالى – رحمه الله – فى المستصفى : " وفى البحث عن الحاكم يتبين أنه لا حكم إلا لله ، ولا حكم للرسول ، ولا للسيد على العبد ، ولا لمخلوق على مخلوق ، بل كل ذلك حكم الله تعالى ووضعه ، لا حكم غيره "

ويبين وجه ذلك فى موضع آخر فيقول : " وأما استحقاق نفوذ الحكم فليس إلا لمن له الخلق والأمر ، فإنما النافذ حكم المالك على مملوكه ، ولا مالك إلا الخالق ، فلا حكم ولا أمر إلا له ، أما النبى ﷺ والسلطان والسيد والأب والزوج ، فإذا أمروا وأوجبوا لم يجب شيء بإيجابهم ، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم ، ولولا ذلك لكان كل مخلوق أوجب على غيره شيئا كان للموجب عليه أن يقلب عليه الإيجاب ، إذ ليس أحدهما أولى من الآخر ، فإذن الواجب طاعة الله تعالى ، وطاعة من أوجب الله تعالى طاعته ....

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة – بعد أن ساق تعريف الحكم الشرعى - : وهذا التعريف يومئ لا محالة إلى أن الحاكم فى الفقه الإسلامى هو الله – سبحانه وتعالى - ، إذ إن هذه الشريعة قانون دينى يرجع فى أصله إلى وحى السماء ، فالحاكم فيه هو الله ، وكل طرائق التعريف بالأحكام فيه إنما هى مناهج لمعرفة حكم الله تعالى ، وأحكام دينه السماوى ، على هذا اتفق جمهور المسلمين ، بل أجمع المسلمون ؛ فإن الإجماع قد انعقد على أن الحاكم فى الإسلام هو الله – تعالى - ، وأنه لا شرع إلا من الله ، وقد صرح بذلك القرآن الكريم ؛ فقال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف:٤٠].وقال تعالى:﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة:٤٩]"(2)



1- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . الشيخ عبد العزيزبن باز: ٢/ ٢٥٤- ٢٥٦ .
ط / دار القاسم للنشر

2 - نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية : ٤٧-٤٨ . أ.د / صلاح الصاوى
ط / الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية

الفصل الثالث

توحيـــد الإلوهية

الفصل الثالث

توحيـــد الإلوهية

توحيد الإلوهية - ويسمى توحيد العبادة أيضا - يقصد به :إفراد الله سبحانه بالعبادة . فكل اعتقاد أو قول أو عمل ظاهرا أو باطنا ؛ يدخل فى مسمى العبادة ، وجب إفراد الله به وحده بلا شريك.

أيضا : يجب الكفر بكل ما عبد من دون الله وبغض من عبد غير الله ؛ والبراءة منه ، ومجاهدته ؛ حسب الطاقة .

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة:٢٥٦].

معنى العبادة :

" العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة : فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضاء بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك هي من العبادات لله ، وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى:﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }[الذاريات:٥٦] وبها أرسل جميع الرسل...".([1])

ركنا العبادة:

" لا بد للعبادة من ركنين أساسيين :

(١) نية خالصة .

(٢) صورة عمل مشروعة .

فلا بد أن يبتغى بنيته وجه الله وحده ، وأن يكون عمله موافقا للكتاب والسنة.

ولا تجزئ واحدة عن الأخرى ، فلا تسعه النية الخالصة وحدها ويخطئ فى العمل ولا يكفيه عمل صحيح والنية قد شابتها شائبة شك أو شرك أو رياء ".([2])

الركن الأول : الإخلاص

قال تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة:٥]

1- العبودية : ٤٧ ، شيخ الإسلام ابن تيمية . ط – دار أضواء السلف.

2 - حقيقة الإيمان :١٦٠

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ".(١)

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" إنما الأعمال بالنية وفي رواية " بالنيات " وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ".(2)

معنى الإخلاص

وللإخلاص عند العلماء تعريفات كثيرة مترادفة .

فمنهم من قال : إفراد الله بالقصد فى الطاعة.

ومنهم من قال: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين وإعجاب الفاعل بنفسه.

ومنهم من قال: استواء أعمال العبد فى الظاهر والباطن.

ومنهم من قال: الصدق فى الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

ومنهم من قال: ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله.

وقال الفضيل رحمه الله : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

والإخلاص محله القلب، والقلب محل نظر الله من العبد .

حكمه :

إخلاص العمل لله واجب على كل مكلف ، وقد أمر الله به فقال:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥] .

" وينبغى أن يستحضر النية فى جميع العبادات . فينوى مثلاً الوضوء وأنه توضأ لله وأنه توضأ امتثالاً لأمر الله .

فهذه ثلاثة أشياء: نية العبادة. ونية أن تكون لله. ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله.

هذا أكمل شيء فى النية كذلك فى الصلاة وفى كل العبادات.(٣)

الركن الثانى : الإتباع

اتباع النبى ﷺ هو الركن الثانى لقبول الأعمال فكل عمل يخالف المنهج النبوى فهو باطل مردود على صاحبه .

عن عائشة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :" من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ".(4) أى : عمله مردود عليه غير مقبول.

---

1 - رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب (باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله) ص:١٢٧٩ – من متابعات – ح : ٢٥٦٤

2- رواه البخارى:كتاب بدء الوحى (باب كيف كان بدء الوحى ....) ص : ٨ ح : ١
مسلم : كتاب الإمارة (باب قوله ﷺ « إنما الأعمال بالنية ») ص : ٩٧٠ ح : ١٩٠٧

3 - رياض الصالحين للنووى : ٧/١ ، شرح محمد صالح العثيمين . ط / مكتبة الصفا

4- رواه البخارى : كتاب الصلح (باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) ص : ٣٢٣ ح : ٢٦٩٧ . ومسلم : كتاب الأقضية (باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) ص : ٤٨٧ ح : ١٧١٨

عن أنس بن مالك ﷺ قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا . وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال :" أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى ".(1)

وعن العرباض بن سارية يقول : " وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون و وجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال ﷺ :" قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ". ([2])

نوعا العبادة :

" للعبادة نوعان :

(١) عبادة القلب : وهى العبادة الباطنة تتمثل فى الإيمان، والإنابة ،والاستسلام والحب، والرجاء ،والخوف، والرغبة ،والرهبة ، والتوكل ، والخشية .....إلخ

(٢) عبادة البدن : وهى العبادة الظاهرة للجوارح تتمثل فى القول والفعل ، فالقول مثل الدعاء ، والاستعانة ،والاستغاثة ، والحلف، وطلب المدد ، وذكر الله ﷻ، والفعل يتمثل فى الصلاة ، والركوع ، والسجود ، والطواف ، والزكاة ، والنسك والنذور ، والتقبيل ، والحلق ، والهدى ، وسائر العبادات البدنية والمالية ".([3])

أولا: عبادة القلب (الباطنة)

عبادات القلوب من أهم العبادات وأعظم القربات ، وبصلاحها تصلح الأعمال وبفسادها تفسد الأعمال ، فالقلب ملك الجسد ، إذا صلح صلحت المملكة كلها وإذا فسد فسدت المملكة كلها ، وهو محل نظر الله من العبد ، ولذلك قال النبى ﷺ :" ...ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب" ([٤])

وهذه العبادات: الإخلاص ، والمحبة ، والخوف ، والرجاء ، والرضا ، والصبر، والشكر ، والتفكر ، والتوكل ، والتقوى ، والورع ، والمحاسبة.

وأذكر منها العبادات التى كثيرًا ما يقع الشرك فيها ، للتنبيه عليها .

1- رواه البخارى :كتاب النكاح (باب الترغيب فى النكاح) ص : ٦٣٠ ح : ٥٠٦٣
مسلم: كتاب النكاح (باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغل من عجز عن المؤن والصوم) ص : ٦٦٤ ح : ١٤٠١

2- أخرجه ابن ماجه فى سننه : فى المقدمة (باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين): ١٦/١ ح : ٤٣ . وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة : ٩٣٧

3- حقيقة الإيمان:١٦١:١٦٤ بتصرف

[4] - أخرجه البخارى: كتاب الإيمان (باب من استبرأ لدينه) ص : ١٦ ح : ٥٢
مسلم :كتاب المساقاه (باب أخذ الحلال وترك الحرام) ص : ٧٩٢ ح : ١٥٩٩

المحبة :

" أصل التوحيد وروحه :إخلاص المحبة لله وحده ، وهى أصل التأله والتعبد لـه ، بل هى حقيقة العبادة . ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبتـه جميع المحـاب وتغلبهـا ويكون لهـا الحكم عليهـا بحيث تكون سـائر محـاب العبد تبعـا لهـذه المحبة التى بها سعادة العبد وفلاحه .

ومـن تفريعهـا وتكميلهـا الحـب فـى الله ، فيحـب العبـد مـا يحبـه الله مـن الأعمـال والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال ، ويوالى أولياءه ويعادى أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده ".([1])

ولا يجد العبد للإيمان حقيقـة وذوقـاً إلا بهـذا الحـب ، حـب الله ورسـولـه ﷺ ومـن والاه وبغض من عاداه .

عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال :" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار".([2])

قـال النـووى:" قولـه ﷺ: " ثـلاث مـن كـن فيـه وجـد بهـن حـلاوة الإيمـان مـن كـان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " .

وفـي روايـة : " مـن أن يرجـع يهوديـا أو نـصرانيا " ، هـذا حـديث عظـيم أصـل مـن أصـول الإسـلام . قـال العلمـاء رحمهم الله : معنـى حـلاوة الإيمـان استلذاذ الطاعـات وتحمل المشقات في رضـا الله عز وجل ، ورسـولـه ﷺ ، وإيثـار ذلـك علـى عـرض الـدنيا ، ومحبة العبـد ربـه - سـبحانه وتعـالى - بفعـل طاعتـه ، وتـرك مخالفتـه ، وكـذلك محبـة رسول الله ﷺ .

قال القاضي رحمه الله : هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم : " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ رسولا " وذلـك أنـه لا تـصح المحبـة لله ورسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهة الرجـوع إلـى الكفـر إلا لمن قوى بالإيمان يقينه ، واطمأنت به نفسه ، وانشرح له صدره ، وخالط لحمه ودمه وهذا هو الذي وجد حلاوته .

قال : والحب في الله من ثمرات حب الله . قال بعضهم : المحبة مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه ؛ فيحب ما أحب ، ويكره ما كره . واختلفت عبارات المتكلمين في هذا الباب بما لا يئول إلى اختلاف إلا في اللفظ . وبالجملة أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب".(3)

1- شرح كتاب التوحيد : ١٦٣،١٦٢ ، عبد الرحمن بن ناصر السعدى. ط / دار الألبانى

2- رواه البخارى : كتاب الإيمان(باب حلاوة الإيمان) ص : ١١ ح : ١٦

مسلم : كتاب الإيمان(باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) ص :٤٦ ح : ٤٣

3- شرح صحيح مسلم للنووى : ١٢/٢ . ط / الصفا

الخوف :

" الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال.

وأخوف الناس أعرفهم بنفسه وبربه ، ولذلك قال النبى ﷺ : " ... والله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية "(١)

وجوب الخوف من الله :

قال تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة:٤٠] .

وقال سبحانه :﴿ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ [البقرة:١٥٠]

وقال:﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]

قال ابن حجر(فى الخوف): " هو من المقامات العلية ، وهو من لوازم الإيمان"([2])

وقال السعدى:" وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله".([٣])

أقسام الخوف :

" الخوف أقسام :

الأول : خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع ، وهو ما يسمى بخوف السر. وهذا لا يصلح إلا لله ـ سبحانه ـ ، فمن أشرك فيه مع الله غيره ؛ فهو مشرك شركاً أكبر ، وذلك مثل : مَن يخاف من الأصنام أو الأموات ، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم ؛ كما يفعله بعض عباد القبور : يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله .

الثاني : الخوف الطبيعي والجبلي ؛ فهذا في الأصل مباح ، لقوله تعالى عن موسى : ﴿ فخرج منها خائفاً يترقب ﴾ ، وقوله عنه أيضاً : ﴿ رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ﴾ ، لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم ؛ فهو محرم ، وإن استلزم شيئاً مباحاً كان مباحاً ، فمثلاً من خاف من شيء لا يؤثر عليه وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مع وجوبها ؛ فهذا الخوف محرم ، والواجب عليه أن لا يتأثر به . وإن هدده إنسان على فعل محرم ، فخافه وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به ، فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر ، وإن رأى ناراً ثم هرب منها ونجا بنفسه ؛ فهذا خوف مباح ، وقد يكون واجباً إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه . وهناك ما يسمى بالوهم وليس بخوف ، مثل أن يرى ظل شجرة تهتز فيظن أن هذا عدو يتهدده ، فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك ، بل يطارد هذه الأوهام لأنه لا حقيقة لها ، وإذا لم تطاردها ؛ فإنها تهلكك" .([٤])

---

1 - رواه البخارى: كتاب الأدب (باب من لم يواجه الناس بالعتاب) . ص : ٧٣٧ ح : ٦١٠١

مسلم: كتاب الفضائل(باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته) ص : ١١٧٨ ح : ٢٣٥٦

2- فتح البارى شرح صحيح البخارى : ٤٣٥/١١، الإمام أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى . ط / دار مصر

3 - تيسير الكريم الرحمن : ١٨٥/١

4 - القول المفيد : ٦٠٤،٦٠٣

الرجاء :

معنى الرجاء : " الرَّجَاءُ: من الأَمَلِ نَقِيضُ اليَأْسِ" ([1]).

" وهو ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة ، ..هو ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما ، ...هو لغة الأمل وعرفا تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا ".([2])

وعليه : فرجاء الله سبحانه : هو تغليب الأمل على اليأس فى حصول رحمته وتوقع العفو والصفح منه . وإن كثرت ذنوب العبد وخطاياه ، نظراً إلى سعة رحمة مولاه .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنِطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

" يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال:﴿ قُلْ ﴾ يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين اللّه، مخبرا للعباد عن ربهم: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب. ﴿ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ أي: وصفه المغفرة والرحمة ، وصفان لازمان ذاتيان ، لا تنفك ذاته عنهما ، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود ، مالئة للوجود ، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، .ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره ، الإنابة إلى اللّه تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم.([3])

وعن أبى هريرةﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه "([4])

وعن أبي ذر، ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة، فجزاء سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبراً، تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي، أتيته هرولةً، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئةً لا يشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغفرةً.([1])

---

[1] ـ لسان العرب : باب رجا

[2] ـ تاج العروس من جواهر القاموس: فصل الراء ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى أبو الفيض ، الملقب بمرتضى الزبيدى . ط / المطبعة الخيرية

[3] ـ تيسير الكريم الرحمن : ٢/٩٢١-٩٢٢

[4] ـ أخرجه مسلم : كتاب التوبة (باب فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) ص: ٧٧٢ ح :٢٧٥٢

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.([2])

وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :" قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان([3]) السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب([4]) الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ".([5])

وعن جابر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول : " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل ".([6])

التوكل:

معنى التوكل على الله : " المُتَوَكِّل على الله : الذي يعلم أن الله كافِلٌ رزقه وأَمْرَه فيرْكَن إليه وحْدَه ولا يتوَكَّل على غيره. [قال] ابن سيده : وَكِلَ بالله وتوَكَّل عليه واتَّكَل استَسْلم إليه . وتكرّر في الحديث ذكر التَّوكُّل يقال : توكَّل بالأمر إذا ضَمِن القِيامَ به ووَكَلْت أمري إلى فلان أي أَلجَأْتُه إليه واعتمدت فيه عليه ووَكَّل فلانٌ فلاناً إذا استَكْفاه أمرَه ثِقةً بكِفايتِه أو عَجْزاً عن القِيام بأمر نفسه ووَكَل إليه الأمرَ سلَّمه "([٧])

فالمتوكل على الله سبحانه أيقن بعجزه عن كفاية نفسه وتدبير أمره ، وأيقن بكفاية الله له ، فسلمه زمام حاله ورضى بتقديره وتدبيره ، فاطمئن قلبه لذلك واستراح .

قال تعالى:﴿ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٢]

وقال:﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨]

وقال:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣]

وقال:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء:٨١]

وقال:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان :٥٨]

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال :" يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ، هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون "([٨])

1- رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء (باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى) ص:٧٥٧ ح : ٢٦٨٧

2- رواه مسلم : كتاب التوبة (باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة) ص :٧٧٤ ح :٢٧٥٩

3- عنان السماء : بفتح العين قيل هو : ما عن لك منها : أي ظهر إذا رفعت رأسك . وقيل هو : السحاب

4- قراب الأرض : بضم القاف وقيل بكسرها والضم أصح وأشهر هو : ما يقارب ملأها

5 - رواه الترمذي : كتاب الدعوات : ٥١٢/٥ ح : ٣٥٤٠ وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، صححه الألبانى فى الصحيحة :١٢٧

6- رواه مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت) ص :١٤١٩ح : ٢٨٧٧

[7] - لسان العرب ، باب : وكل

[8] - رواه البخارى : كتاب الرقاق (باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ص:٧٧٧ ح :٦٤٧٢

وعن عمر بن الخطاب قال أنه سمع النبى ﷺ يقول :" لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا "([1])
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فإن التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات كما أن الإخلاص لله واجب وقد أمر الله بالتوكل في غير آية، أعظم مما أمر بالوضوء وغسل الجنابة، ونهى عن التوكل على غيره سبحانه".([2])
" وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه ، ويتم توحيده ، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به فى كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه .
وحقيقة التوكل على الله : أن يعلم العبد أن الأمر كله لله ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه هو النافع الضار المعطى المانع ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه فى جلب مصالح دينه ودنياه ، وفى دفع المضار ، ويثق بربه فى حصول مطلوبه ، وهو مع هذا باذل جهده فى فعل الأسباب النافعة .([3])

ثانيا: عبادة البدن (الظاهرة)

أ - عبادة اللسان (القولية)

الدعاء:

الدعاء:بالضم ممدودا : الرغبة الى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال ومنه قوله تعالى:﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف:٥٥] ".(٤)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].
" قال بعض العلماء﴿ ادعوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ اعبدوني أثبكم من عبادتكم ، ويدل لهذا قوله بعده : ﴿ إِنَّ الذين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .
وقال بعض العلماء : ﴿ ادعوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أي اسألوني أعطكم . ولا منافاة بين القولين ، لأن دعاء الله من أنواع عبادته ".(٥)
وعن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال :" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء " ([6])
وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي "([7])

---

[1] - أخرجه أحمد : ٣٨/١ ح : ٢٠٦ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وصححه الألباني فى الصحيحة :٣١٠
2- مجموع الفتاوى:١٦/٧
3- شرح كتاب التوحيد ، ابن سعدى : ١٧٢،١٧٣
[4] - تاج العروس: فصل الدال .
[5] - أضواء البيان فى تفسير القرآن بالقرآن:١٠٤/٧ ، محمد الأمين الشنقيطى . ط / دار عالم الفوائد
6 - رواه مسلم : كتاب الأذان (باب ما يقال فى الركوع والسجود) ص : ٢٢٨ ح : ٤٨٢.
7- رواه البخارى: كتاب الدعوات (باب يستجاب للعبد ما لم يعجل) ص : ٧٦٤ ح : ٦٣٤٠

الاستغاثة :

" الاسْتِغَاثَةُ : طَلبُ الغَوْثِ وهو التَّخْلِيصُ من الشِّدةِ والنِّقْمَةِ والعَوْنُ على الفَكَاكِ من الشّدائِدِ "([1])

قال تعالى :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩] .

" لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة ونَيّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مد يديه، وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: " اللهم أين ما وعدتني، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا "، قال: فما زال يستغيث ربه ﷻ ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده، ثم التزمه من ورائه، ثم قال : يا رسول الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ، ﷻ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩] .([2])

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب :

" لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ، رب العرش العظيم "([3])

عن أنس ﷺعن النبيّ ﷺ أنه كان إذا أكربه أمر قال : " يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ "([4])

وعن أسماء بنت عُمَيْس رضي اللّه عنها، قالت :قال لي رسول اللّه ﷺ: " ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو في الكرب الله الله ربى لا أشرك به شيئا " (5)

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : " إني لأَعْلَمُ كَلِمَةً لا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إلاَّ فُرِّجَ عَنْهُ : كَلِمَةَ أخي يُونُسَ ﷺ : ﴿ فنَادَى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إني كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .([6])

هكذا كان النبىﷺ والصحابة رضى الله عنهم إذا نزلت به الشدائد فزعوا إلى سبحانه يستغيثون به ليفرج عنهم البلاء ويزيل عنهم الكربات ، ما لجأوا ولا استغاثوا إلا بالله.

مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (باب بيان أنه يستجاب للداعى ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى) ص : ٧٦٧ ح : ٢٧٣٥

[1] - تاج العروس : باب غوث

[2] - تفسير ابن كثير : ٢٨٩/٢

3- سبق تخريجه

4- رواه الترمذى : كتاب الدعوات (باب ٩٢) : ٥٠٤/٥ ح : ٣٥٢٤، صححه الألبانى فى الصحيحة :٢٢٧

5- سنن أبى داود : كتاب الصلاة (باب الاستغفار) ص : ٢٥٣ ح : ١٥٢٥. وصححه الألبانى فى الصحيحة : ٢٧٥٥،٢٧١٤

6- سنن الترمذى : كتاب الدعوات : ٤٩٥/٥ ح : ٣٥٠٥.، صححه الألبانى فى الصحيحة ١٧٤٤:

الاستعاذة :

" عاذ به يَعُوذ عَوْذاً وعِياذاً ومَعاذاً: لاذ فيه ولجأ إِليه واعتصم"([1])

والاستعاذة بالله :هي الالتجاء إلى الله والدخول فى حماه للنجاة من كل ذي شر.

" وهى من العبادات التى أمر الله تعالى عباده بها ، كما قال تعالى:﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّـهِ إِنَّـهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦] . وأمثال ذلك فى القرآن كثير ، كقوله :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾[الفلق:١] ،﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ [الناس:١]. فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك".(2)

وقال سبحانه عن السيدة مريم :﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:١٨].

وعن خولة بنت حكيم – رضى الله عنها – قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرحل من منزله ذلك " ([3])

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ ؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا خاف قوماً قال : " اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ " .([4])

الاستعانة :

الاستعانة : هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.([5])

قال تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]

قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك ، والثاني تبرؤ من الحول والقوة ، والتفويض إلى الله ﷻ......وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ إياك نعبد ﴾ يعني: إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك ﴿ وإياك نستعين ﴾على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

وقال قتادة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أمركم.([6])

وعن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال : " يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " ([1])

---

1 - لسان العرب : باب عوذ

2- فتح المجيد : ٢٦٨ . بتصرف

3 - رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار(باب فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره) ص : ١٣٤٢ ح : ٢٧٠٨

4- أخرجه أبو داود فى سننه : كتاب الصلاة (باب ما يقول الرجل إذا خاف قوما) ص : ٢٥٦ ح : ١٥٣٧ ، صححه الألبانى فى المشكاه :٢٤٤١

5 - تيسير الكريم الرحمن : ٢٢/١

6- تفسير ابن كثير : ٢٦،٢٥/١ . باختصار

عن أنس ﷺ؛أن رسول اللّه ﷺ قال : " اللّهُمَّ لا سَهْلَ إلاّ ما جَعَلْتَهُ سَهْلاً، وأنْتَ تَجْعَلُ الحَزْنَ إذَا شِئْتَ سَهْلاً " (2)
قلتُ : الحَزْن بفتح الحاء المهملة وإسكان الزاي : وهو غليظ الأرض وخشنها
ب- عبادة الجوارح (الفعلية)
الصلاة وكافة أعمالها والحج وكافة أعماله ، والذبح ، والنذر ، والزكاة والصدقة .
قال تعالى:﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤]
وقال:﴿ وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٨]
وقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ [الحج:٧٧]
فالصلاة أو بعض أعمالها من قنوت وركوع وسجود عبادة لله ﷻ ولا يجوز صرفها إلا لله تعالى .
وقال تعالى :﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ [البقرة:١٩٦]
وقال أيضا :﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة:١٥٨] .وقال أيضا:﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[الحج:٢٩]
فالحج وكافة أعماله من طواف وسعي وجمرات ونسك ودعاء وتلبية وغيرها عبادة لله ﷻ، ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله تعالى.
الذبح :
قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].
قال ابن كثير: " يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه ، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢] أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك ، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه ، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى. قال مجاهد في قوله: ﴿ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي ﴾ قال: النسك: الذبح في الحج والعمرة. وقال الثوري، عن السُّدِّي عن سعيد بن جُبَيْر: ﴿ وَنُسُكِي ﴾ قال: ذبحي. وكذا قال السُّدِّي والضحاك.(٣)

النذر:
قال تعالى :﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان:٧]
وقال سبحانه:﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [البقرة:٢٧٠]
عن عائشة – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: " من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه ".(4)

---
[1] - سبق تخريجه
2- أخرجه ابن حبان ح : ٩٧٤ ، صححه الألبانى فى الصحيحة : ٢٨٨٦
[3] - تفسير ابن كثير: ١٩٨/٢
4- رواه البخارى : كتاب الأيمان والنذور(باب النذر فيما لا يملك وفى معصية) ص : ٨٠٠ ح : ٦٧٠٠

الزكاة والصدقة والإنفاق فى سبيل الله:
قال تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٣]
وقال أيضاً :﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٧١]
وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[التوبة: ١١١]
هذه كلها صور من عبادة الله سبحانه لا يجوز فعلها بنية التعبد إلا لله وحده.



الفصل الرابع

توحيد الأسماء والصفات

الفصل الرابع

توحيد الأسماء والصفات

معنى توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات ، يقصد به إفراد الله بأسمائه وصفاته ، وبالضوابط الشرعية .

قال البربهارى :" ولا يُتكلمُ فى الرب إلا بما وصف به نفسه ﷻ فى القرآن ، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه فهو – جل ثناؤه – واحد :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]" ([1])

قال شيخ الإسلام: " ثم القول الشامل في جميع هذا الباب : أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون ؛ الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث . قال الإمام أحمد رضي الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث . ومذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل " ([2])

وقال: " وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة ، وله أفعال حقيقة ، فكذلك له صفات حقيقة ، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ؛ ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى ".([3])

قال الشيخ العثيمين : " إفراد الله ﷻ بما له من الأسماء والصفات .

وهذا يتضمن شيئين :

الأول: الإثبات ، وذلك بأن نثبت لله ﷻ جميع أسمائه وصفاته التى أثبتها لنفسه فى كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

الثانى : نفى المماثلة ، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً فى أسمائه وصفاته كما قال تعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .([4])



---

[1] - شرح السنة : ٥٧ ، أبى محمد الحسن بن على بن خلف البربهارى . ط / دار ابن حزم

[2] - الفتوى الحموية الكبرى : ٢٦٥ ، شيخ الإسلام / تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية. ط / دار الصميعى

[3] - المصدر السابق : ٢٦٦

4- القول المفيد : ٢٦

قواعد وأصول فى الأسماء والصفات

أسماء الله توقيفية لا تثبت بالعقل:

" أسماء الله لا تثبت بالعقل ، وإنما تثبت بالشرع فهى توقيفية ، يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلايزاد فيها ولا ينقص ؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء ، فوجب الوقوف فى ذلك على الشرع ؛ لأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية فى حقه تعالى ، فوجب سلوك الأدب فى ذلك".([1])

وعليه فلا يجوز لأحد أن يسمى الله بما لم يسم به نفسه أو يصفه بما لم يصف به نفسه سبحانه وتعالى ، كما لا يجوز له أن يمتنع عن وصف الله بما وصف به نفسه ﷻ ؛ مع تنزيهه سبحانه عن مماثلة المخلوقين .

أسماء الله كلها حسنى :

قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] .
قال السعدى: "هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى ، فإنها لو دلت على غير صفة ، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح ، لم تكن حسنى ، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها. وذلك نحو: ﴿ العليم ﴾ الدال على أن له علما محيطا عاما لجميع الأشياء ، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.
و كـ ﴿ الرحيم ﴾ الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء.
و كـ ﴿ القدير﴾ الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك.
ومن تمام كونها "حسنى" أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا اللّهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عَلَيَّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك ".([2])

الأسماء الحسنى لا عد لها ولا حصر:

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة " ([٣])

قال الحكمى : " واعلم أن أسماء الله ﷻ ليست بمنحصرة فى التسعة والتسعين

1- لمعة الاعتقاد : ٦ ، موفق الدين بن قدامة المقدسى ، شرح محمد بن صالح العثيمين. ط / مكتبة الرحاب
2- تيسير الكريم الرحمن : ٣٨٣/١
3 - رواه البخارى : كتاب الشروط (باب ما يجوز من الاشتراط .....) ص : ٣٣١ ح : ٢٧٣٦. ومسلم: كتاب الذكر والدعاء (باب فى أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) ص : ٧٥٥ ح : ٢٦٧٧.

المذكورة فى حديث أبى هريرة ولا فيما استخرج العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين ، لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال:" ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً " فقيل : يا رسول الله ، أفلا نتعلمها ؟ فقال:" بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها (1)". (2)
وأما قوله ﷺ :" من أحصاها دخل الجنة "(3) فليس معناه حصر الأسماء فى التسعة وتسعين ، ولكن المقصود أن " له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة . وهذا لا ينفى أن يكون له أسماء غيرها . وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد ، فلا ينفى هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد ، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه ".(4)

من الأسماء والصفات ما لا يطلق على الله ﷻ إلا مقترنا بمقابله ، أو مقيداً فى سياقه الخاص به :

قال الحكمى:" واعلم أن من أسماء الله ﷻ ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك ، فمنها المعطى المانع ، والضار النافع ، والقابض الباسط ، والمعز المذل ، والخافض الرافع ، فلا يطلق على الله ﷻ المانع الضار القابض المذل الخافض كلاً على انفراده ، بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها ، إذ لم يطلق فى الوحى إلا كذلك ، ومن ذلك المنتقم لم يأت فى القرآن إلا مضافا إلى ذو كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٤] أو مقيداً بالمجرمين كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢].(5)
واعلم أنه قد ورد فى القرآن أفعال أطلقها الله ﷻ على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة . وهى فيما سيقت فيه مدح وكمال ، ولكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منهما أسماء ولا تطلق عليه فى غير ما سيقت فيه من الآيات ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ يُخَـادِعُونَ اللّـهَ وَهُوَ خَـادِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] ، وقوله : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ ﴾ [آل عمران:٥٤] ، وقوله تعالى: ﴿ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧] .
وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة:١٤،١٥]، ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناسٍ مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، ولا يقال الله يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

1- رواه أحمد فى المسند ، من حديث عبد الله بن مسعود :٥٠٨/١،٥٠٩ ح :٣٧١١ وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة ح : ١٩٩
2- معارج القبول : ٥١ .
3 - سبق تخريجه
4 - بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية : ١٥٥/١. ط / مكتبة الصفا
5- معارج القبول : ٥١،٥٢

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : " إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً ، ولا ذلك داخل فى أسمائه الحسنى ، ومن ظن من جهال المصنفين فى شرح الأسماء أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه ، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء ، وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها فى الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم ، وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا ، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد ، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأت فى أسمائه الحسنى المريد والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ ، ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعى والآتى والجائى والذاهب والقادم والرائد والناسى والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التى أطلق تعالى على نفسه أفعالها فى القرآن ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل . والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق".([1])

القول فى جميع الصفات من باب واحد :

إن إخضاع عدد من الصفات لقواعد ضابطة لفهمها يمنع التمثيل والتعطيل ، دون الباقى من الصفات ، شأن أهل البدع ، وهو ما ليس عليه دليل .

فيثبتون لله سمعا يليق به ، ثم يزعمون أنه لا يرضى ولا يغضب ، لأن ذلك يماثل المخلوقين بزعمهم .

والصحيح أن يقال : أن جميع الصفات المنسوبة لله تليق به ، ولا يحل تعطيل بعضها خوفا من التمثيل ، فالذى أخرجهم من التمثيل فى السمع والبصر لله ، يخرجهم منه فى سائر الصفات ، كالغضب والرضا ، واليد ....إلخ

قال شيخ الإسلام :" القول فى بعض الصفات كالقول فى بعض . فإن كان المخاطب ممن يقر : بأن الله حي بحياة ، عليم بعلم ، قدير بقدرة ، سميع بسمع ، بصير ببصر متكلم بكلام مريد بإرادة ، ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع فى محبته ورضاه وغضبه وكراهيته فيجعل ذلك مجازا ، ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات .

قيل له : لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته ، بل القول في أحدهما كالقول فى الآخر فان قلت : إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه ، وهذا هو التمثيل ، وإن قلت : له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به قيل لك : وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة يليق به ، وله رضا وغضب يليق به ، وللمخلوق رضا وغضب يليق به .

وان قال : الغضب غليان دم القلب لطب الانتقام .قيل له : والإرادة ميل النفس الى جلب منفعة أو دفع مضرة ،فان قلت : هذه إرادة المخلوق . قيل لك : وهذا غضب

1- المصدر السابق : ٥٢

المخلوق .
وكذلك يُلزم بالقول فى كلامه وسمعة وبصره وعلمه وقدرتة ، إن نفي عن الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو من خصائص المخلوقين ، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات ، وإن قال : إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه قيل له : وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.
فهذا المُفرِّق بين بعض الصفات وبعض ، يقال له : فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته "([1])
قال الشنقيطى : "... جميع الصفات من باب واحد إذ لا فرق بينها البتة لأن الموصوف بها واحد وهو جل وعلا لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة فكما أنكم أثبتم له سمعاً وبصراً لائقين بجلاله لا يشبهان شيئاً من أسماع الحوادث وأبصارهم فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنزول والمجيء إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه" ([2])

القول فى الصفات كالقول فى الذات :

علمُنا بذات الله سبحانه ، كعلمنا بصفاته ، فضوابط فهم الصفات ، هى نفس ضوابط فهم ما جاء فى الذات الإلهية.

قال شيخ الإسلام :" القول فى الصفات كالقول في الذات ، فان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات "([3])

قال الشنقيطى: " ... أنّ الصفات والذات من باب واحد فكما أننا نثبت ذات الله جل وعلا إثبات وجود وإيمان لا إثبات كيفية مكيفة فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات وإيمان ووجود لا إثبات كيفية وتحديد".([4])



[1] - التدمرية: ٣١-٣٣ ، شيخ الإسلام / ابن تيمية . ط / العبيكان
[2] - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : ٤٥-٤٦.العلامة : محمد الأمين الشنقيطى . ط / مكتبة السنة
[3] - التدمرية : ٤٣
[4] - دراسات لآيات الأسماء والصفات : ٤٦

طريقة السلف فى فهم الصفات

السلف يثبتون ما أثبته الله ورسوله من الصفات ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل :

لقد تعامل السلف مع نصوص الصفات بسهولة وتلقائية ، خالية من التكلف والتنطع وسلموا لظاهر النص فلم يحرفوا ولم يعطلوا ولم يكيفوا صفة من صفات الله ، ولا خطر ببالهم التمثيل ؛ فكانوا – رحمهم الله – أمة وسطا ، لا غلو ولا تفريط .

وقد أنكر السلف على من عطل أو أنكر شيئا من الصفات أو شبه أو كيف أو مثل :

قال أحمد بن أبى شريح :" سمعت وكيعا يقول - وحدثنا بحديث فى الرؤية أو غيره - قال : من رأيتموه ينكر من هذه الأحاديث فاحسبوه من الجهمية "

وقال محمد بن مصعب العابد - يناجى الله - :" من زعم أنك لا تتكلم ولا ترى فى الآخرة فهو كافر بوجهك ولا يعرفك أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سماوات ليس كما يقول أعداؤك الزنادقة "

وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله فقلنا له يا أبا عبد الله إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: إن الله ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا، وإن أهل الجنة يرون ربهم ، فحدثنى شريك بنحو من عشرة أحاديث فى هذا ، وقال أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن أصحاب رسول الله فهم عمن أخذوه ؟؟"

قال العباس بن محمد الدورى :" سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر الباب الذى يروى فيه حديث الرؤية والكرسى وموضع القدمين وضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره وأين كان ربنا قبل أن يخلق السماء وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك ﷻ قدمه فيها فتقول قط قط وأشباه هذه الأحاديث فقال : هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض وهى عندنا حق لا شك فيها ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه وكيف ضحك قلنا لا يفسر هذا ولا سمعنا أحدا يفسره"

قال يحيى بن معين : " شهدت زكريا بن عدى يسأل وكيعا فقال يا أبا سفيان هذه الأحاديث يعنى مثل الكرسى موضع القدمين ونحو هذا فقال وكيع أدركنا إسماعيل بن أبى خالد وسفيان وسليمان يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئا "

قال سفيان بن عيينة :" كل ما وصف الله به نفسه فى القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل "

قال أحمد بن الدورقى :" سمعت وكيعا يقول نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف هذا ولم جاء هذا "

قال : أحمد بن نصر رحمه الله :" سمعت سفيان بن عيينة وأنا فى منزله بعد العتمة فجعلت ألح عليه فى المسألة فقال دعنى أتنفس فقلت له يا أبا محمد إنى أريد أن أسألك عن شيء فقال لا تسأل فقلت لا بد من أن أسألك إذا لم أسألك فمن أسأل فقال: هات ، سل فقلت: كيف حديث عبيدة عن عبد الله عن النبى إن الله ﷻ يحمل السماوات على أصبع والأرضين على أصبع ..

وحديث إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ..

وحديث إن الله ﷻ يعجب ويضحك ممن يذكره فى الآفاق. فقال سفيان: هى كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف "

وعن الوليد بن مسلم قال سألت الأوزاعى ومالك بن أنس وسفيان الثورى والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية وغير ذلك فقالوا أمضها بلا كيف " ([1])

قال شيخ الإسلام: " ... فالأصل فى هذا الباب أن يوصف الله بما وصف بـه نفسه ، وبما وصفه به رسله نفيا وإثباتا ، فنثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفـى عنـه مـا نفاه عن نفسه .

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها ، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه – مع ما أثبته من الصفات – من غير إلحاد ، لا فى أسمائه ولا فى آياته ، فإن الله ذم الذين يلحدون فى أسمائه وآياته ، كما قال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت:٤٠]

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات ، مع نفى مماثلة المخلوقات ، إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] ، ففى قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد للتشبيه والتمثيل ، وقوله :﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل .

والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل ، ونفى مجمل ، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل ، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل "([2])

وقال العلامة الشنقيطي: " اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف....

اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركز على ثلاثة أسس ، من جاء بها كلها فقد وافق الصواب ، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحدٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل ، وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها القرآن العظيم .

- أحد هذه الأسس الثلاثة هو تنزيه الله جل وعلا عن أن يُشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين .

وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١]

﴿ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٤] ،﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤]

- الثاني من هذه الأسس: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه ، لأنه لا يصف الله أحدٌ أعلم بالله من الله ﴿ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٠] .

والإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال في حقه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم:٣-٤]

---

[1] - كتاب الصفات : (٤٢-٤٨) ، على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن الدار قطنى . ط/ ابن الجوزى

[2] - التدمرية : ٧- ٨

فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة المخلوقين .....

- [الثالث من هذه الأسس:] قطع الطمع عن إدراك الكيفية "([1])

وقال الشيخ عبد الله بن جبريل : " قال تعالى:﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف :١٨٠]

تدل الآية على وجوب إثبات الأسماء والصفات لله من غير تحريف ، ولا تعطيل ولا تمثيل ، لأن هذه الأمور الثلاثة من الإلحاد.

وقال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

دلت الآية على وجوب نفي التمثيل مع وجوب الإثبات .

وقال تعالى:﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦] . دلت الآية على وجوب نفي التكييف وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.([2])

وقال : " والتحريف معناه : صرف اللفظ عن المعنى المتبادر منه بلا دليل كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة أو النعمة ، وتحريف معنى الاستواء إلى الاستيلاء ، وتحريف معنى الضحك إلى الثواب ، وغير ذلك ، كما فعل الأشاعرة وغيرهم ، وهو المسمى بالتأويل .

والتعطيل معناه : إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات ، أو إنكار بعضها .

والتكييف معناه : حكاية كيفية الصفة ، كقول القائل : كيفية يد الله كذا وكذا ونزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا

ومعنى التمثيل : إثبات مثيل للشئ ، كأن يقول : يد الله مثل يد الإنسان.([3])

قلت : والتحريف ، يزعم أهل البدع أنه تأويل وأهل السنة لا يمنعون التأويل ، لأن التأويل يقصد به التفسير ، ولكن المبتدعة يحرفون المعنى ، ويزعمون أنه تأويل .

قال شيخ الإسلام فى التأويل الباطل : " .... وأما التأويل المذموم والباطل : فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله الى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل! ويصرفونه الى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه ! فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقا ممكنا كان المنفي مثله وان كان المنفي باطلا ممتنعا كان الثابت مثله "([4])

---

[1] - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : ٨ ، ٥٦.

2- تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية ، أ . د / عبد الله بن عبد العزيز الجبرين : ٥٣ بتصرف ط / مكتبة مكة

3- المصدر السابق :٥٥،٥٤ بتصرف

[4] - التدمرية : ١١٣

صفات الله سبحانه تتشابه مع صفات الخلق بغير مطابقة ولا مماثلة :

الصفة تختلف باختلاف الذات التي تضاف إليها ؛ وقد تتشابه صفات الحق سبحانه مع غيره من المخلوقات فى اللفظ فقط ؛ أو بقدر يسير ، مع فارق كبير ؛ غير أنها لا تتطابق ولا تتماثل أبدا.

وأنت ترى فى المخلوقين أنفسهم ؛ تناسب الصفة للموصوف ؛ فعلى سبيل المثال:

الإنسان له يد والكوز له يد والسكين لها يد والبعير له يدان ، وهذه الأيدى تتشابه في اللفظ وتختلف جملة وتفصيلا في الحقيقة والكيفية .

فليست يد الإنسان مماثلة ليد الكوز ، ولا يد الكوز ، تماثل يد البعير ، ولا يد البعير كيد السكين ....إلخ

وكذلك الإنسان له وجه والسيارة لها وجه والبعير له وجه والأرض لها وجه، ولا علاقة بين كيفية هذه الوجوه ، وإنما هو اشتراك فى اللفظ فقط.

وإذا كان ذلك الفارق بين المخلوقين، فمن باب أولى ألا تتشابه صفات الخالق سبحانه بصفات المخلوقين.

فمن هذا التشابه – مع الفارق - بين صفات الخلق والخالق سبحانه :

قوله عن نفسه سبحانه :﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء:٥٨]

وقوله عن خلقه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان :٢]

فللخالق سمع وبصر يليق به سبحانه ، وللمخلوق سمع وبصر يليق به ، ولا وجه للتماثل بين سمع الخالق وبصره وبين سمع المخلوق وبصره .

وقال عن نفسه ﷻ :﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة :١٤٣]

وقال عن نبيه ﷺ :﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]

ولله الصفات اللائقة به وللنبى ﷺالصفات التى تليق به ولا وجه للمماثلة بين هذه وتلك.

وقال عن نفسه سبحانه:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام:١٥١]

وقال عن خلقه: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء:٨]

ولا وجه للمماثلة بين رزق الله للناس ورزق الناس للناس .

فالرزق معناه العطاء والله يعطى من العدم والمخلوق يعطى من رزق الله ؛ والله ليس لعطائه حدود والمخلوق يعطى قدر طاقته المحدودة ، التى قدرها الله له .

ومثل هذا التشابه كثير جدا فى القرآن والسنة .

ولسنا فى حاجة إلى تأويل الصفات ؛ أو تعطيلها ؛ خوفا من الوقوع فى مماثلة صفات الخالق لصفات المخلوق ، لأن ذلك لا تحتمله النصوص أصلا ؛ حال قبولها على ظاهرها .

وأما قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٤]

حيث أثبت خالقين غيره تعالى .

فالخلق يكون بمعنى الإيجاد ، ولا موجِد من العدم سوى الله ، ويكون بمعنى التقدير.
وبنو آدم قد يصوِّرون ويقدِّرون ويصنعون الشيء ،فالله خير المصوِّرين والمقدِّرين.
وبذلك فصفات الله سبحانه ثابتة له على الوجه اللائق به وصفات المخلوقين ثابتة لهم على الوجه اللائق بهم .

قال شيخ الإسلام : " والله سبحانه منزه عن خصائص المخلوق وملزومات خصائصه. وهذا الموضع من فهمه فهما جيدا، وتدبره ، زالت عنه عامة الشبهات وانكشف له غلط كثير من الأذكياء في هذا المقام، وقد بسط هذا في مواضع كثيرة ، وبُين فيها أن القدر المشترك الكلي لا يوجد في الخارج إلا معينا مقيدا ، وان معنى اشتراك الموجودات في أمر من الأمور هو تشابهها من ذلك الوجه ، وأن ذلك المعنى العام يطلق على هذا وهذا ، لا أن الموجودات في الخارج لا يشارك أحدها الآخر في شيء موجود فيه، بل كل موجود متميز عن غيره بذاته وصفاته وأفعاله.
ولما كان الأمر كذلك كان كثير من الناس يتناقض في هذا المقام، فتارة يظن أن إثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل ، فيجعل ذلك له حجة فيما يظن نفيه من الصفات ، حذرا من ملزومات التشبيه ؛ وتارة يتفطن أنه لا بد من إثبات هذا على تقدير، فيجيب به فيما يثبته من الصفات لمن احتج به من النفاة "([1])



[1] ـ التدمرية : ١٢٧ـ ١٢٨

اعتقاد الأئمة الأربعة فى الصفات

أبو حنيفة رحمه الله :

قال: " لا يوصف الله بصفات المخلوقين ، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف ، وهو قول أهل السنة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال : غضبه عقوبته ورضاه ثوابه ، ونصفه كما وصف نفسه ، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، حى قادر سميع بصير عالم ، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدى خلقه ووجهه ليس كوجوه خلقه "

وقال : " وله يد ووجه ونفس ، كما ذكره الله تعالى فى القرآن ، فما ذكره الله تعالى فى القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس ، فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته ، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال "

وقال:" لا ينبغى لأحد أن ينطق فى ذات الله بشىء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئا تبارك الله وتعالى رب العالمين " ([1])

وقال :" ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر "

وقال : " من قال لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض فقد كفر ، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدرى العرش أفى السماء أم فى الأرض " ([2])

مالك بن أنس رحمه الله :

عن الوليد بن مسلم قال : " سألت مالكا والثورى والأوزاعى والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية ، وغير ذلك فقالوا : أمضها بلا كيف " ([3])

وأخرج أبو نعيم عن جعفر بن عبد الله قال : " كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله ، الرحمن على العرش استوى ، كيف استوى ؟

فما وجد مالك من شىء ما وجد من مسألته ، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود فى يده حتى علاه الرحضاء – يعنى العرق – ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال : الكيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة ، وأمر به فأخرج " ([4])

" وأخرج أبو داود عن عبد الله بن نافع قال :" قال مالك : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان " ([5])

الشافعى رحمه الله :

قال فى كتابه الرسالة :" والحمد لله .. الذى هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه "

وأورد الذهبى عنه فى السير أنه قال :" نثبت هذه الصفات التى جاء بها القرآن ووردت بها السنة وننفى التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

---

[1] ـ اعتقاد الأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد : ١٠ ، محمد بن عبد الرحمن الخميس . ط / دار العاصمة

[2] ـ المصدر السابق : ١٢

[3] ـ الصفات للبيهقى : ٤٧

[4] ـ اعتقاد الأئمة الأربعة : ٢٨

[5] ـ المصدر السابق : ٣٠

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] .
وقال " من قال القرآن مخلوق فهو كافر "
وقال :" .. ولكن نثبت هذه الصفات وننفى التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه تعالى ذكره فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] "(١)

أحمد بن حنبل رحمه الله :

جاء فى كتاب المحنة لحنبل ، أن الإمام أحمد قال : " لم يزل الله عز وجل متكلما والقرآن كلام الله ﷻغير مخلوق وعلى كل جهة ، ولا يوصف الله بشىء أكثر مما وصف به نفسه ﷻ"
وقال: " من زعم أن الله لا يتكلم فهو كافر إلا أننا نروى هذه الأحاديث كما جاءت "
وقال : " صفوا الله بما وصف به نفسه ، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه "
وقال : " نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد ، فصفات الله منه وله وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار "
وقال : " من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر مكذب بالقرآن "
وعن عبد الله بن أحمد قال : " سألت أبى عن قوم يقولون : لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت فقال : أبى : تكلم الله بصوت وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت "(٢)



[1] ـ اعتقاد الأئمة الأربعة : ٤٣، ٤٤، ٤٩
[2] ـ المصدر السابق : ٦٣-٦٥

بيان لبعض الصفات مما اختلف فيه الناس

خلق آدم على صورة الرحمن :

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ " خلق الله آدم على صورته : طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك : فإنها تحيتك و تحية ذريتك فقال : السلام عليكم : فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه :" ورحمة الله " فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن "([1])

عن ابن عمر مرفوعا " لا تقبحوا الوجه ؛ فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن ﷻ"([2]).

قال بدر الدين بن جماعة : " واختلف العلماء فيمن يعود الضمير في صورته إليه : فقيل هو عائد إلى المضروب أو المشتوم وهو الأقرب ، وأصله أن النبي ﷺ مر برجل يضرب آخر على وجهه فقال ذلك حثا على احترام الوجه لما فيه من المنافع والحواس وخص آدم عليه السلام بالذكر لأنه أول من خلق على هذه الصورة ، وقيل أشار بذلك إلى أن آدم على صورة بنيه لا كما يقال عنه من عظم الجثة وطول القامة إلى السماء وشبه ذلك ، وقيل الضمير عائد إلى آدم ومعناه أن الله تعالى ابتدأ خلقه بشرا تاما على صورته من غير نقل من نطفة إلى علقة إلى مضغة كغيره من بنيه فيكون المراد الحث على حرمتها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى:﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩]. وقيل إشارة إلى أن آدم وإن خالف وعصى بعد كرامة الله تعالى له فإن الله لم يغير صورته لما أهبطه من الجنة كما غير صورة إبليس والحية والطاووس بل أبقاه على صورته رحمة ولطفا به وكرامة فإن قيل فقد روي في بعض طرق الحديث " على صورة الرحمن " . قلنا هذه الرواية ضعيفة جدا وضعفها الأئمة وأرسلها الثوري ورفعها الأعمش وكان يدلس أحيانا إذا لم يصرح بالسماع ، وأيضا فيحتمل أن يكون بعض الرواة توهم عود الضمير إلى الله تعالى فرواه بالمعنى على زعمه واعتقاده فأخطأ وأيضا ففي رواته حبيب بن أبي ثابت وكان يدلس ولم يصرح بسماعه عن عطاء . وبتقدير صحته وعود الضمير إلى الله تعالى فقيل المراد بالصورة الصفة أي على صفته من العلم والإرادة والسلطة بخلاف سائر حيوانات الأرض وميزه بها وميزه على الملائكة بسجودهم له فيكون

---

[1] - متفق عليه : البخارى (كتاب الاستئذان) ، باب بدء السلام . ص: ٧٥١. ح : ٦٢٢٧.
مسلم : (كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها) ، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير .
ص : ٦٦٣. ح : ٢٨٤١.

2 - ضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة والموضوعة : ١١٧٦ ، قال – رحمه الله - في " السلسلة الضعيفة و الموضوعة " : ٣/٣١٦ .
ضعيف : أخرجه الآجري في " الشريعة " (ص: ٣١٥) و ابن خزيمة في " التوحيد " (ص:٢٧) و الطبراني في " الكبير " (٣/٢٠٦/٢) و الدار قطني في كتاب " الصفات " (٤٨/٦٤) والبيهقي في " الأسماء و الصفات " (ص:٢٩١) من طرق عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر مرفوعا.

المراد بذلك تشريف آدم كما تقدم ذلك .
وفي هذا الجواب نظر لأن ذلك لا يختص بالوجه . وقيل وهو الأقرب إن الإضافة إضافة الملك والخلق لأنه الذي خلق صورة آدم وهو مالكها ومخترعها كما قال تعالى :﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ [لقمان:١١] . وذلك لأن الصفة كما يصح إضافتها إلى الموصوف يصح إضافتها إلى خالقها وموجدها تشريفا لها وتكريما ومن قال بأن لله تعالى صورة وخلق آدم عليها فمردود عليه لما فيه من التجسيم وكذلك من قال صورة لا كالصور"([1])

قال الشيخ ابن باز :" والمعنى عند أهل العلم أن الله خلق آدم سميعا بصيرًا ، متكلما إذا شاء ، وهذا هو وصف الله فإنه سميع بصير متكلم إذا شاء ، وله وجه جل وعلا وليس المعنى التشبيه والتمثيل ، بل الصورة التي لله غير الصورة التي للمخلوق ، وإنما المعنى أنه سميع بصير متكلم إذا شاء ومتى شاء ، وهكذا خلق الله آدم ، سميعا بصيرا ، ذا وجه وذا يد وذا قدم ، ولكن ليس السمع كالسمع ، وليس البصر كالبصر ، وليس المتكلم كالمتكلم ، بل لله صفاته جل وعلا التي تليق بجلاله وعظمته ، وللعبد صفاته التي تليق به ، صفات يعتريها الفناء والنقص ، وصفات الله سبحانه كاملة لا يعتريها نقص ولا زوال ولا فناء ، ولهذا قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] وقال سبحانه : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٤] فلا يجوز ضرب الوجه ، ولا تقبيح الوجه "([2])

استواء الله على عرشه وعلوه فوق خلقه :

قال تعالى:﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥]
وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩]
وقال : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]
وقال سبحانه:﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:٥] وقال:﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر:١٠]
وقال:﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥] وقال:﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعرج:٤]
وقال:﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥]
وقال:﴿ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨]
وقال:﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام:١٨] وقال:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠] وقال: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٧] .

---

[1] - إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة :١٩٤-١٩٧ . ط / دار إقرأ .
[2] - مجموع فتاوى ومقالات ابن باز : ٢٢٦/٤ .

فهذه الآيات وغيرها تبين بجلاء استواء الله على العرش وعلوه فوق خلقه سبحانه وتعالى. والاستواء له أربع معانٍ وهى : استقر ، علا ، ارتفع ، صعد
وقد ذكرها ابن القيم فى نونيته فقال:
فلهم عبارات عليـها أربـــــــع *** قد حصلت للفارس الطـعان
وهى استقر وقد علا وكذلك ار *** تفع الذى ما فيه من نكـــران
وكذاك قد صعد الذى هو رابع *** وأبو عبيدة صاحب الشيبانى
يختار هذا القول فى تفســيره *** أدرى من الجهمى بالقـــرآن
فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه مستو على عرشه ، بائن عن خلقه بالكيفية التى يعلمها هو جل شأنه كما قال مالك وغيره:
" الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ". ([1])
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: " الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء "([2])
وعن معاوية بن الحكم السلمي قول النبى ﷺ للجارية :" أين الله " قالت: في السماء قال:" من أنا " قالت أنت رسول الله قال رسول الله ﷺ :" إعتقها فإنها مؤمنه " ([3])
وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي ". ([4])
وفى العلو للذهبى : قال كعب الأحبار : " قال الله ﷻ فى التوراة : " أنا الله فوق عبادى ، وعرشى فوق جميع خلقى ، وأنا على عرشى أدبر أمور عبادى ، ولا يخفى على شىء فى السماء ولا فى الأرض "
وعن مقاتل بن حيان : عن الضحاك فى قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] قال :" هو على عرشه وعلمه معهم " وفى لفظ : " هو فوق العرش وعلمه معهم أين ما كانوا "
وعن نعيم بن حماد يقول سمعت نوحا الجامع يقول : " كنت عند أبى حنيفة أول ما ظهر ، إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما فدخلت الكوفه ، فأظننى أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس . فقيل لها : إن ههنا رجلا قد نظر فى المعقول يقال له أبو حنيفة فأتته ، فقالت : أنت الذى تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك ؟ أين إلهك الذى تعبده ؟ فسكت عنها ، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج إلينا وقد وضع كتابا : إن الله ﷻ فى السماء دون الأرض ، فقال له رجل أرأيت قول الله ﷻ

---

1 -العقيدة الواسطية : ٣١١٠، شيخ الإسلام ابن تيمية ، شرح محمد خليل هراس . ط / دار ابن الجوزى
2 - أخرجه الترمذي فى سننه: كتاب البر والصلة (باب ما جاء فى رحمة المسلمين) ٢٨٥/٤ ح : ١٩٢٤. وقال حسن صحيح ، صححه الألبانى فى "الصحيحة" ح : ٩٢٥
3 - أخرجه مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة) ص : ٢٤٨ ح : ٥٣٧
4 - رواه البخارى: كتاب التوحيد (باب { وكان عرشه على الماء }) ص : ٨٨٣ ح : ٧٤٢٢ . مسلم: كتاب التوبة (باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) ص ١٣٦٠ ح :٢٧٥١

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد:٤] قال : هو كما تكتب إلى الرجل : أنى معك وأنت غائب عنه .
وعن عبد الله بن نافع قال قال مالك بن أنس : " الله فى السماء ، وعلمه فى كل مكان ، لا يخلو منه شىء " ([1])

صفة النزول إلى سماء الدنيا :

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ ".([2])

قال الشيخ الفوزان :" والشاهد من الحديث : أن فيه ثبوت النزول الإلهى ، وهو من صفات الأفعال ، وفى الحديث أيضا إثبات العلو لله تعالى ؛ فإن النزول يكون من العلو . وفيه الرد على من أول الحديث بأن معناه نزول رحمته أو أمره ؛ لأن الأصل الحقيقة وعدم الحذف ، ولأنه قال :(من يدعونى فأستجيب له) فهل يعقل أن تقول رحمته أو أمره هذا المقال؟!
وفى الحديث إثبات الكلام لله تعالى حيث جاء فيه :(فيقول- إلخ) ، وفيه إثبات الإعطاء والإجابة والمغفرة لله سبحانه ، وهى صفات أفعال. ([3])

قلت : وهكذا سلف الأمة يقولون بنزول الله نزولا يليق به سبحانه :
" وقال أحمد بن الحسين بن حسان ، قيل لأبى عبد الله " إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة " قال : نعم ، قيل له : وفى شعبان كما جاء الأثر ؟ قال : نعم .
وقال يوسف بن موسى ، قيل لأبى عبد الله : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء من غير وصف ؟ قال : نعم .
وقال حنبل قلت لأبى عبد الله : ينزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا ؟ قال : نعم قلت : نزوله بعلمه أم بماذا ؟ فقال : اسكت عن هذا وغضب وقال : مالك ولهذا ! امض الحديث على ماروى .
والوجه فى ذلك أنه ليس فى الأخذ بظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه ، لأنا لا نحمله على نزول انتقال كما قال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان:٤٨] . ولا على أن يخلوا منه مكان ويشغل مكان ، لأن هذا من صفات الأجسام ... كما وصفناه بالحياة وأنه حى بحياة ، ولم نصفه بالحركة والانتقال والتحول ، وإن كنا نعلم فى الشاهد أن الحى لا ينفك عن الحركة والانتقال والتحول ، وكذلك قد وصف أمره بالمجىء فقال ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود:٤٠] " (١)

---

[1] - العلو للعلى الغفار فى إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها : ١٢١ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٨، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الذهبى . ط / مكتبة أضواء السلف
2 - رواه البخارى: كتاب التوحيد (باب {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ }) ص :٨٩١ ح :٧٤٩٤ ، مسلم : كتاب صلاة المسافرين وتقصيرها (باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه) ص:٣٤٦ ح : ٧٥٨
3 - العقيدة الواسطية ، شيخ الإسلام ابن تيمية : ٣٩٥ ، شرح صالح الفوزان. ط / دار ابن الجوزى

" وقد قال أحمد فى رسالته إلى مسدد : إن الله ﷻ ينزل فى كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلوا من العرش .
فقد صرح أحمد بالقول إن العرش لا يخلوا منه ، وهكذا القول عنا فى قوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر:٢٢] والمراد به مجيء ذاته لا على وجه الانتقال " (٢)
وعليه : فإن الله ينزل نزولا يليق به سبحانه ، ولا يعلم كيفيته إلا هو ، ويجب عدم التكلف والتنطع ، بافتراض خلو العرش منه حال نزوله ، أو أنه انتقل من علوه إلى السماء الدنيا ، أو يقال أن الثلث الأخير يتغير من إقليم إلى إقليم ، فيكون لازمه أن الله فى النزول باستمرار .
فما قال ذلك إلا أنه شبه الله بالمخلوق ، الذى يخلوا منه العلو إذا نزل ، أو يخلوا منه مكان إذا كان فى غيره .
وكلها أقيسة فاسدة لا تليق بالله سبحانه .

صفة المعية :

قال تعالى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤].
وقال: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧].
الأدلة على معية الله سبحانه كثيرة فى الكتاب والسنة ، وليس مقصدنا جمعها وإحصاؤها ، فالأمر مسلم به ، وإنما القصد بيان فهم السلف لهذه الصفة .
ولا شك أننا إذا فسرنا المعية ، بكون ربنا معنا على الأرض ، فإن أدلة العلو تأبى ذلك وتنفيه ، وتتضارب الأدلة ولا يستقيم فهمها .
بخلاف أن القول ، بمعية الله معنا على الأرض ينافى صفات العظمة والجلال والكمال الواجبة لله ﷻ .
ولا يمكن الجمع بين أدلة العلو والمعية ، إلا بفهم سلف الأمة ، أن المعية ، معية علم وإحاطة ورعاية .
وإليك تفسير السلف وأقوالهم فى المعية :
" قال أهل التفسيرفى قوله :﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] ، منهم الضحاك قال: هو على عرشه ، وعلمه معهم .
وقال مالك : هو فى السماء ، وعلمه فى كل مكان .
وقال سفيان فى قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧]: يعنى علمه .
وقال مقاتل بن حيان فى قوله :﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧]. قال : هو على عرشه وعلمه معهم . وقال رحمه الله فى القرب : إنما يعنى بالقرب : بعلمه ، وه فوق عرشه .
وسئل نُعيم بن حماد : شيخ البخارى عن قوله :﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد:٤]، قال : معناه أنه لا يخفى عليه خافية .

---

[1] - إبطال التأويلات لأخبار الصفات :٢٦٠-٢٦١ ، أبى يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء . ط / دار إيلاف الدولية .
[2] - إبطال التأويلات لأخبار الصفات : ٢٦١

وسئل الإمام أحمد عن رجل قال : إن الله معنا ، وتلا : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧]، فقال : قد تجهم هذا ؛ يأخذون بآخر الآية ، ويدعون أولها .
أقرأتم عليه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ [المجادلة:٧] ([1])، فالعلم معهم .
وقال فى (ق) : ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦] ، فعلمه معهم .
وقال حنبل : قيل للإمام أحمد : ما معنى قوله :﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد:٤] ؟ قال: علمه محيط بالكل ، وهو على العرش بلا صفة ولا حد .
وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر فى شرح الموطأ له : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل ؛ قالوا فى تأويل قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧]: هو على عرشه ، وعلمه فى كل مكان "([2])
قال ابن كثير: " وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤] أي: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم. ([3])
قلت فى آية التوبة : ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة:٤٠] ، هل يصح أن يقال أن الله سبحانه فى الغار بذاته العلية ، لقول النبى ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، إنما الآية واضحة الدلالة ، أنها معية العلم والعناية الخاصة ، وفى الآية دليل على العلو ، وذلك قوله: ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ فالسكينة نزلت من العلو ، حيث الذات العلية .
" وقال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى المتكلم .. ولو كان فى كل مكان لكان فى بطن الإنسان وفمه ، والحشوش والمواضع التى يرغب عن ذكرها ؛ ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن ، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان ؛ ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض ، وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله "([4])
وعليه : فلابد للمعية ألا تنافى العلو ، فليست إلا معية العلم والإحاطة ، وهذا واضح وبين ، فى الآيات .

---

1 - الآية بتمامها { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[المجادلة:٧]، والآية يفسر أولها آخرها ، وهذا مقصد الإمام أحمد رحمه الله .

2 - الأربعين فى صفات رب العالمين :١/ ٦٣-٦٦، شمس الدين محمد بن عثمان الذهبى . مكتبة العلوم والحكم .

3- تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٤

4 - الأسماء والصفات : ٢/ ٧٨ . شيخ الإسلام : ابن تيمية . ط / دار الكتب العلمية

صفة الوجه :

قال تعالى:﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن :٢٧] .
وقال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٨٨]
وعن عتبان بن مالك الأنصارى ثم أحد بنى سالم قال: غدا على رسول الله ﷺ فقال : " لن يوافى عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله . يبتغى به وجه الله ، إلا حرم الله عليه النار "([1])
وعن جابر ﷺ قال لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام:٦٥] . قال رسول الله ﷺ : " أعوذ بوجهك " . قال ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال : " أعوذ بوجهك " ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال: رسول الله ﷺ " هذا أهون " أو " هذا أيسر "([2])
وعن أبى موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال " إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور - وفى رواية أبى بكر النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه "([3])
والوجه: معناه معلوم ، لكن كيفيته مجهولة ، لا نعلم كيف وجه الله ﷻ ، ولكننا نؤمن بأن الله له وجها موصوفاً بالجلال والإكرام ، وموصوفاً بالبهاء والعظمة والنور العظيم ؛ قال النبى ﷺ: " حجابه النور لو كشفه ؛لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " ([4]) ؛ سبحات وجهه : يعنى بهاؤه وعظمته وجلاله ونوره. ما انتهى إليه بصره من خلقه: وبصره ينتهى إلى كل شىء ، وعليه ؛ فلو كشف هذا الحجاب – حجاب النورعن وجهه – لاحترق كل شىء.(5)

صفة السمع والبصر :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر:٢٠]
وقال : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر:٥٦]
وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]
وقال : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران :١٨١]
وقال : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة:١٤٤]
وقال : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق: ١٤]
إن اتصال الله بالخلق تقديرًا وتدبيرًا ، وحسابًا ، محال ما لم يكن سبحانه سميعا بصيرًا عليما قديرًا ..
وكيف يخاف الناس أو يرجون أو يعبدون إلها لا يسمع ولا يبصر ؟؟!!

---

[1] - البخارى : كتاب الرقاق (باب العمل الذى يبتغى به وجه الله) ص:٧٧٢، ح : ٦٤٢٣
[2] - البخارى : كتاب التفسير باب قوله :(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) ص:٥٥٨ ح : ٤٦٢٨
[3] - مسلم : كتاب الإيمان (باب فى قوله ﷺ : " إن الله لا ينام ") ص:٥٣ ح : ١٧٩
4- أخرجه مسلم: كتاب الإيمان (باب في قوله ﷺ إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ص: ١٠٤ ح : ١٧٩
5- العقيدة الواسطية ،ابن تيمية ، شرح محمد صالح العثيمين : ٢٢٦ . ط/ دار ابن الجوزى

فهذه أدلة عقلية بديهية لا يجحدها عاقل .
قال شيخ الإسلام : " فإذا خلق العباد ، وعملوا ، وقالوا ؛ فإما أن نقول: إنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم ؛ وإما لا يرى ولا يسمع . فإن نفى ذلك فهو تعطيل لهاتين الصفتين ، وتكذيب للقرآن ، وهما صفتان كمال لا نقص فيه ، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر.
والمخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر ، فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى ، وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع ولا يبصر فى غير موضع ([1]). ولأنه حى ، والحى إذا لم يتصف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم ، وذلك ممتنع " ([2])
و قال ابن كثير فى قوله تعالى﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨،٢١٩]
" ... قال عكرمة: يرى قيامه وركوعه وسجوده. وقال الحسن: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ } : إذا صليت وحدك.
وقال الضحاك: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. ﴾ أي: من فراشك أو مجلسك.
وقال قتادة: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ ﴾ : قائما وجالسا وعلى حالاتك.
وقوله:﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾:قال قتادة:{الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: في الصلاة، يراك وحدك ويراك في الجَمْع.([3])
وفى قوله تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة :١]

قال الشيخ ابن العثيمين :" ففى هذا إثبات السمع لله سبحانه وتعالى ، وأنه يسمع الأصوات مهما بعدت ومهما خفيت .
قالت عائشة رضى الله عنها :" تبارك – أو قالت: الحمد لله – الذى وسع سمعه الأصوات ، إنى لفى ناحية البيت ، وإنى ليخفى على بعض حديثها " .(تقصد المرأة المجادلة)؛ والسمع المضاف إلى الله ﷻ ينقسم إلى قسمين :
١- سمع يتعلق بالمسموع ؛ فيكون معناه إدراك الصوت .
٢- وسمع بمعنى الاستجابة ؛ فيكون معناه أن الله يجيب من دعاه ؛ لأن الدعاء صوت ينطلق من الداعى ، وسمع الله دعاءه ؛ يعنى : استجاب دعاءه وليس المراد سمعه مجرد سماع فقط ؛ لأن هذا لا فائدة منه ، بل الفائدة أن يستجيب الله الدعاء.
فالسمع الذى بمعنى إدراك الصوت ثلاثة أقسام :
أحدها : ما يقصد به التأييد .
والثانى : ما يقصد به التهديد .
والثالث : ما يقصد به بيان إحاطة الله سبحانه وتعالى .

---

1 - {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ} [مريم : ٤٢] ، {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ}[الشعراء:٧٢] .
2 - الأسماء والصفات لابن تيمية : ١ / ١٣١ .
3- تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٣

١- أما ما يقصد به التهديد؛ فكقوله تعالى:﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ﴾ [الزخرف:٨٠] .
وقوله :﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء ﴾ [آل عمران:١٨١]
٢- وأما ما يقصد به التأييد ، فكقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه:٤٦] ؛ أراد الله ﷻ أن يؤيد موسى وهارون بذكر كونه معهما يسمع ويرى ؛ أى: يسمع ما يقولان وما يقال لهما ويراهما ومن أرسلا إليه ،وما يفعل بهما.
٣- وأما ما يقصد به بيان الإحاطة ، فمثل هذه الآية ، وهى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [المجادلة:١] (1)

وفى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق:١٤]
قال أيضا : " وفى هذه الآية :إثبات صفة الرؤية لله ﷻ . والرؤية المضافة إلى الله لها معنيان .
المعنى الأول : العلم.
المعنى الثانى : رؤية المبصرات ؛ يعنى : إدراكها بالبصر.
فمن الأول : قوله تعالى عن القيامة :﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج :٦،٧] .
فالرؤية هنا رؤية العلم ؛ لأن اليوم ليس جسما يرى ، وأيضا هو لم يكن بعيد ؛ فمعنى ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾؛ أى : نعلمه قريبا .
وأما قوله:﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾. فهى صالحة لأن تكون بمعنى العلم وبمعنى الرؤية البصرية ، وإذا كانت صالحة لهما ، ولا منافاة بينهما وجب أن تحمل عليهما جميعا ، فيقال : إن الله يرى ؛ أى : يعلم ما يفعله هذا الرجل وما يقوله ، ويراه أيضا.(2)

فالله ربنا سميع بصير ، يستوى فى سمعه وبصره البعيد والقريب والكبير والصغير وما فوق الأرض وما فى بطنها وما فى قعر الجبل وما فى وعره وما فى قاع البحر وما فوق سطحه .
فسبحان من أحاط سمعه بل الأصوات واللغات ، وأحاط بصره بكل المرئيات ، لا تختلف عليه الصور ولا الأصوات ولا اللغات .

صفة الكلام :

قال تعالى :﴿ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] .
وقال تعالى:﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي ﴾ [الأعراف:١٤٤]
﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣].
عن أبى هريرة ، إن نبى الله ﷺ قال :" إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا

1- شرح العقيدة الواسطية للعثيمين : ٢٥٤:٢٥٥
2- المصدر السابق : ٢٥٩

ماذا قال ربكم ، قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمع من السماء "([1])

وعن عدى بن حاتم قال قال رسول الله ﷺ :" ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة "([2])

فصفة الكلام ثابتة لله فى الكتاب والسنة ، فهو سبحانه يكلم الملائكة ومن شاء من المرسلين .

" ومن كلامه سبحانه الكتب السماوية والقرآن الذى بين أيدينا ، وكلام ربنا " بصوت – لا يشبه أصوات المخلوقين – وحروف يتكلم بما شاء ، .... والدليل على أنه بصوت،قوله تعالى:﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم:٥٢] . ومن السنة قوله ﷺ: يقول الله تعالى :" يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فينادى بصوت أن الله يأمرك أن تُخرج من ذريتك بعثا إلى النار ، فيقول ياربى: وما بعث النار ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة..." الحديث ([3]) ، والدليل على أنه بحروف قوله تعالى :﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] ؛ فمقول القول هنا حروف. والدليل أنه بمشيئة ، قوله:﴿ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف:١٤٣] ؛ فالتكلم حصل بعد مجيء موسى عليه السلام ".([4])

صفة اليدين والقبضة والأصابع :

قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧]

وقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤]

وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ [يس:٧١]

وقال : ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك:١]

وقال : ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر:٦٧]

وقال : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]

وكثيرًا ما يحلف النبى ﷺ - فى عشرات الأحاديث- بقوله : " والذى نفسى بيده "

وقال ﷺ : " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا

---

[1] - البخارى : كتاب التفسير (باب: حتى إذا فزع عن قلوبهم ...) ص : ٥٩١ ح : ٤٨٠٠

[2] - مسلم : كتاب الزكاة (باب الحث على الصدقة ..) ص : ٢٢٥ ح : ١٠١٦م

3- رواه البخارى : كتاب التفسير (باب: وترى الناس سكارى) ص :٥٧٩ ح :٤٧٤١.
مسلم : كتاب الإيمان (باب: قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) ص:١٢٨ ح : ٢٢٢

4- حقيقة الإيمان:٢٧٠:٢٧١ بتصرف

يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا " ([1])
عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : " يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : " أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ "([2])
وعن طاوس سمعت أبا هريرة عن النبى ﷺ قال : " احتج آدم وموسى ، فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا و أخرجتنا من الجنة . قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، أتلومنى على أمر قدر الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة . فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى "([3])
وعن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : " يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم فيقولونى: أنت آدم أبو الناس. خلقك الله بيده .." ([4]) الحديث .
وعن ابى هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : " احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده .." ([5]) الحديث
وعن ابن مسعود ﷺ ، قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ،والأرضين على إصبع والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك . فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه ، تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ([6]) وفى رواية لمسلم : " والجبال على إصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك ، أنا الله ".
قال شيخ الإسلام : " وقد جاء فى الخبر المذكور عن النبى ﷺ : " إن الله خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده "([7]).
وليس يجوز فى لسان العرب ولا فى عادة أهل الخطاب أن يقول: القائل عملت كذا بيدى ويريد بها النعمة ، وإذا كان الله خاطب العرب بلغتها ، وما يجرى مفهوما فى كلامها ، ومعقولا فى خطابها ، وكان لا يجوز فى خطاب أهل البيان أن يقول القائل : فعلت كذا بيدى ويعنى بها النعمة : بطل أن يكون معنى قوله تعالى:﴿ بيدى﴾ النعمة . وذكر كلما طويلا فى تقرير هذا ونحوه " ([8])
قال الشيخ عبد الله بن جبريل : " فنقتصر أيضا على ذلك ، ولا نقول : إن هذا مشابه لصفات المخلوقين ، ولا نقول : إن هذا ضرب مثل ؛ كما يقوله النفاة الذين ينكرون هذه الصفات ، ويجعلونها أمثلة لهيبة المقام ، ويقولون : ذكر اليمين وذكر القبضة ، وذكر هز السماوات ، وهز الأرض إنما هو لتهويل المكان ولتهويل الأمر ، ولجلب

---

[1] - مسلم : كتاب الإمارة (باب فضيلة الإمام العادل ...) ص : ٤٤٧ ح : ١٨٢٧
[2] - البخارى : كتاب الرقاق (باب : يقبض الله الأرض..) ص : ٧٨٢ ح : ٦٥١٩
[3] - مسلم : كتاب القدر (باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) ص : ٦٢٢ ح : ٦٢٥٢
[4] - البخارى : كتاب التفسير (باب قول الله : وعلم آدم الأسماء كلها) ص : ٥٣٨ ح : ٤٤٧٦
[5] - مسلم : كتاب القدر (باب حجاج آدم موسى) ص : ٦٢٢ ح : ٢٦٥٢م
6 - رواه البخارى : كتاب التفسير(باب { وما قدروا الله حق قدره }) ص : ٥٩٣
ح : ٤٨١١ ، مسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار ص : ١٣٨٣ ح : ٢٧٨٦
[7] - لم أقف على حديث صحيح ، أن الله خلق جنة عدن بيده وغرس طوبى بيده .
[8] - الأسماء والصفات لابن تيمية : ٢/ ٧٧ .

الفزع والخوف فى القلوب ، ولاهتمام الناس بهول ذلك اليوم ، وإلا فليس هناك قبض وليس هناك هز ، وليس هناك يمين ولا غيرها . هكذا رأيت فى تفسير كثير من الأشاعرة ونحوهم الذين ينكرون هذه الصفات " ([1]) .

وقال الشيخ ابن عثيمين (فى حديث الأصابع) : " ومن فوائد الحديث : إثبات الأصابع لله ﷻ لإقراره ﷺ هذا الحبر على ما قال.

والإصبع إصبع حقيقى يليق بالله ﷻ كاليد...إذا موقفنا من هذا الحديث الذى فيه إثبات الأصابع لله ﷻأن نقر به ونقبله ، وأن لا نقتصر على مجرد إمراره بدون معنى فنكون بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ، بل نقرؤه ونقول : المراد به أصبع حقيقى يجعل الله عليه هذه الأشياء الكبيرة ، ولكن لا يجوز أبداً أن نتخيل بأفهامنا أو أن نقول بألسنتنا : إنه مثل أصابعنا ، بل نقول : الله أعلم بكيفية هذه الأصابع ، فكما أننا لا نعلم ذاته المقدسة ، فكذلك لا نعلم كيفية صفاته ، بل نكل علمها إلى الله سبحانه وتعالى .([2])

فالقبضة واليد والأصابع صفات من صفات الله ﷻ ، حقيقية ، تليق به ، ولا تماثل صفات المخلوقين ، ولا يعلم كيفيتها إلا الله رب العالمين .

صفة القَدم :

قال تعالى:﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق:٣٠]

قال الذهبى: " عن أنس بن مالك أن نبى الله ﷺ قال : " لا تزال جهنم تقول : ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فتقول : قط ، قط وينزوى بعضها إلى بعض "([3]) .وفى لفظ عنه :" حتى يضع فيها رجله " ([4])

وعن ابن عباس([5]) وابن مسعود([6]) وأبى موسى([7]) ، وغيرهما من الصحابة : " إن الكرسى موضع قدميه ﷻ "([1]) . ويروى عن وهب بن منده ....

---

[1] - الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد : ١٢٢، للإمام موفق الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى . شرح عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين . ط / دار طيبة للنشر والتوزيع

[2] - القول المفيد : ٧١٦،٧١٨ بتصرف

[3] - البخارى : كتاب الأيمان والنذور (باب الحلف بعزة الله ..) ص : ٧٩٦ ح : ٦٦٦١

[4] - البخارى : كتاب التفسير (باب قوله :{ وتقول هل من ميد}) ص : ٥٩٩ ح : ٤٨٥٠

[5] - ولفظ ابن عباس رضى الله عنهما : " الكرسى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر أحد قدره " . وقد أخرجه الدارمى فى الرد على المريسى (ص ٦٧، ٧١ ، ٧٤، وقال : صحيح مشهور) ، والطبرى فى تفسيره (١٠/٣) ، والدار قطنى فى الصفات (٤٩، ٥٠) ، وابن منده فى الرد على الجهمية (ص ٤٥) ، والحاكم فى المستدرك (١٨٢/٢) ، وقال : " صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه " . ووافقه الذهبى) . والطبرانى فى المعجم الكبير (٣٩/١٢) ، وابن خزيمة فى التوحيد (ص ١٠٧، ١٠٨) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٤٤٧) . وذكره الذهبى فى العلو (ص ٦١) ، وقال : " رواته ثقات " ، الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٢٣/٢) ، وقال : " رجاله رجال الصحيح " .

[6] - وأما قول ابن مسعود فقد رفعه إلى رسول الله ﷺ فى تفسيره لآية الكرسى . ومما قاله : وأما { وسع كرسيه السموات والأرض} : فإن السموات والأرض فى جوف الكرسى ، والكرسى بين يدى العرش ، وهو موضع قدميه . وقد أخرجه البيهق فى الأسماء والصفات (ص ٤٤٦) .

[7] - ولفظ أبى موسى ، هو : الكرسى موضع القدمين ، وله أطيط كأطيط الرحل .

وقال عروة : قدمت على عبد الملك بن مروان فذكرت عنده الصخرة التى ببيت المقدس ، فقال : هذه الصخرة التى وضع الرحمن عليها رجله . فقلت : سبحان الله ! يقول الله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، وتقول : وضع رجله على هذه ! يا سبحان الله ! إنما هذا جبل أخبرنا الله أنه ينسف نسفا .

وعن السدى عن أبى مالك ، قال : الكرسى تحت العرش ، والله واضع رجليه على الكرسى .

قال الأثرم : قلت لأبى عبد الله : حدث محدث – وأنا عنده – بحديث : " يضع الرحمن فيها قدمه " ، وعنده غلام ، فأقبل على الغلام ، وقال : إن لهذا تفسيرا ، فقال: أبو عبد الله انظر إليه ، كما تقول الجهمية سواء .

وقال المروذى سألت أبا عبد الله عن حديث : " يضع قدمه فيها " ؟ فقال : نمرها كما جاءت . أخرجه ابن بطة فى الإبانة " ([٢]).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم :٤٢]

وعن أبى سعيد ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، فيبقى كل من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد ، فيعود ظهره طبقا واحدا " ([٣])

وقال الشيخ عمر بن عبد العزيز : " القدم ثابت لله تعالى لقوله ﷺ : " لا تزال جهنم يلقى فيها وهى تقول : هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها رجله – وفى رواية – عليها قدمه ، فينزوى بعضها إلى بعضها وتقول قط قط .." ([4]) وفسر أهل السنة الرجل والقدم بأنها حقيقية على الوجه اللائق بالله ......وكذا جاءت بلفظ "الساق " فى قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] وقد فسرها حديث النبى ﷺ " يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة .."([5]) إلى آخر الحديث الذى فسر به الآية .

وإن ذكر عن ابن عباس قوله فى الآية :" هو يوم القيامة ، يوم كرب وشدة ، فإن كلامه عن معنى اليوم ، ولا يتنافى مع ذكر الساق ، ولا يتعارض ، ولأن تفسير الحديث للآية واضح ، وهو خير أنواع التفسير ، فالرسول ﷺ - وهو المبلغ عن ربه – أعلم بتفسير كلام الله ومراده ، وقد أثبت الساق لله ، فى قوله " يكشف ربنا عن ساقه ". ([6])



وأخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (ص ٧٩) ، والطبرى فى تفسيره (١٠/٣) . وابن منده فى رده على الجهمية (ص ٤٦) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٤٤٧) .

[1] - أخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (ص ١٣٧)

[2] - الأربعين فى صفات رب العالمين ، للذهبى : ١١٠ – ١١٥ بتصرف

[3] - رواه البخارى : كتاب التفسير (باب : {يوم يكشف عن ساق }) ص : ٦١٠ ح : ٤٩١٩

4- رواه البخارى : كتاب الأيمان والنذور(باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته) ص : ٧٩٦ ح :٦٦٦١ ، مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) ص : ١٤٠٨ ح : ٢٨٤٨

5- رواه البخارى : كتاب التفسير (باب { يوم يكشف عن ساق }) ص : ٦١٠ ح :٤٩١٩

6- حقيقة الإيمان : ٢٧٢:٢٧١

الباب الثانى

أقسام الشرك

الفصل الأول : تعريف الشرك وذكر أقسامه وبعض أضراره

الفصل الثانى : الشرك فى الربوبية

الفصل الثالث : الشرك فى الإلوهية

الفصل الرابع : الشرك فى الأسماء والصفات

الفصل الأول

تعريف الشرك وذكر أقسامه وبعض أضراره

تعريف الشرك وذكر أقسامه

الشرك لغة :

الشرك مشتق من الشريك والشراكة ، وهو الند والمثل .

قال ابن منظور فى " لسان العرب " باب(شرك) :

" الشِّرْكَةُ والشَّرِكة سواء مخالطة الشريكين يقال اشترَكنا بمعنى تَشارَكنا ....

قوله تعالى وأَن تُشْرِكوا بالله ما لم يُنَزِّل به سُلْطاناً لأَن معناه عَدَلُوا به ومن عَدَلَ به شيئاً من خَلْقه فهو كافرٌ مُشرِك لأَن الله وحده لا شريكَ له ولا نِدَّ له ولا نَدِيدَ ....

الجوهري الشِّرْك الكفر وقد أَشرك فلان بالله فهو مُشْرِك..

وفي الحديث من حلف بغير الله فقد أَشْرَك حيث جعل ما لا يُحْلَفُ به محلوفاً به كاسم الله الذي به يكون القَسَم "

الشرك اصطلاحا :

الشرك فى الشرع ضد التوحيد ، وهو أن يجعل لله ندا فى أفعاله ، أو عبادته أو أسماؤه وصفاته .

وذلك أن ينسب فعلا من أفعال الله لغيره ، كأن يعتقد بأن غير الله يخلق أو يرزق أو يدبر الأمر أو غير ذلك من أفعال الله التى لا يقدر عليها غيره ، والتى نسبها لنفسه سبحانه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

أو يصرف عبادة لغير الله ، كأن يدعوا غير الله ، أو ينذر له أو يرجوه ويخشاه على نحو عبادة المؤمنين لله .

أو يصف غير الله بصفة من صفات الله التى لا يوصف بها غيره ، مثل علم الغيب والقدرة على كل شيء ، ومغفرة الذنوب وغير ذلك من الصفات الإلهية .

فمن فعل ذلك ، فقد جعل لله ندا ومثيلا ، وكان بذلك مشركا كافرا .

أضرار الشرك

إن الشرك بالله هو أرذل الرذائل وأكبر الكبائر وأقبح المنكرات وليس هناك منكرا إلا وهو أنكر منه ، ولا رذيلة إلا وهو أرذل منها ، فهو دليل الجهل والغفلة والعمى ، وهو دليل على سفاهة العقول وتخلفها ونجاسة أفكارها، فصاحبه بهيمة فى مسلاخ بشر، ميت يأكل نصيب الأحياء .

وهو أصل البلايا والخطايا والمنكرات ، وهو سبب الخسارة فى الدنيا والآخرة.

وقد كان الخليل إبراهيم عليه السلام يخاف الشرك ، وما ذاك إلا لعظيم خطره .

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥].

الشرك يحبط العمل :

قال تعالى :﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨]

وقال سبحانه :﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]

الشرك ذنب لا يغفر:

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء:٤٨]

تبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب ، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه ، وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة إن شاء غفره لمن لقيه به ، وإن شاء عذبه به ، وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله ، لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم ، وتنقص لرب العالمين ، وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره به ، كما قال تعالى :﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر مناف له من كل وجه ، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين ، والاستكبار عن طاعته ، والذل له ، والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك ، فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة ، كما قال ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله " ([1]).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ" .([٢])

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار " .([٣])

الشرك أعظم الظلم :

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان :١٣] ." ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ووجه كونه عظيماً، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئاً، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟! ".([٤])

المشركون نجس :

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة:٢٨]." لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يُجتنب عنهم كما يُجتنب عن الأنجاس ، أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباً .وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته

1- رواه مسلم عن أنس ﷺ:كتاب الإيمان(باب ذهاب الإيمان آخر الزمان) ص :٨٦ ح : ١٤٨.

2 - رواه البخارى : كتاب الجنائز (باب فى الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله) ص:١٥٠ ح : ١٢٣٨ .مسلم كتاب الإيمان (باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار) ص : ٦٣ ح : ٩٢

3 - رواه مسلم :كتاب الإيمان(باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار) ص: ٦٣ ح : ٩٣ م

4 - تيسير الكريم الرحمن : ٨٢٣/٢

نجس . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب" .(1)

بالشرك يفقد الآدمى آدميته :

قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد:١٢]

الشرك سبيل الخزى فى الدنيا والآخرة :

قال تعالى:﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة:٢]

المشركون فى نار جهنم خالدين فيها يُسامون أشد العذاب :

قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٦] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي: الذين صار الكفر دأبهم ، وطريقتهم الكفر باللّه وبرسله، وبما جاءوا به من عند اللّه، فأبعدهم في الدنيا والآخرة من رحمته، وكفى بذلك عقابًا، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ أي: نارًا موقدة، تسعر في أجسامهم، ويبلغ العذاب إلى أفئدتهم، ويخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، ولا يُفَتَّر عنهم ساعة.و﴿لا يَجِدُونَ وَلِيًّا ﴾ فيعطيهم ما طلبوه ﴿ وَلا نَصِيرًا ﴾ يدفع عنهم العذاب، بل قد تخلى عنهم الولي النصير، وأحاط بهم عذاب السعير، وبلغ منهم مبلغًا عظيمًا، ولهذا قال:﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ فيذوقون حرها، ويشتد عليهم أمرها، ويتحسرون على ما أسلفوا.(2)

وقال ﷻ :﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:٥٦]

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله، فقال:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ الآية، أي ندخلهم ناراً دخولاً يحيط بجميع أجرامهم، وأجزائهم. ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم، فقال: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ قال الأعمش، عن ابن عمر: إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلودًا بيضا أمثال القراطيس. رواه ابن أبي حاتم. وقال يحيى بن يزيد الحضرمي إنه بلغه في قول الله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ قال: يجعل للكافر مائة جلد، بين كل جلدين لون من العذاب. رواه ابن أبي حاتم.وعن الحسن قوله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ الآية. قال: تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة.

قال حسين: وزاد فيه فضيل عن هشام عن الحسن: كلما أنضجتهم فأكلت لحومهم قيل لهم: عودوا فعادوا.

وعن ابن عمر قال: قرأ رجل عند عمر هذه الآية: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ فقال عمر: أعدها علي فأعادها، فقال معاذ بن جبل: عندي تفسيرها: تبدل في ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله ﷺ. وعن ابن عمر

---

1 - تفسير البيضاوى : ٢٥١/١.أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين أبى سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوي . ط / الهيئة العامة لقصور الثقافة .

2 - تيسير الكريم الرحمن : ٥٨٢/٢

أيضا قال:تلا رجل عند عمر هذه الآية:﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ الآية، قال: فقال عمر: أعدها علي - وثم كعب- فقال: يا أمير المؤمنين، أنا عندي تفسير هذه الآية، قرأتها قبل الإسلام، قال: فقال: هاتها يا كعب، فإن جئت بها كما سمعت من رسول الله ﷺ صدقناك، وإلا لم ننظر إليها. فقال: إني قرأتها قبل الإسلام: " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة ". فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله ﷺ. وقال الربيع بن أنس: مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعاً، وسنه تسعون ذراعًا، وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً غيرها. وقد ورد في الحديث ما هو أبلغ من هذا، قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا أبو يحيى الطويل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: "يعظم أهل النار في النار، حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد ".تفرد به أحمد من هذا الوجه "([1])

وقال ﷻ:﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال:٥٠]
وقال أيضا:﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج:١٩-٢٢] " ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾أي: فصلت لهم مقطعات من نار.قال سعيد بن جبير: من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي. ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ أي: إذا صب على رءوسهم الحميم، وهو الماء الحار في غاية الحرارة. وقال سعيد بن جبير هو النحاس المذاب، أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء. قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهم. وكذلك تذوب جلودهم، وقال ابن عباس وسعيد: تساقط.
وعن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ قال: " إن الحميم ليُصَب على رءوسهم، فينفُذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه، حتى يبلغ قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان".([2]) ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك ، وقال: حسن صحيح. وهكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي نعيم، عن ابن المبارك، به ثم قال ابن أبي حاتم:حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن أبي الحَوَاريّ، سمعت عبد الله ابن السَّرِّيّ قال: يأتيه الملك يحمل الإناء بِكَلْبتين من حرارته، فإذا أدناه من وجهه تكرهه، قال: فيرفع مِقْمَعَة معه فيضرب بها رأسه، فَيُفرغ دماغه، ثم يُفرغ الإناء من دماغه، فيصل إلى جوفه من دماغه، فذلك قوله:﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾.

1 - تفسير ابن كثير : ٥١٤/١. بتصرف .
2- سنن الترمذى : كتاب صفة جهنم (باب ما جاء فى صفة شراب أهل النار) : ٦٠٧/٤ ح : ٢٥٨٢ . وقال : حسن صحيح غريب .

وقوله: ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ ، ....قال ابن عباس في قوله: ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ قال: يضربون بها، فيقع كل عضو على حياله، فيدعون بالثبور.
وقوله: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ : قال الأعمش، عن أبي ظِبْيان، عن سلمان قال: النار سوداء مظلمة، لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾.
وقال زيد بن أسلم في هذه الآية: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ قال: بلغني أن أهل النار في النار لا يتنفسون.
وقال الفُضيل بن عياض: والله ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة، وإن الأيدي لموثقة، ولكن يرفعهم لهبها، وتردهم مقامعها".([1])



1- تفسير ابن كثير : ٢١٣،٢١٢/٣. بتصرف

الفصل الثانى

الشرك فى الربوبية

الشرك فى الخلق

شرك الشيوعيين :

من صور الشرك فى الربوبية إنكار وجود الخالق سبحانه ؛ وهذه عقيدة الشوعيين والملاحدة ؛ الذين يزعمون أن الطبيعة هى الخالق .

وهذا غاية الفساد العقلى فإن كفار قريش أنفسهم لم يصل بهم الشطط إلى هذا الحد ، حيث كانوا يؤمنون أن الله هو الخالق ، قال الله عنهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥] .

بل إن شر الخلق مطلقا ؛ إبليس أقر بأنه مخلوق لله سبحانه ، كما قال الله عنه :﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف:١٢] .

فرحم الله القائل:

هل أصاب عقول الملحدين غباء *** أم أصاب عيون الملحدين عماء
أيجوز عقلا أن عقلا مبدعـــــا *** تبتــدعه طبيــــــعة بلهـــــاء

فكل من جحد أن الله هو خالق الوجود أو اعتقد أن مع الله خالقا غيره فقد أشرك بالله الخلاق العظيم سبحانه .

شرك النصارى :

ومنه شرك النصارى ، حيث يعتقدون أن المسيح بن مريم خالقا ، لكل المخلوقات ، فيقولون فى الأمانة فى حق المسيح ابن مريم :

" نؤمن برب واحد ، يسوع المسيح " : قال شنودة : وكذلك استخدم لقب " الرب " فى مجال الخلق تعبيرا عن لاهوته " ([1])

أيضا فى قانونهم : " ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل الدهور ، إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ، الذى به كان كل شىء ".

قال شنودة : هنا يتحدث قانون الإيمان عن الإبن كخالق ، خلق كل شىء ، كما ورد فى لإنجيل يوحنا " كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان (يو ١:٣)" ([2])

ويعتقدون أن الروح القدس خالق أيضا ، يقول شنودة : " ومما يدل على لاهوت الروح القدس قدرته على الخلق " ([3])

وهذا الخالق الثالث بالنسبة للنصارى ، فالأب خالق ، والإبن خالق ، والروح القدس خالق ، فهم يؤمنون بتعدد الخالقين ، مع قولهم " إله واحد " !!! .

ومن الشرك فى الخلق ، شرك الفراعنة ، حيث يعتقدون بتعدد الخالقين ، فيقولون : إله الخير ، وإله الشر ، وإله الحياة ، وإله الموت .....إلخ

---

[1] ـ قانون الإيمان :٣٠-٣١ ؛ شنودة الثالث . ط / الكلية الإكلريكية بالقاهرة .
[2] ـ قانون الإيمان : ٤٥:٤٩ .
[3] ـ قانون الإيمان : ٨٨

شرك الصوفية :

ومن الشرك فى الخلق – والربوبية كلها - ، شرك الجيلى فرعون الصوفية ، حيث يدعى الربوبية صراحة ، فيقول :

لى الملك فى الدارين لم أر فيهما *** سواى فأرجو فضله أو أخشاه
ولا قبل من قبلى فالحق شـــــأنه *** ولا بعد من بعدى فأسبق معناه
وقد حذت أنواع الكمال وإننـــى *** جمال جلال الكل ما أنا إلا هـو
وإنى ربٌ للأنـام وســــــــيدٌ *** جميع الورى اسم وذاتى مسماه "([1])

مع التنبيه على ما فى عقيدته من وحدة الوجود ،فى قوله " لم أرى فيهما سواى".

وقوله " جميع الورى اسم وذاتى مسماه " وهذا شرك آخر فى الأسماء والصفات .

بل فى مقاله كل صور الشرك الأكبر وأنواعه ؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.



[1] - الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل : ٣٦- ٣٧ ، عبد الكريم الجيلى . ط / دار الكتب العلمية

الشرك فى الرزق

صور من الشرك فى الرزق :

من الشرك فى الربوبية - فى الرزق - : اعتقاد أن أحدا يرزق من دون الله ؛ أو مع الله .

ومن ذلك من يضع فى متجره صورة لمن يزعم أنه من الأولياء ليجلب له الرزق والبركة.

أو يعتقد أن الأولياء الأحياء أو الأموات يجلبون له الرزق إذا زارهم أو دعاهم أو نذر لهم .

وهناك من يطلب الرزق بعمل السحر ، يضعه فى متجره .

ومن غريب الأمور أن ترى امرأة تبتغى الإنجاب فتلجأ لوسائل غريبة عجيبة ، فيقال لها: إن حدثت لك " خضة " سيحدث الحمل ، وقد يُطلب منها الدخول فى قبر أموات أو يلقى عليها ثعبان .

ورأيت رجلا جاء إلى سائق قطار وقد أوقف زوجته على الكوبرى الذى يقف القطار تحته وطلب من السائق أن يعطى بوقا عاليا حتى " يَخُضُ " زوجته فتنجب .

ومن النساء من تعبر على كوبرى على النهر، عند الغروب تطلب الإنجاب أيضا ؛ ومنهن من تطلبه من الأولياء الأحياء والأموات ومنهن من تطلبه بالذبح للجن بتوجيه من المشعوذ أو الدجال .

وذكر أحد العلماء ، أنه سمع امرأة عند قبر البدوى ، تقول له : يا سيد أنا منذ خمس سنوات أضع لك النذر فى الصندوق ، فلا تبخل على بولد .

وبلغنى أن رجلا - من المسلمين - ذبح عجلا عند " مار جرجس " ولما سئل عن ذلك قال : أن امرأته لم تكن تنجب ، ولم ينجح معها الأطباء ولا الشيوخ ، ولما جاء بها إلى مار جرجس ، أنجبت ولدا .

وهذه صور من الشرك بالله ﷻ تتراوح بين الشرك الأصغر والأكبر ، فإذا اعتقد صاحبها أن الرزق بيد الله وحده وأن ما يفعله ، مجرد أسباب ، فهذا شرك أصغر – ما لم يصرف عبادة لغير الله - لأنه اتخذ أسبابا غير شرعية وهى وسيلة للوقوع فى الشرك الأكبر.

أما لو اعتقد أن هذه الأسباب ترزق بذاتها فهذا شرك أكبر والعياذ بالله .

قال تعالى:﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]

وقال:﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ [العنكبوت: ١٧] .

وهناك طائفة أيضا أصابتها الدعاوى الغربية الهدامة ، التى هدفها الأساس اقتلاع نسل المسلمين من الأرض ، حيث أشاعوا فيهم أن الأزمات الاقتصادية سببها كثرة النسل – نسل المسلمين فقط – فاستجاب للأسف طائفة من المغفلين لهذه الدعاية ، بل أصبحت تمثل عقيدة عندهم ، أن الرخاء والكفاية لا تتحقق مع زيادة النسل .

وانظر إلى كاتبة ضالة تقول : " إن ملايين الجهال فى بلادنا هم الذين يرددون أن الله يرسل لكل طفل رزقه " ([1])

هذا مع التنبيه على أن مثل شرك الجيلى - مدعى الربوبية صراحة - كفر أكبر لا عذر له فيه ، ولا عذر لغيره فى مثل ذلك ، ولا فرق بينه وبين فرعون فى إدعائه الربوبية المطلقة ، بل هو أشد كفرا .

فقدا قال : " وإنى لرب للأنام " ، وهم جميع الخلق ، بينما قال فرعون : " أنا ربكم " فخص بنى قومه فقط .



[1]- أعلام وأقزام فى ميزان الإسلام ، سيد بن حسين العفانى :٤٤٣ . ط / دار ماجد عسيرى عن مجلة " المصور" ١٩٦٦/١٠/٢٠م

وصاحبة هذه المقالة أمينة السعيد ، وأى جهل أكثر من أن تنكر هذه أمرًا يمثل عقيدة عند المسلمين ، بل هذا الأمر من مسلمات العقيدة ، أن الله كتب المقادير قبل خلق الخلق بخمسين ألف سنة . وسنترك الفتوى فى هذه المرأة وأمثالها لرجل من أصحاب محمد ﷺ ، عبادة بن الصامتﷺ قال لابنه : يا بنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله يقول :" إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له اكتب ، قال رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " ، يابنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من مات على غير هذا فليس منى " رواه أبو داود ح :٤٧٠٠ والترمذى ح : ٢١٥٥ ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ح : ٢٠١٧

وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " رواه مسلم ص : ١٣١٧ ح : ٢٦٥٣ .

وفى صحيح أيضا مسلم ص: ١٣١٢ ح : ٢٦٤٥. مرفوعا أن النبى ﷺ يقول :" إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها [خلق هنا بمعنى شكل وصور ، وليس إنشاء من العدم ، هذا شأن الله وحده] ثم. قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله. فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه. فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص ". وأقول لهؤلاء الأفاكين إذا كانت زيادة النسل سببا فى عرقلة التنمية ، فلماذا لم تتعرقل التنمية فى بلاد الصين مثلا وهم أكثر من بلادنا عددا ، ثم أخبرونا عن الفقر فى الزمن السحيق قبل أن يصل عدد السكان لما هو عليه الآن ما سببه ؟!!

الشرك فى التدبير

تدبير شئون الخلق بيد الله وحده لا شريك له ، فمن اعتقد أن أحدا من الإنس أو الجن أو الملائكة أو غير ذلك يدبر شئون الكون من دون الله أو مع الله فقد أشرك بالله الشرك الأكبر.

ومن ذالك :

شرك النصارى:

يعتقد النصارى أن المسيح له السلطان المطلق على الكون ، فهو يدبر الأمر من دون الله بل يعتقدون أنه هو الله ([1]).

شرك الشيعة :

ومن الشرك فى التدبير : اعتقاد الشيعة فى تدبير أئمتهم للكون ، ومن أقوالهم فى ذلك :

يقول الخمينى :" وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبى مرسل .." ([2])

ويقول منة الله الفزارى :" قال على: كنت مع إبراهيم فى النار وأنا الذى جعلتها عليه برداً وسلاماً وكنت مع نوح فى السفينة فأنجيته من الغرق وكنت مع موسى وعلمته التوراة وكنت مع عيسى وأنطقته فى المهد وكنت مع يوسف فى الجب فأنجيته من كيد أخوته وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح " ([3])

وقال الكلينى : " إن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء ، جائز له ذلك من الله ".([4])

وقال رجب البرسى : وهو يصف أئمتهم :" ..لهم الحكم على الموجودات والتصرف فى الكائنات والإطلاع على الغيوب والعلم بما فى الضمائر

والقلوب والإحاطة بالمخلوقات .... وذلك لأن الذى وصل إلى الأنبياء قطرة من بحرهم ، ولمعة من نورهم ، وذرة من سرهم ، وذلك لأن الذى كان عند الأنبياء من الاسم الأعظم حرفان لا غير ، وكانوا يفعلون بهما العجائب ، وعند آل محمد سبعون حرفا ، وعندهم ما عند الأنبياء أيضا ، مضاف إليه فالكل منهم وعنهم "([5])

وروى حسين بن عبد الوهاب: أن رجلا سأل عليا ﷺ ، أن يحيى له أخوه ، الذى مات قبل عدة سنوات ، فقال على :" قم يا فلان بن فلان بإذن الله ،

---

[1] - لاهوت المسيح : الفصل الرابع : ٩٥:١٠٥، شنودة الثالث . ط / الكلية الأكلريكية للأقباط الأرثوزكس

2- الحكومة الإسلامية (٥٢)، آية الله الخمينى – الطبعة الثانية – شبكة الفكر على الإنترنت . http://alfeker.net/library.php?id=1244

3- الأنوار النعمانية :٢٨/١ . نعمة الله الجزائرى . ط / دار القارىء ، دار الكوفة . بيروت - لبنان

4- أصول الكافى : ٢٠٧/١ ، محمد بن يعقوب الكلينى . ط / الفجر . بيروت ، لبنان

5- مشارق أنوار اليقين فى أسرار أمير المؤمنين: ١٠٢- ١٠٣.

الحافظ / رجب البرسى . ط / مؤسسة الأعلمى للمطبوعات . بيروت . لبنان

فانشق القبر وخرج رجل أسمر طويل متشح بأكفانه يتكلم بالعجمية " ([1])
وروى أيضا تسخير الإمام على للسحاب ، فقال :" فأشار ﷺ إلى السحاب فدنت منه ، قال ميثم ﷺ : فرأيت الناس كلهم قد أخذتهم السكرة ، فرفع ﷺ رجل وركب السحابة ، وقال لعمار : اركب معى وقل الحمد لله مجريها ومرساها إن ربى على صراط مستقيم ، فركب عمار وغابا عن أعين الناس"([2])
وروى عنه أيضا تسخيره للشمس ، فقال لجويرية أذن للعصر ، وكان بعد غروب الشمس ، قال جويرية :" وإذا أنا فى الإقامة إذ تحركت شفتاه بكلام كأنه منطق الخطاطيف لم أفهم ما هو ، فرجعت الشمس بصرير عظيم ، حتى وقعت فى مركزها من العصر ، فقام ﷺ وكبر وصلى وصليت وراءه ، فلما فرغ من صلاته ، وقعت كأنها سراج فى طست ، وغابت ، واشتبكت النجوم "([3])

فهذا اعتقاد الشيعة فى الإمام على ، أنه يدبر الكون مع الله ، وذلك كاعتقاد النصارى فى المسيح بن مريم ، والبهائية فى المازندرانى .

شرك الصوفية :

اعتقاد الصوفية فى النبى ﷺ ([4]) وفى الأولياء :

ومن الشرك فى التدبير : اعتقاد الصوفية فى النبى ﷺ وفى الولى :
حيث يعتقدون فى النبى ﷺ وفى الولى قدرة كقدرة الله ؛ ويزعمون أن للكون أقطابا ، يتصرفون فيه من دون الله .
يقول ابن بشيش وهو يصف تدبير النبى ﷺ للوجود : " اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز " الخلائق" وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شىء إلا وهو به منوط....." ([5])
والبيطار أيضا ، يسوى النبى ﷺ بالله رب العالمين ، فيقول :" شأن محمد فى جميع تصرفاته شأن الله " ([6])

ويزعم التيجانى أن الولى فى حال التجلى تعم مشيئته الوجود ، ويصبح قادرا عليه كقدرة الله ، فيقول : " وحقيقة التجلى هو الظهور والتجلى بالأسماء الإلهية يكون لكل عارف على قدر مرتبته .... وكل عارف يرى الوجود داخلا تحت مشيئته موجودا بقدرته حيا بحياته على قدر مرتبته " ([1])

---

[1] - عيون المعجزات : ٨٩ . حسين بن عبد الوهاب . ط / مؤسسة بضعة المصطفى ﷺ لإحياء تراث أهل البيت
[2] - عيون المعجزات : ١٢٢
[3] - المصدر السابق : ١٢٩
[4] - سيأتى مزيدا من البيان ، عند ذكر عقيدة الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود .
5 - مجموعة أوراد البرهانية الدسوقية الشاذلية : ٢٨،٢٩،عبد العزيز أبو الخيرالبرهانى (صلاة ابن بشيش) ط / دار الكتب الجامعية الحديثة
6 - النفحات القدسية : ٩ . نقلا عن هذه هى الصوفية : ١٢٤، عبد الرحمن الوكيل . ط/ دار الإيمان

ويذكر الشعرانى عن إبراهيم الدسوقى تدبيره للكون ، فيقول:
" أنا فى السماء شاهدت ربى وعلى الكرسى خاطبته ، أنا بيدى أبواب النار غلقتها ، وبيدى جنة الفردوس فتحتها من زارنى أسكنته جنة الفردوس....وحركت ما سكن، وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة، والحمد لله رب العالمين"(٢)

كما يذكر عن محمد الشربيني؛ أنه يقول للشئ كن فيكون ، قال:
" يقول للعصا التي كانت معه: كوني إنساناً فتكون إنساناً، ويرسلها تقضى الحوائج ثم تعود كما كانت،..وكان يقبض من الهواء كل شيء يحتاجون إليه للبيت وغيره ويعطيه لهم "(٣)

ويزعم النبهانى أن محمد بهاء الدين المجذوب كان يهب الملك لمن يشاء وينزعه عمن يشاء ؛ قال :
"...إذا قال لأمير عزلناك عزل من يومه أو جمعته أو قال: وليناك كذا تولاه عن قريب" (٤)
وأحمد التيجانى يغفر الذنوب جميعاً ! حيث يقول : " وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصى ما بلغوا إلا أنا وحدى" (٥)
وهاهو الدباغ ، يزعم تدبير الأولياء الأحياء والأموات لشئون الكون من دون ، تحت ما يسمى " الديوان " أى حكومة الكون المتصرفة فيه ، فيقول : " إن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون ذلك الوقت إلى مثله من الغد فهم رضى الله عنهم يتكلمون فى قضاء الله تعالى فى اليوم المستقبل والليلة التى تليه "(٦)
وقال :" ولهم التصرف فى العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى الحجب السبعين "(٧)
وقال : " كل ما أعطيه سليمان فى ملكه ﵇ ، وما سخر لداود وأكرم به عيسى عليه السلام أعطاه الله تعالى وزيادة لأهل التصرف من أمة النبى ﷺ فإن الله سخر لهم الجن والإنس والشياطين والريح والملائكة بل وجميع ما فى العوالم بأسرها ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، ولكنه أمر غيبى مستور لا يظهر إلى الخلق لئلا ينقطعوا إليهم فينسون ربهم ﷻ" (٨)

---

1 - جواهر المعانى وبلوغ الأمانى فى فيض أبى العباس التيجانى : ٨٩/٢ . على حرازم بن العربى . ط / المطبعة المحمودية .
2 - الطبقات الكبرى : ١٨١/١-١٨٣ ، عبد الوهاب الشعرانى . ط / دار الفكر
3 - المصدر السابق : ١٣٦/٢
4 - جامع كرامات الأولياء : ٢٩٧/١ ، يوسف بن إسماعيل النبهانى . ط / المكتبة التوفيقية
5 - رماح حزب الرحيم : ١٤٩/٢
6 - الإبريز من كلام عبد العزيز الدباغ : ٢٨٧ ، أحمد بن المبارك السلجمانى المالكى . ط / دار الكتب العلمية .
7 - المصدر السابق : ٢٨٨
8 - الإبريز : ٢٩٢

ويزعم المناوى أنه يحى الموتى؛ فيقول عن كراماتهم : " النوع الأول : إحياء الموتى ، وهو أعلاها ، فمن ذلك أن أبا عبيد اليسرى غزا ومعه دابة ، فماتت ، فسأل الله أن يحييها ، فقامت تنفض أذنيها ، وأن مفرجا الدمامينى أحضر له فراخ مشوية فقال: طيرى بإذن الله تعالى ، فطارت . ووضع الكيلانى يده على عظم دجاجة أكلها ، وقال لها : قومى بإذن الله ، فقامت ومات لتلميذ أبى يوسف الدهمانى ولد ، فجزع عليه ، فقال له الشيخ : قم بإذن الله ، فقام ، وعاش طويلا ، وسقط من سطح الفارقى طفل ، فمات فدعا الله فأحياه " ([1])

ويتحدث الكوهنى عن معجزات سلامة الراضى : " وأحد الإخوان كف بصره ، فذاكر حضرة الأستاذ ، فقال له : إن كتمت الأمر ، أبصرت ، فمرضى بالشرط فمسح على عينه ، فأبصر ، حملت إحدى زوجات الإخوان ، وفى التاسع مات الجنين ، وبقى عشرة أيام ميتا ببطن أمه ، وعند الوضع ذاكر هذا الأخ شيخنا ، فقال : كذلك يا فلان ؟! وبتمامه تم الوضع طبيعيا كأن لم يكن هناك وليد مات منذ عشرة أيام .

وكان لبعض وجهاء بندر الجيزة ابنة وحيدة أصابتها حمى ، وبعد شفائها ، خرست ، فلم تتكلم أبدا ، فعرضوها على الأطباء سنوات ، فلم تشف ، فأحضروها لشيخنا ، ونظر إليها نظرة ، فسألها عن اسمها ، فنطقت به ، وذهب خرسها فى الحال " ([2])

وذُكر عن الرفاعى أيضاً أنه يدبر الأمر مع الله حتى قال سفيههم :

شيخى الرفاعى له بين الـــــورى *** همم نصالها ماضيات تشبه القـــدر

دخلت فى ظلها أبتغى التفيؤ مـــن *** رمضاء دهرى فجاء الدهر معتذرا

والمعنى المقصود فى هذين البيتين أن الشيخ قوته فى العالم تشبه قوة الله فى جريان المقادير ، وأنه لما استغاث به جاء الدهر الذى يقلبه رب الدهر معتذراً إليه ، فقوة الرفاعى فى اعتقاده أشد من قوة الله وقدرته فى جريان المقادير ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً. (٣)

إن الاعتقاد بتصرف أحدٍ فى الكون غير الله شرك أكبر حيث قال ﷻ :

﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[الكهف:٢٦] . أى" ولا يجعل الله في قضائه ، وحكمه في خلقه أحداً سواه شريكاً،بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحبّ" (٤)

وقال ابن كثير فى هذه الآية أيضا : " أي: أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه ، وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير، تعالى وتقدس."([5])

وقال السعدى : " وهذا يشمل الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحاكم في خلقه، قضاء وقدراً، وخلقا وتدبيراً، والحاكم فيهم، بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه." ([1])

---

[1] - الكواكب الدرية فى تراجم الصوفية :١ / ١١- ١٢ ، عبد الرؤوف المناوى . ط / المكتبة الأزهرية للتراث.

[2] - طبقات الشاذلية الكبرى : ٢٢٨- ٢٢٩، زين على الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن . ط / دار الكتب العلمية .

[3] - شروط لا إله إلا الله : ٦٩،٦٨ - د/ محمود عبد الرازق الرضوانى . ط / سلسبيل

4 - تفسير الطبرى : ١٥٤/١٥ ، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . ط / دار المعرفة

5 - تفسير ابن كثير : ٨٠/٣ .

إن الله ﷻ حكم على من زعم مشابهة الخالق فى التأثير وتدبير الأمر بالكفر والبهتان فقال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فجميع ما ذكرناه من عقائد نصرانية ، وشيعية ، وصوفية ، وكل من يعتقد أن غير الله يدفع ضرا أو يجلب نفعا ، أو يحرك فى الكون ساكنا ، أو يسكن فيه متحركا ، مما لا يقدر عليه إلا الله ؛ يعتبر مشركا بالله فى تدبيره للأمر ، الشرك الأكبر .
وكيف يزعمون قدرة الأولياء على التصرف فى الكون ؛ وأعظم أولياء الوجود ﷺ لم يبلغ عشر معشاره ، ولن يبلغه أحد غيره .
وقد نفى الله عنه ﷺ أن يكون له من الأمر شىء ، فقال :﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٨]
" لما جرى يوم "أحد" ما جرى ، وجرى على النبى ﷺ مصائب ، رفع الله بها درجته ، فشج رأسه وكسرت رباعيته، قال :" كيف يفلح قوم شجوا نبيهم"([2]) وجعل يدعو على رؤساء من المشركين مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، أنزل الله تعالى على رسوله نهيا له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرد عن رحمة الله .﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على مصالحهم ، وإنما الأمر لله تعالى هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ، فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، إن اقتضت حكمته ورحمته أن يتوب عليهم ويمن عليهم بالإسلام ، فعل ، وإن اقتضت حكمته إبقاءهم على كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك ، فعل ، وقد تاب الله على هؤلاء المعينين وغيرهم ، فهداهم للإسلام ﷺ، وفي هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئا وتكون الخيرة والمصلحة في غيره، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، نقص في العقل، يتركون من الأمر كله له ويدعون من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا لهو الضلال البعيد، وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم سببا موجبا لذلك، ليدل ذلك على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق سبب من العبد ولا وسيلة، ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالفاء المفيدة للسببية، فقال:﴿ أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ ليدل ذلك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه، ولما نفى عن رسوله أنه ليس له من الأمر شيء قرر من الأمر له فقال ﴿ ولله ما في السماوات وما في الأرض ﴾ من الملائكة والإنس والجن والحيوانات والأفلاك والجمادات كلها، وجميع ما في السماوات

---

1 - تيسير الكريم الرحمن : ٥٩٦/١
2 - أخرجه مسلم: كتاب الجهاد(باب غزوة أحد) . ص :٩١٠، ح : ١٧٩١.

والأرض، الكل ملك لله مخلوقون مدبرون متصرف فيهم تصرف المماليك، فليس لهم مثقال ذرة من الملك، وإذا كانوا كذلك فهم دائرون بين مغفرته وتعذيبه ...".([1])

قلت : وجميع ما زعمه الصوفية فى هذا الشأن ، هو محض افتراء وكذب ، ولم يحدث أن الله جعل مخلوقا قدرته كقدرة الله ، لا نبى مرسل ولا ملك مقرب ، ولا أحد من الجان والشيطان .

وعند الصوفية مبالغات فى مسألة الكرامات تخرجها من الحق المقبول ، إلى الباطل المحال ، وتأمل هذا الكذب المفضوح : التيجانى الذى قال : " وكل عارف يرى الوجود داخلا تحت مشيئته موجودا بقدرته حيا بحياته على قدر مرتبته "

والكيلانى" يضع يده على عظم دجاجة أكلها ، وقال لها : قومى بإذن الله ، فقامت " والدباغ وقوله :" ولهم التصرف فى العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى الحجب السبعين "

فماذا بقى لله من الهيمنة على الكون وتدبيره ، إذا فعل الأولياء ذلك ؟

حتى أنهم يتصرفون فى الحجب وما فوقها ، نعوذ بالله من الضلال .

ونبرأ إلى الله من هذا الشرك الصريح .

وسنبين مغالطات أخرى للصوفية ، ومن كان على طريقتهم ، فى القسم الثالث من أقسام التوحيد ، توحيد الأسماء والصفات .

الاعتقاد فى الكواكب والنجوم :

ومن صور الشرك فى التدبير أيضا: الاعتقاد أن الحوادث حاصلة بفعل النجوم والكواكب .

وكانت الجاهلية الأولى تربط بين الواقع على الأرض وبين النجوم والكواكب ، والجاهلية المعاصرة أكثر تعلقا بالنجوم والكواكب ، فترى فى معظم الصحف والمجلات صفحات عن الأبراج وقراءة الطالع ، بل يظهر كل فترة من يحدد ميعاد يوم القيامة بناء على ما قرأه فى الأفلاك .

عن زيد بن خالد الجهني أنه قال:صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال:

" هل تدرون ماذا قال ربكم" قالوا: الله ورسوله أعلم قال:" أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال بنوء([2]) كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب".([3])

هكذا ترى هذه الحادثة البسيطة وهى نزول المطر انقسم الناس بسببها إلى مؤمن وكافر ، لأن منهم من نسب الحدث لله وحده ومنهم من نسبه للكواكب .

" فنسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- نسبة إيجاد ، وهذه شرك أكبر

٢- نسبة سبب ، وهذه شرك أصغر ، وعليها ظاهر الحديث

1- تيسير الكريم الرحمن : ١/١٧٠-١٧١

2- النوء : المنزلة من منازل القمر وكانت العرب تنسب المطر إليها

3- رواه البخارى:كتاب المغازى(باب غزوة الحديبية) ص : ٥٠٢- ح : ٤١٤٧

مسلم: كتاب الإيمان(باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء) ص : ٥٧ ح : ٧١

٣- نسبة وقت ، وهذا جائز بأن يريد بقوله بنوء كذا ؛أى : جاءنا المطر فى هذا النوء أى فى وقته".([1])

التبرك بشجرة أو حجر ونحوهما:

البعض يعتقد فى الحجر أو الشجر أو الولى ، أنه يجلب نفعا أو يدفع ضرا.

ويحاول تحصيل المنافع ، تحت مسمى التبرك .

والبعض يجتهد فى الحصول على آثار الصالحين ، متعللين بالحديث المكذوب:

" ثؤر المؤمن شفاء"([٢])

أو يتبرك ، بالعكوف عند قبر الولى أو بتراب القبر أو بالتمسح به وأعتابه .

" والتبرك : من البركة، والبركة: هي كثرة الخير وثبوته ، وهي مأخوذة من البركة بالكسر، والبركة: مجمع الماء، ومجمع الماء يتميز عن مجرى الماء بأمرين:

١- الكثرة.

٢- الثبوت.

والتبرك طلب البركة([٣])

والتبرك بهذا الاعتقاد نوع من الشرك فى التدبير ، فإنما العطاء والمنع من الله وحده لا شريك ، ولا يملك الحجر أو الشجر أو الولى أو قبره أو أثره ، أن يحدث أثرا ، فى أى نوع من التدبير .

عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: " الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم " ([٤])

قال الشيخ العثيمين" أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها العكوف عندها والذبح لها هو الشرك . ولا يغتر بالعوام والطغام ولا يستبعد كون الشرك بالله تعالى يقع في هذه الأمة فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنا وطلبوه من النبي ﷺ حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل :﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٨].

فكيف لا يخفى على من دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة ؟ ! بل خفى عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية فأكبروا فعله واتخذوه قربة ، وفيها أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلبتهم كطلبة بني إسرائيل ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط ، فالمشرك مشرك وإن سمى شركه ما سماه كمن يسمى

1- القول المفيد : ٥٧٢

2 - لا أصل له : السلسلة الضعيفة ح : ٧٨ ، محمد ناصر الدين الألبانى . ط / المكتب الإسلامى.، كشف الخفاء : ٥٥٥/١ ح : ١٥٠٠ ، إسماعيل بن محمد العجلونى . ط / دار التراث

3 - القول المفيد : ٢١٧

4 - رواه الترمذى وصححه

دعاء الأموات والذبح والنذر لهم ونحو ذلك تعظيما ومحبة فإن ذلك هو الشرك وإن سماه ما سماه وقس على ذلك. ([1])

وقال: ".... الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ ﴾ [الأعراف:١٣٨].

فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بها كما يتبرك المشركون بها، وأولئك طلبوا إلهاً كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد، لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذه إلهاً شرك واضح.([2])

وقال أيضا :" التبرك بالقبور حرام ونوع من الشرك ، وذلك لأنه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطان ... وإذا اعتقد المتبرك أن لصاحب القبر تأثيرا أو قدرة على رفع الضرر أو جلب النفع كان ذلك شركا أكبر إذا دعاه لجلب المنفعة أو دفع المضرة "([3])

الاعتقاد فى السحرة والكهنة :

يظن البعض أن الساحر والكاهن ، بسحره واتصاله بالجن والشياطين له القدرة على أن يجلب النفع ويدفع الضر ، ويغير من رغبات الناس ، ويقلب قلوبهم كيف يشاء ؛ فيحبب فلان فى فلانة ، ويسمى ذلك سحر العطف ، أو يبغض فلان فى فلانة ، ويسمى سحر الصرف .

وقد يكتب الساحر " حجابا " وقاية من شر أو جلب لنفع ، وهذا وذاك شرك فى التدبير .

قال تعالى:﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ بذلك.([4])

"... وتعلم السحر محرم ؛ بل هو كفر إذا كانت وسيلتة الإشراك بالشياطين – قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢]. فتعلم هذا النوع من السحر ؛ وهو الذى يكون بواسطة الإشراك بالشياطين : كفر؛ واستعماله أيضا كفر وظلم وعدوان على الخلق ، ولهذا يقتل الساحر : إما ردة وإما حداً ؛ فإن كان سحره على وجه يكفر به فإنه

---

[1] - فتح المجيد : ٢٢٦ ،
[2] - القول المفيد : ٢٢٨
[3] - فتاوى أركان الإسلام : ١٦٨، الشيخ محمد بن صالح العثيمين . ط / دار الثريا
[4] - تيسير الكريم الرحمن : ٥٠/١

يقتل ردة وكفراً ، وإن كان سحره لا يصل إلى درجة الكفر فإنه يقتل حداً ؛ دفعاً لشره وأذاه عن المسلمين ".([1])

فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء
س: إنني أسكن في قرية ومعظم أهالي هذه القرية يطلبون الشفاء من الكهنة الذين يقومون بالمعالجة بالطلاسم والحروف المقطعة وبعض الوصفات النباتية التي إن مزجت صارت لها رائحة منتنة جدًا. ويعالجون أيضًا بالحجبة وهي إخفاء المريض مدة معينة تصل أحيانًا إلى أكثر من أربعين يومًا في غرفة مظلمة ويمنع عنه الزائرون، كما إنهم يطلبون ذبح ذبائح ذات صفات معينة مثل عنز سوداء أو ثور أسود. ومعظم سكان هذه القرية إن لم يكن كلهم يعتقدون أن الكهنة يعلمون بمن يذكرهم بسوء ويعاقبونه بالمرض وفقدان العقل.
كما أنهم يرجعون أسباب بعض الأمراض إلى انتقام الكاهن. وأفيد سماحتكم أن موضوع تعلقهم بالكهنة غير قابل للنقاش ولن يصل من يجادلهم إلى نتيجة إلا مجرد التعلق الأعمى.
والآن: هل يجوز لي إجابة دعوات سكان هذه القرية وأكل لحم ما يذبحونه من ذبائح في المناسبات مثل الأعياد والأفراح. وهل يجوز لي مخالطتهم والأكل معهم والتعامل معهم، وهل ما ذكرته عنهم يخرجهم من الملة أم أنهم معذورون لجهلهم بأمور دينهم؟
ج: أولًا: إذا كان حال هؤلاء كما ذكرت فهم كفار، ومن يأتيهم للشفاء ويصدقهم في كهانتهم فهو كافر.
ثانيًا: لا يجوز إجابة دعوة هؤلاء والأكل من ذبائحهم في الأعياد والأفراح وغير ذلك؛ لأنهم كفار فلا تؤكل ذبائحهم حتى يتوبوا إلى الله سبحانه توبة صادقة.
ثالثًا: لا تجوز مخالطتهم إلا لإرشادهم وبذل النصح لهم وبيان حكم الكهانة وتحذيرهم من إتيان الكهان وتصديقهم. وأخيرًا يتبين مما ذكر أن هؤلاء الكهنة ومن يأتيهم ويصدقهم خارج من ملة الإسلام بارتكابه ما ذكرته عنهم.
وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم.([2])

تعليق التمائم ، والحلقة ، والخيط والكف ونحوهما :

ولبس الحلقة ونحوها إن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها من دون الله، فهو مشرك شركاً أكبر في الربوبية - في التدبير - ، وإن اعتقد أنها سبب، ولكنه ليس مؤثرة بنفسها ، فهو مشرك شركاً أصغر لأنه لما اعتقد أن ما ليس بسبب سبباً فقد شارك الله تعالى في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب، والله تعالى لم يجعله سبباً.
ومن الناس من يكتب له طلاسم وعزائم ، كلمات أعجمية ، وإنما هى استعانة بالجن بكتابة أسماء عظمائهم ، تعلق هذه الكتب فى رقاب الصغار أو زوايا الجدران.
وظاهرة منتشرة بين الناس ، تعليق أكياس الملح على المبانى الجديدة ، لدفع الحسد .

---

1 - فتاوى أركان الإسلام : ١٥٢-١٥٣
2 - اللجنة الدائمة للبحوث العلمية : ٦٠٩/١،٦١٠ فتوى رقم : ٧١٧٣ .

بل هناك من بلغ به الجنون ، أن يعلق " فردة حذاء " على سيارته ، إذا خشى عليها الحسد .
فكيف بلغ الجهل بالبعض ، أن يعتقد تأثير الملح أو الحذاء أو الخيط أو الودع فى تدبير الكون ، فيدفع شرًا أو يجلب خيرًا .
يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].
قال السعدى: " ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده - وحده - الكفاية . هو حسبي سيكفيني كل ما أهمني وما لا أهتم به "([1])
وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الرقى ، والتمائم ، والتولة شرك " (٢)
عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ " أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط ، فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله بايعت تسعة و تركت هذا ؟ قال : إن عليه تميمة ، فأدخل يده فقطعها ، فبايعه ، وقال :" من علق تميمة فقد أشرك "(٣) .

قلت:كل من اعتقد فى الملائكة أو الشياطين أو الأنبياء أو الأولياء أو الأضرحة أو النجوم ، أو التمائم بأنواعها أو السحرة والكهنة ، والدجالين والعرافين ، أنهم يجلبون خيرًا ، أو يدفعون شرًا ، أو يتصرفون فى الكون أو جزء منه من دون الله ، فقد وقع فى الشرك الأكبر ، حيث جعل مع الله مدبرًا آخر .

قالت اللجنة الدائمة : " الاستعانة بالجن أو الملائكة والاستغاثة بهم لدفع ضر أو جلب نفع أو للتحصن من شر الجن شرك أكبر يخرج عن ملة الإسلام والعياذ بالله سواء كان ذلك بطريق ندائهم أو كتابة أسمائهم وتعليقها تميمة أو غسلها وشرب الغسول أو نحو ذلك ، إذا كان يعتقد أن التميمة أو الغسل تجلب له النفع أو تدفع عنه الضر دون الله .
وأما كتابة أسماء الله تعالى وتعليقها تميمة فقد أجازه بعض السلف وكرهه بعضهم ؛ لعموم النهي عن التمائم واعتبار تعليقها ذريعة إلى تعليق غيرها من التمائم الشركية؛ ولأن تعليقها يعرضها للأوساخ والأقذار وفي ذلك امتهان لها، وهذا هو الصواب. وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم".([4])



---

[1] - تيسير الكريم الرحمن : ٩٩/٢

[2] - سنن أبى داود : ٩/٤ ، ح : ٣٨٨٣ ، أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى .ط / أولاد الشيخ ، وصححه الألبانى فى السلسة الصحيحة : ح :٣٣١

3 - مسند الإمام أحمد : ٤ / ١٥٦ ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى . ط / دار العلمية . وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة ح :٤٩٢.

4 - اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : (إجابة السؤال الخامس) فتوى رقم :٣٣٢١ .

الشرك فى الملك والمُلك

يعتقد الشيعة فى الأئمة والصوفية فى الأولَياء ، أنهم يملكون الكون ، وهم سادة وحكام عليه .
وما ذكرناه فى " الشرك فى التدبير " يعتبر دليلا أيضا على الشرك فى المِلك والمُلك ، حيث لا يتصرف فى الكون إلا مالكه ، الحاكم عليه .
ثم هذا مزيد يدلل على شركيات القوم فى المِلك والمُلك :
وهذا الكلينى – من علماء الشيعة - ، يؤكد أن المِلك والمُلك المطلق للأئمة ، فيقول: " إن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء ، جائز له ذلك من الله ".([1])
ورجب البرسى أيضا ، يقول: " ..لهم الحكم على الموجودات والتصرف فى الكائنات والإطلاع على الغيوب والعلم بما فى الضمائر والقلوب والإحاطة بالمخلوقات "([2])
ومن ذلك تسخير الإمام على للسحاب ، فقال :" فأشار عليه السلام إلى السحاب فدنت منه ، قال ميثم رضي الله عنه : فرأيت الناس كلهم قد أخذتهم السكرة ، فرفع عليه السلام رجل وركب السحابة ، وقال لعمار : اركب معى وقل الحمد لله مجريها ومرساها إن ربى على صراط مستقيم ، فركب عمار وغابا عن أعين الناس"([٣])

وتسخيره للشمس ، فقال لجويرية أذن للعصر ، وكان بعد غروب الشمس ، قال جويرية :" وإذا أنا فى الإقامة إذ تحركت شفتاه بكلام كأنه منطق الخطاطيف لم أفهم ما هو ، فرجعت الشمس بصرير عظيم ، حتى وقعت فى مركزها من العصر ، فقام عليه السلام وكبر وصلى وصليت وراءه ، فلما فرغ من صلاته ، وقعت كأنها سراج فى طست ، وغابت ، واشتبكت النجوم "([٤])
وقال القاشانى : وهو يصف الأئمة فيقول "... الداران لهم وملكهم ، والناس عبيدهم والعبد فى نعمة الولاة متقلب ، فهم نعمة الله الكبرى للبلاد والعباد الظاهرة والباطنة فمن لم يشكر هذه النعمة لا يشكر لآل محمد وقد كفر ".([5])
هذه عقيدة الشيعة فى الأئمة ، وعلى خطى الشيعة تجد الصوفية ، فما يعتقده الشيعة فى الأئمة يعتقده الصوفية فى الأولياء :
يقول الجيلى ، وهو يقرر أنه صاحب الملكوت فى الدنيا والآخرة ، وأنه رب العالمين:

لى الملك فى الدارين لم أر فيهما *** سواى فأرجو فضله أو فأخشاه
إلى أن قال :
وإنى رب للأنام وسـيد *** جميع الورى اسم وذاتى مسماه([1])

1- أصول الكافى : ٢٠٧/١
2- مشارق أنوار اليقين : ١٠٢
[3] - عيون المعجزات : ١٢٢
[4] - المصدر السابق : ١٢٩
5- علم اليقين فى معرفة أصول الدين : ٥٩٧/٣

والرفاعى يملك الجنة ، ويبيع منها ما شاء ، كما ذكر عنه النبهانى :
وهذا نص عقد بيع كتبه الرفاعى " هذا ما اشترى إسماعيل بن عبد المنعم من العبد الفقير أحمد بن الحسن الرفاعى ضامنا له على كرم الله تعالى وجهه قصرا فى الجنة تحفه أربعة حدود : الأول إلى جنة عدن ، الثاني إلى جنة المأوى ، والثالث: إلى جنة الخلد ، الرابع: إلى جنة الفردوس بجميع حوره وولدانه وفرشه وأسرته وأنهاره وأشجاره عوض بستانه فى الدنيا والله له شاهد وكفيل . ...ثم بعد مدة يسيرة توفى الشيخ إسماعيل بائع البستان إلى رحمة الله تعالى ، وكان قد وصى أولاده أن يجعلوا ذلك الكتاب فى كفنه ، ففعلوا ودفنوه ،فلما أصبحوا من الغد وجدوا على قبره مكتوبا ﴿ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف ٤٤] "(٢)
ومن صور الشرك فى المِلك والمُلك ، قبول الدعوات الغربية ، القائلة بحرية الإنسان المطلقة . فيرى العبد نفسه حرًا أمام أحكام الله ، إن شاء قبلها ، وإن شاء ردها . فله حرية الردة عن الإسلام ، وله حرية التشريع ، وحرية الفساد .
فلا يرى نفسه مِلكا لله ، ولا يرى الله مَلكا عليه ، بل يرى أنه المالك لنفسه ، ولا سلطان لله عليه ؛ ويرى الدين ؛ مجرد فكر ؛ فيقول : أفكار المسلمين وأفكار الغرب. ويرى له الحرية ؛ أن يختار الفكر الإسلامى أو العلمانى أو الليبرالى .
قال الشيخ ابن العثيمين :"... الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد ، يعتقد ما شاء من الأديان ، فإنه كافر ؛ لأن كل من اعتقد أن أحداً يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد ﷺ ، فإنه كافر بالله ﷻ يستتاب(٣) ، فإن تاب وإلا وجب قتله . والأديان ليست أفكاراً ، ولكنها وحي من الله ﷻ ينزله على رسله ، ليسير عباده عليه ، وهذه الكلمة ـ أعني كلمة فكر ـ التي يقصد بها الدين : يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية ، لأنها تؤدي إلى هذا المعنى الفاسد ، وهو أن يقال عن الإسلام : فكر ، والنصرانية فكر ، واليهودية فكر ـ وأعني بالنصرانية التي يسميها أهلها بالمسيحية ـ فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها من شاء من الناس ، والواقع أن الأديان السماوية أديان سماوية من عند الله ﷻ ، يعتقدها الإنسان على أنها وحي من الله ، تَعَبَّد بها عبادَه ، ولا يجوز أن يطلق عليها "فكر" .
وخلاصة الجواب : أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء ، وأنه حر فيما يتدين به ، فإنه كافر بالله ﷻ ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[آل عمران:٨٥] ، ويقول : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران:١٩] . فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن ديناً سوى الإسلام جائز ، يجوز للإنسان أن يتعبد به ، بل إذا اعتقد هذا فقد صرح أهل العلم بأنه كافر كفراً مخرجاً عن الملة " انتهى .(٤)



---

[1] الإنسان الكامل للجيلى :٣٦-٣٧

[2] - جامع كرامات الأولياء : ٤٩٤/١

[3] - الاستتابة ، من أجل تنزيل العقوبة ، لعله يرجع ، وليست الاستتابة من أجل تنزيل حكم الكفر عليه ، فهو كافر بمجرد التلبس بهذا الذنب .

[4] - مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين : ٩٩/٣-١٠٠ . ط / دار الثريا

الشرك فى التشريع

إن من أعظم مظاهر الشرك فى الأمة ، بل هو الشرك الأساس ، الذى بنى عليه كل شرك ، هو الشرك فى التشريع ، والحكم بغير ما أنزل الله .

وتحكيم القوانين الوضعية ، كفر أكبر ، صريح ، لا يجادل فيه إلا منافق معلوم النفاق .ودساتير اليوم لا تختلف عن " ياسق " التتار ، والذى حكم ابن كثير بكفر من تحاكم إليه .

قال تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠] .

قال ابن كثير : " ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحْكَم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان، الذي وضع لهم " اليَاسق " وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ أي: يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون.﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عَقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء."(١)

وقال أيضا : " فمن ترك الشرع المحكم والمنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ! فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه ؟! من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين " (٢)

قال شيخ الإسلام : " والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه ، وحرم الحلال المجمع عليه ، أو بدل الشرع المجمع عليه ؛ كان كافرا ومرتدا باتفاق الفقهاء ، وفى مثل هذا نزل قوله – على أحد القولين - : ومن لم يحكم ، أى : هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله "(٣)

وقال: " ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين : إنسهم وجنهم ، فمن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله "(٤)

---

1 - تفسير ابن كثير : ٦٧/٢

2 - البداية والنهاية : ١١٩/١٣ ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء . ط/ دار الغد العربى

3 - مجموع الفتاوى : ٣/ ٢٦٧- ٢٦٨.شيخ الإسلام / أحمد بن تيمية . ط / خادم الحرمين الشريفين .

4 - مجموع الفتاوى : ٤٢٢/٣

وقال : " وأما إذا حكم حكما عاما فى دين المسلمين ؛ فجعل الباطل حقا والحق باطلا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، والمعروف منكرا والمنكر معروفا ، ونهى عما أمر الله به ورسوله ، وأمر بما نهى عنه الله ورسوله .. فهذا لون آخر ، يحكم فيه رب العالمين ، وإله المرسلين ، مالك يوم الدين ، الذى ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٧٠] ". ([1])

قال الجصاص: " وفى هذه الآية - ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] - دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام ، سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم ، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة فى حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبى ذراريهم لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبى ﷺ قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان "([2])

وقال الأستاذ الهضيبى : " .. من جهر حرًا مختارًا بأنه يريد التحاكم إلى غير شريعة الله التى بلغته ليعرف ما هو حلال وما هو حرام وما هو فرض عليه وما هو منهى عنه أو ما له من حق وما عليه من واجبات فإنه يكون قد أعلن عقيدته الفاسدة وإنه يفضل تلك الشريعة التى يريد التحاكم إليها على شريعة الله تعالى التى بلغته . وأنه يكون بذلك قد جحد شريعة الله تعالى التى بلغته ، فهو كافر مشرك لا شأن لنا بما فى قلبه ، لأن من جحد بلسانه شيئا مما افترض الله عليه تعالى الإيمان به فى غير إكراه فقد كفر وأشرك وارتد عن الإسلام " ([3]).

وقال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق : " فالتشريع حق للرب جل وعلا ؛ فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله ، والدين والمنهج والطريق والصبغة هو ما شرعه الرب جل وعلا .واعتداء سلاطين الأرض وملوكها ورؤساؤها على شريعة الله ؛ بتحليل ما حرم ، وتحريم ما أحل : عدوان على التوحيد ، وشرك بالله ، ومنازعة له فى حقه وسلطانه جل وعلا.

وأكثر سلاطين الأرض اليوم وزعمائها قد تجرؤوا على هذا الحق ، وتجرؤوا على الخالق المالك سبحانه وتعالى فأحلوا ما حرم ، وحرموا ما أحل ، وشرعوا للناس بغير شرعه ؛ زاعمين تارة أن تشريعه لا يوافق العصر والزمن ، وتارة أنه لا يحقق العدل والمساواة والحرية ، وأخرى بأنه لا يحقق العزة والسيادة . والشهادة لهؤلاء الظالمين بالإيمان عدوان على الإيمان وكفر بالله سبحانه وتعالى.

ونأسف إن قلنا : إن سوادا كبيرًا من الناس قد أطاعوا كبراءهم فيما شرعوا لهم من شرع مخالف لشرعه سبحانه وتعالى ، وكثير من هذا السواد يصلى ويصوم – مع ذلك- ويزعم أنه من المسلمين ".([4])

---

1 - المصدر السابق : ٣٨٨/٣٥

2 - أحكام القرآن للجصاص : ١٨١/٣ . نقلا عن نظرية السيادة : ٥٦

3 - دعاة لا قضاة : ٧٦ . نقلا عن نظرية السيادة : ٥٦

4- الأصول العلمية للدعوة السلفية : ١٣ ، عبد الرحمن عبد الخالق . ط / دار العقيدة

بيان أن الحكم بغير ما أنزل الله شرك فى الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات

أولا : بيان كونه شرك فى الربوبية :

توحيد الربوبية : يقصد به إفراد الله بأفعاله ، ومنها الحكم ، بنوعيه ، القدرى والتشريعى .

قال تعالى:﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

فالله ﷻ هو الخالق وهو المشرع للأحكام ، والتحليل والتحريم ، موقوفا عليه وحده ، دون أحد من خلقه .

والمشرع من دون الله نصب نفسه ربا من دون الله وندا له .

وهذا من جنس كفر فرعون ، حيث قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات:٢٤]

فجعل لنفسه السيادة المطلقة على العباد ، والحكم الذى لا يرد .

فوصف نفسه بصفة من صفات الله ، وأفرد نفسه بالحكم من دون الله .

قال ذلك ترسيخا لما قرره سلفا :﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص:٣٨] .

فهو وحده صاحب الأمر والنهى والإباحة والحظر ، فكفر بذلك ، وأخذه الله بقوله الأول والأخير .

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ [النازعات : ٢٣ -٢٦]

ومثله النمرود : ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

حيث نسب لنفسه فعلا من أفعال الله ، وهو الخلق والتدبير .

فالنمرود نسب لنفسه " خلق الحياة والموت " ، وفرعون نسب لنفسه " حق التشريع والسيادة المطلقة " ، والخلق والتدبير والحكم لله وحده سبحانه .

قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]

وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠].

هذا المشرع من دون الله ، بدلا من خضوعه لحكم الله ،وإفراده بالحكم ، تجده ينصب نفسه ربا من دون الله .

فأى شرك فى الربوبية أكبر من ذلك الشرك ؟

ثانيا : بيان كونه شرك فى الإلوهية :

توحيد الإلوهية : هو إفراد الله بالعبادة ، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويأمر به ، أو يبغضه وينهى عنه .

فعباد لله : تصديقه فيما أخبر وامتثال أمره فيما أمر ، أى : طاعته فى التحليل والتحريم .

وعليه :

فطاعة غير الله فيما شرع من دون الله - أحل وحرم - عبادة له من دون الله سبحانه.
سواء كان - هذا الغير- فرداً ، أو جماعة ، أو هيئة ، حاكما أو شيخا ...إلخ

قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]
وكما ذكر غير واحد من أهل التفسير أن عدي بن حاتم ﷺ لما قدم المدينة ، دخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من فضة، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾. قال عدى: فقلت: إنهم لم يعبدوهم .
فقال: " بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلو لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم"..... وهكذا قال حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وغيرهما : إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا. وقال السدي: استنصحوا الرجال، وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ أي: الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام ، وما حلله حل، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ.
وعليه : فالمشرع من دون الله ، نصب نفسه ربا وإلها من دون الله ، ومن قبل ذلك منه فقد عبده من دون الله .
وبذلك ترى الحكم بغير ما أنزل الله شركا فى العبادة الإلوهية ، كم هو شرك فى الربوبية .

ثالثا : بيان كونه شرك فى الأسماء والصفات :

إن توحيد الله فى أسمائه وصفاته ، يعنى إفراده سبحانه بهذه الأسماء والصفات ، فلا يوصف بها أحد على سبيل المماثلة لله سبحانه .
والله سبحانه ، موصوف بالربوبية والإلوهية والسيادة والحكم .
والمشرع من دون الله ، كونه مشرعا ، أصبح موصوفا بالربوبية والإلوهية والسيادة والحكم ، على سبيل المثلية لصفات الله سبحانه .
وقد بينا سلفا ، متعلق الحكم بغير ما أنزل الله بالشرك فى الربوبية والإلوهية .
وهو من جهة أخرى شرك فى الأسماء والصفات .
والمشرع من دون الله جعل لنفسه السيادة المطلقة – الشركية – على الناس .
وهذه السيادة لله وحده بلا شريك .
روى أبى داود عن عبد الله بن الشخير ﷺ أنه قال : " انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدنا فقال:" السيد الله تبارك وتعالى "([1])
" والسيادة هى :السلطة العليا المطلقة التى تفردت وحدها بالحق فى إنشاء الخطاب الملزم المتعلق بالحكم على الأشياء والأفعال".([2])
هكذا أصبح المشرع من دون الله صاحب سيادة على الناس كسيادة الخالق على المخلوق ، والإله على العبد .

---

[1] - صحيح سنن أبى دواود: ٤٨٠٦.
[2] - قواعد نظام الحكم فى الإسلام للخالدى : ٢٤٠، نقلا عن نظرية السيادة : ٢٠

والله هو الحكم ، وحده لا شريك له ، وكان أبي شُرَيْحٍ يكنى أبا الحَكَم فقال له النبي ﷺ : " إن الله هو الحَكَمُ وإليه الحكم " [1]
وكناه بأبي شُرَيْحٍ وإنما كَره له ذلك لئلا يُشارِكَ الله في صفته .
قال ابن منظور : " وفي الحديث وبكَ حاكَمْتُ أي رَفَعْتُ الحُكمَ إليك ولا حُكْمَ إلا لك " [2]

وعليه :
فالمشرع من دون ، والمشرع له ، أشركوا بالله فى الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات ، فما من باب من أبواب الشرك إلا ولجوه ، وما من باب من أبواب التوحيد ، إلا خرجوا منه وتركوه .



1 - صحيح سنن أبى داود : ٤٩٥٥.
2 - لسان العرب : باب (حكم)

صور من شركيات الحكم بغير ما أنزل الله

شرك العلمانية:

جاء في القاموس الإنجليزي ، أن كلمة (علماني) تعني :
١- دنيوي أو مادي .
٢- ليس بديني أو ليس بروحاني .
٣- ليس بمترهب ، ليس برهباني ....

وجاء أيضًا في نفس القاموس ، بيان معنى كلمة العلمانية ، حيث يقول : العلمانية : هي النظرية التي تقول : إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية ....وفي دائر المعارف البريطانية ، نجدها تذكر عن العلمانية : أنها حركة اجتماعية ، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب ....ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية ، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد ، وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين :

* إلحاد نظري .
* إلحاد عملي . وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي .

...وما تقدم ذكره يعني أمرين :

أولهما : أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية ، التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا ، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها ، بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه .

ثانيهما : أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم ، كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس ، بأن المراد بالعلمانية : هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به ، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها ...ولهذا ، لو قيل عن هذه الكلمة – العلمانية- إنها :
اللادينية ، لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق ، وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح في المدلول " ([1])

للعلمانية صورتان ، كل صورة منهما أقبح من الأخرى :

الصورة الأولى : العلمانية الملحدة : وهي التي تنكر الدين كلية : وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور ، ولا تعترف بشيء من ذلك ، بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله ، وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها ، إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر ميسور لكافة المسلمين ، فلا ينطلي - بحمد الله - أمرها على المسلمين ، ولا يُقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يفارق دينه - وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين خطر ضعيف - وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين ، ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب ، أو السجن أو القتل .

---

[1] - العلمانية وثمارها الخبيثة : ٦ ، محمد شاكر الشريف . ط / دار الوطن.

الصورة الثانية : العلمانية غير الملحدة وهي علمانية لا تنكر وجود الله ، وتؤمن به إيمانًا نظريًا : لكنها تنكر تدخل الدين في شؤون الدنيا ، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا ،(وهذه الصورة أشد خطرًا من الصورة السابقة) من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين ، فعدم إنكارها لوجود الله ، وعدم ظهور محاربتها للتدين يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية ، فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين ، ولذلك تجد أكثر الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين أنظمة علمانية ، والكثرة الكاثرة والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك . ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم ، تحارب الدين حقيقة ، وتحارب الدعاة إلى الله ، وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين ؛ لأنها لم تظهر بالصورة الأولى ، وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا وسائر المسلمين ، وأن يفقه الأمة في دينها حتى تعرف حقيقة هذه الأنظمة المعادية للدين " ([1])

والخلاصة : أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لاشك فيها ولا ارتياب ، وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله ، وذلك أن الإسلام دين شامل كامل ، له في كل جانب من جوانب الإنسان الروحية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، منهج واضح وكامل ، ولا يقبل ولا يُجيز أن يشاركه فيه منهج آخر ، قال الله تعالى مبينًا وجوب الدخول في كل مناهج الإسلام وتشريعاته :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً } [البقرة:٢٠٨] ... والأدلة الشرعية كثيرة جدا فى بيان كفر وضلال من رفض شيئا محققا معلوما إنه من دين الإسلام ولو كان هذا الشىء يسيرا جدا ، فكيف بمن رفض الأخذ بكل الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدنيا – مثل العلمانيين – من فعل ذلك فلا شك فى كفره " ([2])

الأفكار والمعتقدات العلمانية :

١- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلا ، وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين منهج الله وبين حياة الإنسان.

٢- الحياة تقوم عندهم على أساس العلم المطلق ، وتحت سلطان العقل والتجريب.

٣- إقامة حاجز كثيف بين الروح والمادة والأخلاق أو القيم الروحية كما يسمونها هى قيم سلبية .

٤- فصل الدين عن السياسة ، وإقامة الحياة على أساس مادى .

٥- إعتماد مبدأ الميكافيلية فى فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة .

٦- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى.

وفى بلدان العالم العربى والإسلام ركزوا فى هجومهم وتزييفهم على عدة معان منها:

---

[1] ـ العلمانية وثمارها الخبيثة : ١٥-١٧

[2] ـ المصدر السابق : ١٨-١٩

- الطعن فى حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة
- الزعم بأن الإسلام قد استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية .
- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ، ويدعو إلى التخلف .
- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربى .
- تشويه الحضارة الإسلامية .
- تضخيم حجم الحركات الهدامة فى التاريخ الإسلامى ، والزعم بأنها حركات إصلاح كالمعتزلة والخوارج .
- إحياء الحضارات القديمة كالفرعونية فى مصر ، والبابلية فى العراق ، والأشورية فى الشام ، والاهتمام بالحفريات القديمة .
- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب ، ومحاكاته فيها ، وإرسال البعثات إلى الخارج دون أسس أو حصانة شرعية ، ثم يعودون صرعى الفكر العلمانى ليقودوا الأمة قيادة لا دينية ، فى الوقت الذى حصلوا فيه على أعلى الشهادات العلمية .

* تربية الأجيال تربية لا دينية ، وذلك حتى تتخرج أجيال يقودون البلاد والعباد قيادة علمانية بعد ذلك .([1])

فالعلمانية كما ترى حرب على الدين وأحكامه من كل وجه ، وشرك فى التشريع . قال الدكتور عمر بن عبد العزيز: " من الكفرة الذين يجب أن يدفعوا بالكفر بدون مواربة ولا استخفاء ...العلمانيون: الذين يرفضون – جهرة – شرع الله ، وينادون بأن الدولة يجب أن تنفصل عن الدين ، وإذا دعوا إلى حكم الله ورسوله أبوا وامتنعوا ، وأكثر من ذلك أنهم يحاربون – أشد الحرب – من يدعون إلى تحكيم شريعة الله والعودة إلى الإسلام . هذا ومحاولة فصل الدين عن الدولة أقصر طريق إلى الكفر ، وفيه إعلان الحرب على الله ، وإنكار أكبر معالم الدين ، وذلك كفر بواح ، والعياذ بالله.([2])



---

[1] - الديمقراطية ونظريات الإصلاح فى الميزان: ٦٢-٦٦ ، سعيد عبد العظيم .
ط/ دار الإيمان

2- حقيقة الإيمان : ٦٤ بتصرف

شرك الديمقراطية :

الديمقراطية : كلمة يونانية ، مكونة من كلمتين أضيفت إحداهما إلى الأخرى :
الأولى : ديموس وهي تعني الشعب .
والثانية : كراتوس وهي تعني الحكم والسلطة ، فصارت الكلمة المركبة من هاتين الكلمتين تعني حكم الشعب أو سلطة الشعب وعلى ذلك فالديمقراطية هي ذلك النظام من أنظمة الحكم الذي يكون الحكم فيه أو السلطة أو سلطة إصدار القوانين والتشريعات من حق الشعب أو الأمة أو جمهور الناس إذاً فهو حكم الشعب للشعب .

قال الخالدى :" إن الوصف الصحيح للنظام الديمقراطى ، هو ذلك النظام الذى يعتبر فصل الدين عن الحياة هو القاعدة الفكرية التى عليها يبنى مفهومه الذى يتمثل فى الإصرار على أن السيادة للشعب .
وأن الحاكم الذى له حق إصدار الأحكام على أفعال الإنسان إنما هو العقل وحده ، إذ لا علاقة للخالق بذلك ، فما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .
فالحاكمية والسيادة وإصدار الأحكام ، إنما هى للعقل لا للشرع .
فالإنسان هو الحاكم ، والإنسان هو المشرع ، والإنسان هو صاحب السيادة ممثلا فى رأى الأغلبية " ([1])

وقال:" لقد نصت جميع الدساتير فى البلدان القائمة فى العالم الإسلامى ، على أن السيادة للشعب ، تبنيا للفكر الديمقراطى كنظام للحكم .
وحين نص على ذلك ، اعتبر هذا تعبيرا عن السلطة الشعبية ، ودحرا للاستبداد ، ونصرا للعدل ، وقهرا للظلم .
بل تجاوز واضعو هذا النص إلى اعتبار أن الديمقراطية هى الشورى التى جاء الإسلام بها حكما شرعيا ، وبالتالى فهى لا تخالف الإسلام ، بل هى إسلام خالص .
وهذا القول يتضمن فى ذهابه إلى ذلك – حقيقة – هدما للإسلام من أساسة .
لأن الإسلام لم يأت نص واحد من نصوصه يدل على أن السيادة للشعب .
بل إن جميع النصوص قد نصت صراحة على أن السيادة للشرع لا للشعب .
وأن التشريع إنما هو الذى أتى به الوحى ، لا مجلس الأمة .
وأن القانون الذى يرجع إليه عند الاختلاف والمنازعات ، إنما هو القرآن والسنة والإجماع والقياس ، بل تضافرت النصوص القطعية الثبوت ، والقطعية الدلالة على نفى إيمان كل من يحتكم إلى غير الله ورسوله .([2])

مظاهر الشرك والفساد فى الديمقراطية :

الديمقراطية ، مذهب يحوى جملة من صور الشرك الأكبر ، وذلك أن هذا الفكر يقوم على الحرية المنافية للعبودية لله ، مثل :
الحكم بغير ما أنزل الله ، وعدم مراعاة الشروط الشرعية للحاكم ، والخضوع لرأى الأغلبية وإن خالفوا الشرع ، ومخالفة أصول الشورى فى الإسلام ، وتفريق الأمة إلى مؤيدين ومعارضين ....

---
[1] - نقض النظام الديمقراطى : ٥٨ ، د / محمود الخالدى . ط / دار الجيل
[2] - المصدر السابق : ٦١-٦٢ .

حرية الاعتقاد : تبيح للمسلم أن يرتد عن دينه .
حرية الرأى : فيحل عندهم الطعن فى الله ورسله وكتبه ، بحجة إفساح المجال للرأي الآخر، والنقض الموضوعى .
الحرية الشخصية : فيحل عندهم الدعارة والخمر والميسر وزواج المثلين الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة .
حرية إنشاء الأحزاب : لبث الفرقة والصراع والكراهية بين المسلمين ، وجمع الناس على العصبيات الجاهلية ، ونشر المذاهب والأفكار الحزبية ، المخالفة للإسلام .
حرية الصحافة والنشر : لنشر النصرانية والتشيع والدعارة والجنس ، وإثارة الشبهات .
حرية المعارضة : فكل شيء باسم المعارضة مستباح .
وبذلك فالديمقراطية تنافى العبودية لله من كل وجه ؛ فالعبودية هى الخضوع المطلق لسلطان الإسلام ، فلا يخرج العبد عليه باعتقاد أو قول أو عمل .
قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].
فالديمقراطية هي أخطر مذهب ونحلة ونظام يقوم اليوم في الأرض فهي أم الكفر ، حيث يمكن أن يعيش في ظلها كل مذهب وكل دين من يهود ، ونصارى ، ومجوس، وبوذيين ، وهندوس ، ومسلمين وكلهم في ميزان الديمقراطية أصحاب آراء محترمة يسمع لها ، ولها الحق في مزاولة عقائدها ونشرها بكل وسيلة ، وكفى بهذا زندقة ومروقاً من دين الإسلام .
" والحق عند المسلم هو ما أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ ، أو دعا إليه وإن خالف فى ذلك أكثر من فى الأرض والباطل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ وإن وافق عليه أكثر من فى الأرض ، فالعبرة – شرعا – فى معرفة الحق من الباطل ليست فى الكثرة أو القلة ، بل العبرة بموافقة الشرع أو مخالفته .... بينما الحق فى الديمقراطية هو ما أمر به الشعب ، والباطل هو ما نهى عنه الشعب ، وإرادة الشعب هى معيار الخطأ والصواب ، فما أقره الشعب وقبله فهو الصواب ، وما تركه ولم يقبله فهو الخطأ ، فالإرادة الشعبية معصومة . ومن هنا ، فإن الديمقراطية قد رفعت الشعب إلى المنزلة التى لا تليق إلا بالله تعالى ، وهذا الفرق لا يستطيع أن ينكره أحد ، إلا عن طريق الكذب والتضليل لخداع الناس وإيهامهم .
وتعريفات الديمقراطية فى بلد المنشأ تدل على ذلك ، بل ابتعاد الديمقراطية عن الدين هو- عندهم – أحد مسوغات الدعوة إليها....ومن نتائج تلك الخاصية : أنه يحق للشعب – فى صورة من يمثلونه – إصدار القوانين والتشريعات الملزمة التى يلتزم بها الجميع ، كما أن له الحق فى تغيير وتبديل هذه القوانين والتشريعات كلما بدا له أن تغييرها أفضل من الإبقاء عليها ".(١)



1 - أسلمة الديمقراطية حقيقة أم وهم : ٣٨:٤٢، بتصرف ، محمد شاكر الشريف . ط / دار طيبة بالرياض

شرك مزاملة الأديان :

" الدعوة إلى زمالة الأديان دعوة تظهر أحيانا بهذا الاسم وأحيانا باسم (التقريب بين الأديان) وأحيانا باسم (جمعيات الصداقة بين الأديان) ، ونحو هذه المسميات ، وجوهرها وهدفها فى الحقيقة أن يكتسب اليهود والنصارى فى هذا العصر اعترافا من المسلمين بصحة دينهم ".([1])

قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

" الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب.

وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولا: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام ، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وقال تعالى:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] . والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام : أن كتاب الله تعالى : (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولا وعهداً برب العالمين ، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل ؛ من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها ، ومهيمن عليها ، فلم يبق كتاب منزل يُتعبد الله به سوى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٤٨]

ثالثا: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم ، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم ، منها قول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً

---

[1] ـ مذاهب فكرية معاصرة فى الميزان : ١٩٣ ، د . علاء بكر . ط / دار العقيدة

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [المائدة :١٣] .
وقوله جل وعلا: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٩] ، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].
ولهذا فما كان منها صحيحا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب ﷺ صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: " أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي " ([1])
رابعا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ ، وإنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] ، ونبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعا لمحمد ﷺ ، وحاكما بشريعته،وقال الله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] . كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وغيرها من الآيات.
خامسا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافراً ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ١] وقال جل وعلا: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٦] وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] وقال تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] الآية ، وغيرها من الآيات.

---

1 - أخرجه أحمد فى المسند : من حديث جابر بن عبد الله : ٤٧٣/٣ ح : ١٥١٦٤
وحسنه الإلبانى فى " إرواء الغليل" برقم : ١٥٨٩

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: " والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار" . ولهذا فمن لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر، طرداً لقاعدة الشريعة: (من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر).

سادسا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وقوله جل وعلا: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩] .

سابعا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] ويقول جل وعلا: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

ثامنا: إن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعا، محرمة قطعا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعا: وبناء على ما تقدم :

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلا عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟ فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يُعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من

عند الله، تعالى الله عن ذلك. كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله) وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥]. بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله من الكفر وأهله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٢٢ / ١٦٢): " ليست - البيع والكنائس - بيوتا لله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها،وأهلها الكفار، فهي بيوت عبادة الكفار".

عاشرا: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامة، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين، بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام، ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤] أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون والله المستعان على ما يصفون، قال تعالى: ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] . وإن اللجنة إذ تقرر ما تقدم ذكره وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين، وترويجها بينهم. نسأل الله سبحانه، بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم".([1])



1 - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : رقم : ١٩٤٠٢

شرك الدعوة إلى الإنسانية (العالمية) :

هى دعوة إلى توحيد الشعوب على اختلافها فى وحدة عالمية فى إطار المبادىء الإنسانية تحت شعار : الحرية – الإخاء – المساواة ، وبمقتضاها تعد البشرية أسرة إنسانية واحدة يحكمها قانون دولى واحد من خلال هيئات دولية تحل القضايا المتنازع فيها بالطرق السلمية والدبلوماسية .([1])

ومما ذكر فى ديباجة هذه الدعوة " انبثاق عالم يتمتع بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة ". إن هذه العبارة اعتراف وإقرار من كل من صدق على هذا الإعلان بحرية الإلحاد وعدم مجاهدة المرتدين وعدم إفزاع الكفار.

فى المادة الأولى: " يعامل الناس بعضهم بعضا بروح الإخاء ". قلت:إن التعامل بروح الإخاء مع الكفرة والملحدين يناقض حكم الجهاد ، فالمؤمن أخو المؤمن عدو الكافر.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم:٩] وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:١٢٣].

فى المادة الرابعة: " لا يجوز استرقاق أى شخص".

قلت: وهذا تحريم لما أحل الله وهو يناقض أحكام الجهاد .

فى المادة الخامسة: " لا يعرض أى شخص للتعذيب ولا للعقوبات والمعاملات القاسية والوحشية ".

قلت: إن أعضاء هيئة الأمم المتحدة المصدقون على هذه الحقوق مجمعون على أن رجم الثيب الزانى من العقوبات الوحشية التى تتنافى مع نظامهم ، تعالى الله عن قول الكفرة والملحدين علوا كبيراً.

فى المادة الثامنة : " لكل شخص أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية ".

قلت:لا يجوز للمسلم اللجوء إلى المحاكم التى لا تحكم بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩] .

فى المادة الحادية والعشرين :" لكل فرد الحق فى الاشتراك فى إدارة الشئون الأمة للبلاد" .

قلت : ليس للكافر ذلك فى دار الإسلام ، لقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لمن جعل كاتباً نصرانياً : " لا تكرموهم إذ أهانهم الله ، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله ، ولا تأمنوهم إذ خونهم الله عز وجل" .([2])



[1] ـ مذاهب فكرية فى الميزان : ٢٠٣

[2] ـ المصدر السابق :٢٠٤:٢٠٦ بتصرف

شرك الدعوة إلى السلام العالمى والتعايش السلمى :

دعوة سياسية عالمية تنادى بنبذ الحروب أيا كانت ، ومهما كانت دوافعها ، بدعوى حماية البشرية من ويلات الحروب وأهوالها ، واستجابة لمبادىء منظمة الأمم المتحدة الداعية إلى حفظ السلام والأمن الدولى ، وإقامة العلاقات الدولية على أساس مبدأ المساواة بين كل الشعوب وحرية تقرير المصير واحترام الحريات ، وعدم التميز بين البشر بسبب الجنس أو الدين أو اللغة أو اللون ، على أن تحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية وفق مبادئ القانون الدولى .([1])

أقول :إن هذه الدعاوى كلها: العلمانية والديمقراطية ومزاملة الأديان والإنسانية والسلم العالمى ،تناقض حكم الله سبحانه وتعمل على إزالته من الوجود ، وهى محاولات مختلفة فى الهيئة متفقة فى المضمون ، هدفها إخراج المسلم من دينه وانسلاخه منه تماما ، سواء دخل فى دين آخر أو لم يدخل .

فكلها حكم طاغوت وجاهلية ، لا يحل لمسلم أن يرضى بجزء منها ، بل يجاهدها وينكرها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

قال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة :١٠٩] ، قال:﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة:٢١٧] وقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٠] ، وقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٩] ، وقال: ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة:٢]

وعليه : فطاعة القوم فيما أرادوا ردة صريحة عن الإسلام وخسارة الدنيا والآخرة ولأن أول ما ينبغى صيانته من الدين التوحيد ، وجب على العاملين للدين أن يجعلوا للتصدى لهذه الدعاوى أكبر همهم وجهادهم وإنفاقهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وبالجملة :

" ... من اتخذ الديمقراطية أو الاشتراكية أو أى نظام أو فكر غير الإسلام عقيدة يعتقدها ونظاما يلتزمه وسلطة يخضع لها وينطلق عن أمرها ونهيها فقدا دان بدين غير الإسلام ، ورضى عقيدة غير عقيدة الإسلام . والله أعلم ([2])



[1] - مذاهب فكرية معاصرة :٢١٠

2 - فتاوى الشبكة الإسلامية – على شبكة الإنتر نت – رقم الفتوى : ١٨٦٧٤، بتاريخ : ٢٧ ربيع الثانى ١٤٢٣

الفصل الثالث

الشرك فى الإلوهية

الفصل الثالث

الشرك فى الإلوهية

الشرك فى الإلوهية ، هو اتخاذ إلها من دون الله ؛ يعبده بأى صورة من صور العبادة ، سواء كانت عبادة قلبية أو قولية أو فعلية .

ومن صور الشرك فى العبادة :

الرياء :

معنى الرياء: " راءَيْت الرجلَ مُراآةً ورياءً أَرَيْته أَنِّي على خلاف ما أَنا عليه وفي التنزيل ﴿ بَطَراً ورِئاءَ الناس﴾ وفيه﴿ الذين هُمْ يُراؤونَ﴾ يعني المنافقين أَي إِذا صَلَّى المؤْمنون صَلَّوا معَهم يُراؤُونهُم أَنَّهم على ما هم عليه وفلان مُراءٍ وقومٌ مُراؤُونَ والإسم الرِّياءُ يقال فَعَلَ ذلك رياءً وسُمْعَةً ".([1])

فالمقصود بالرياء: أن يعمل عملاً يبتغى به غير وجه الله ، ويسير الرياء من الشرك الأصغر ، وقد يصل إلى الشرك الأكبر إن كان كثيراً.

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ " قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه ".([2])

وعن أبى سعيد مرفوعا:" ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ الشرك الخفي : أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل" .([3])

قلت : وقد كثر الرياء فى زماننا ، حتى إن العبد ليحج البيت الحرام أو يعتمر ؛ فيكتب ذلك على داره ، ويتخذه لقبا ينادى به فى الناس .

وإن العبد ليبنى مسجدا ، ليمجد به عائلته ، أو نفسه ، حتى ترى مسجدين متجاورين ، هذا لبيت فلان ، وهذا لبيت فلان .

وإن الرياء ليحدث فى الجنائز ، فترى التفاخر بإقامة الأربعين والسنوية وغيرها من بدع الجنائز ، وما قامت إلا تفاخرا ، وقد يؤتى بقارئ مشهور ، يتقاضى عدة آلاف من الجنيهات ، وكل ذلك للفخر بين الناس أيضا .

ومنه التفاخر فى مناسبات الزواج ، بالإسراف فى الحفل واستعمال الكهرباء ، والإسراف فى المهور.

رياء فى الأحزان ورياء فى الأفراح ؛ والمظاهر والمناسبات ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

حب غير الله كحب الله :

قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

---

[1] - لسان العرب: باب رأى

[2] - رواه مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة (باب من أشرك فى عمله غير الله) ص: ١٤٧٢ ح : ٢٩٨٥.

[3] - رواه أحمد فى المسند : ٣٧/٣ ح : ١١٢٥٨ من حديث أبى سعيد ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع : ٢٦٠٧

[التوبة:٢٤] . " أي: إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾ أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ". ([1])

قال شيخ الإسلام :"...وما اعتقد أحد منهم – المشركين- قط أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبره وإنما كان شركهم كما ذكرنا أن اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وهذا المعنى يدل على أن من أحب شيئا من دون الله كما يحب الله تعالى فقد أشرك وهذا كقوله :﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۞ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٦:٩٨] . وكذا من خاف أحدا كما يخاف الله أو رجاه كما يرجو الله وما أشبه ذلك ".([2])

قال ابن القيم :".... متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة أمره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه ألبتة ولا يهديه الله قال الله تعالى :
﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤] فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحدهم على معاملة الله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وإن قاله بلسانه فهو كذب منه وإخبار بخلاف ما هو عليه وكذلك من قدم حكم أحد على حكم الله ورسوله فذلك المقدم عنده أحب إليه من الله ورسوله ". ([3])
قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "...أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله ، ويقدم طاعتهم على طاعة الله ، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد ، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئا ، وهذا السبب الواهي الذي تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله ، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضا وعداوة ؛ **واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام :**
الأول : محبة الله هي أصل الإيمان والتوحيد .
الثاني : المحبة في الله وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم ، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم ، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها .

---

[1] - تفسير ابن كثير: ٣٤٢/٢
2 - مجموع الفتاوى : ٩١/١، ٩٢
[3] - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ١١٢/١-١١٣، العلامة بن قيم الجوزية . ط/ دار الكتب العلمية .

الثالث : محبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر وحجر وبشر وملك وغيرها وهي أصل الشرك وأساسه .
وهنا قسم رابع : وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهذه إذا كانت مباحة ، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات ، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات ، وإلا بقيت من أقسام المباحات . والله أعلم" .([1])
قلت : قوم يحبون غير الله كحب الله أو أشد ؛ فإذا عرض عليهم حكم الله ورسوله ، قدموا حكم غيره عليه .
فتراهم يضحون بدينهم ، ويضربون بشريعتهم عرض الحائط ؛ طاعة ومحبة لشيخ أو جماعة أو حزب أو وظيفة أو رتبة .

حتى إن منهم من قال : إنى لا أجامع زوجتى إلا بإذن عمى (يقصد شيخ طريقه) .
وسترى ، مدح " خالد على " لعمه ، وكيف يتعلقون بحبه أكثر من الله بكثير ، بل لا يرون الله ، من فرط حبهم له ، فيصرفون له جل العبادات من دون الله .
هذا بخلاف من أعمى حب الدنيا بصائرهم ؛ فإذا بهم من أجل المناصب والحفاظ عليها ، يعلنونها حربا لا هوادة فيها على الإسلام وأهله .
فكم أحرقوا من بيوت الله ، ومن أموال الناس ، وكم قتلوا وسفكوا من الدماء المعصومة ؛ وكم تهكموا من الشريعة وسخروا من طلابها ، طاعة للغرب ، وحبا فى المنصب والجاه والسلطان .
بل رأينا من يزور فى الفتوى ، ويدعى فى الدين ما ليس منه ابتغاء منصب أو حفنة من المال .
ومن ينكر المعلوم من الدين بالضرورة ، حتى أنكروا كفر اليهود والنصارى ، بخلاف من يسارع فى تهنئة النصارى بميلاد ربهم ، أو موته وقيامته ؛ وكل ذلك ليحوزوا شيئا من حطام الدنيا . نعوذ بالله من العمى بعد الهدى .

خوف غير الله :

قال تعالى :﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]
" **الخوف من حيث هو ، ثلاثة أقسام :**
أحدها: خوف السر ، وهو أن يخاف من غير الله ، من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره ؛ كما قال تعالى عن قوم هود ، إنهم قالوا له: ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ [هود:٥٤،٥٥] .
وقال تعالى: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [الزمر:٣٦] وهذا هو الواقع عن عباد القبور ونحوها من الأوثان ، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله ، وهذا ينافى التوحيد .
الثانى :أن يترك الإنسان ما يجب عليه ، خوفا من بعض الناس . فهذا محرم ، وهو نوع من الشرك بالله المنافى لكمال التوحيد ، وهذا هو سبب نزول هذه الآية ؛ كما قال

---
[1] ـ القول السديد : ١١٦

تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٣:١٧٥]

وفى الحديث:" إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره ؟ فيقول : رب خشيت الناس . فيقول : إياى كنت أحق أن تخشى "([1]).

الثالث: الخوف الطبيعى ، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك ، فهذا لا يذم ؛ كما قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام:﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص:٢١].([2])

قلت : وكثير من الصوفية يعتقدون نزول البلاء من الأولياء على من أنكر عليهم منكرات الأضرحة والقبور؛ تماما كما خوف المشركون " ضمام " لما عاب أصنامهم ؛ فقالوا : " مه يا ضمام اتق البرص؛ اتق الجزام "

فهذا خوف عبادة من هذه أصحاب الأضرحة ، وهو شرك بالله العظيم .

رجاء غير الله:

الرجاء فى المخلوق فيما يقدر عليه ، لا حرج فيه . كأن يرجو أن فلانا يسانده فى شدته المالية مثلا بأن يقرضه أو يمنحه مالاً.

أو يرجو فلانا أن يتجاوز عنه فى دَيْنٍ مستحق له عليه .

أومن سقط فى بحر ونادى أحد المارة رجاء إنقاذه ؛ مثل هذه الصور من الرجاء مباحة .

وإنما الشرك : أن يجعل لله ندا - أي : مثيلا في رجائه .

كأن يرجو ميتا أو غائبا أو مخلوقا فيما لا يقدر عليه إلا الله .

كمن يرجو غير الله أن يدخله الجنة وينجيه من النار ؛ كمعتقد أن من زار الدسوقى أدخله الجنة ؛ وأن أحمد التيجانى يدخل كل أتباعه الجنة.

أو يرجو غير الله أن يبارك له فى رزقه ، أو يرد غائبه ؛ أو يرزقه الولد ...

وما شابه ذلك من خصائص الربوبية .

كما ذكرنا عن أحمد التيجانى قوله :" وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب ، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا ، وبلغوا من المعاصى ما بلغوا إلا أنا وحدى."!

وقد رأيت طلابا قبل دخول لجنة الامتحان يزورون قبور الأولياء رجاء تيسير الإجابة .

وقد رأيت من مراسم الزواج فى بعض القرى زيارة العريس لقبور الأولياء رجاء البركة والتوفيق فى الزواج . وهذه صور الشرك فى الرجاء .

---

1 - رواه ابن ماجه : كتاب الفتن (باب قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ...) : ١٣٣٢/٢ ح : ٤٠١٧ وصححه الألبانى فى الصحيحة : ٩٢٩

2 - فتح المجيد : ٦٠٤

التوكل على غير الله :

" **والتوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام :**

الأول : توكل عبادة وخضوع ، وهو الاعتماد المطلق على من توكل عليه ، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر ، فيعتمد عليه اعتماداً كاملاً ، مع شعوره بافتقاره إليه ، فهذا يجب إخلاصه لله تعالى ، ومن صرفه لغير الله ، فهو مشرك شركا أكبر ، كالذين يعتمدون على الصالحين من الأموات والغائبين ، وهذا لا يكون إلا ممن يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون ، فيعتمد عليهم في جلب المنافع ودفع المضار

الثاني : الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك ، وهذا من الشرك الأصغر ، وقال بعضهم : من الشرك الخفي ، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه ، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار ، فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر ، فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب ، بل جعله فوق السبب .

الثالث : أن يعتمد على شخص فيما فوض إليه التصرف فيه ، كما لو وكلت شخصاً في بيع شيء أو شرائه ، وهذا لا شيء فيه ، لأنه اعتمد عليه وهو يشعر أن المنزلة العليا فوقه ، لأنه جعله نائباً عنه ".([1])

دعاء غير الله :

قال تعالى:﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس :١٠٦].

وقال سبحانه:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف :٥]

وقال أيضا:﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل:٦٢]

قال الشيخ ابن عثيمين :

" **الدعاء على نوعين :**

الأول: دعاء عبادة ؛ بأن يتعبد للمدعو ؛ طلبا لثوابه وخوفا من عقابه ، وهذا لا يصح لغيرالله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة ، وعليه يقع الوعيد فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]

النوع الثانى: دعاء المسألة وهو دعاء الطلب ؛ أى : طلب الحاجات ؛ وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : دعاء الله سبحانه وتعالى بما لا يقدر عليه إلا هو ، وهو عبادة لله تعالى ؛ لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه ، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة ، فمن دعا غير الله عز وجل بشىء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا .

القسم الثانى : دعاء الحى بما يقدر عليه ، مثل يا فلان اسقنى فلا شىء فيه.

---

[1] ـ القول المفيد :٦٢٠

القسم الثالث: دعاء الميت أو الغائب بمثل هذا فإنه شرك ؛ لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا ؛ فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفا فى الكون ، فيكون بذلك مشركا".([1])

أقول : وهذا فى الشيعة والصوفية كثير جدا ، ولا عد له ولا حصر.
وما ذهب الناس إلى الحسينيات الشيعية والموالد الصوفية إلا لدعاء الأولياء .

الاستغاثة بغير الله :

قال الشيخ ابن عثيمين :
" الاستغاثة : طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك .
وهو أقسام :
الأول : الاستغاثة بالله ﷻ ؛ وهذا من أفضل الأعمال وأكملها ؛ وهو دأب الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ، ودليله قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩] .
الثانى : الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك ؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفيا فى الكون ، فيجعل لهم حظا من الربوبية ، قال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] .
الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة ؛ فهذا جائز كالاستعانة بهم قال تعالى فى موسى ﵇: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص :١٥].
الرابع : الاستغاثة بحى غير قادر ، من غير أن يعتقد أن له قوة خفيه ، مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل ؛ فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به ، فيمنع لهذه العلة ، ولعلة أخرى ، وهى أنه ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المستغاث به – وهو عاجز – أن له قوة ينقذ بها من الشدة .([2])

ومن فتاوى اللجنة الدائمة :" ... دعاء غير الله والاستغاثة به لتفريج كربة أو كشف غمة شرك أكبر لا يجوز فعله ؛ لأن الدعاء والاستغاثة عبادة وقربة لله وحده ، فصرفها لغيره شرك أكبر يخرج من الإسلام والعياذ بالله ، قال تعالى: سورة ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٦،١٠٧]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] .
وقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب صرف العبادة لله وحده. وثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا

1- كشف الشبهات ، محمد بن عبد الوهاب ، شرح محمد بن صالح العثيمين : ٦٩.
ط /ابن دار الجوزى
2- شرح كشف الشبهات : ٧٠،٧١

استعنت فاستعن بالله" (1) ، وقال ﷺ : " الدعاء هو العبادة" .(2) وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم".(٣)

ومنها أيضا: " من استغاث بالأولياء بعد موتهم أو في حال غيبتهم عنه فهو مشرك شركا أكبر؛ لقوله تعالى: سورة يونس الآية ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٦،١٠٧]. وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم".(4)

الاستعاذة بغير الله :

الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهو من خصائصه ، فلا بأس بذلك كما ذكرنا فى الاستغاثة .

أما الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك.

أما أن يتعوذ بمخلوق من مرض يخشاه أو الرسوب فى الامتحان أو يتعوذ بمخلوق من الفقر والفاقة أو يتعوذ بغائب أو ميت أو يتعوذ برؤساء الجن من أقوامهم ، فهذا كله من الشرك الأكبر.

قال تعالى:﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

" ﴿ يعوذون برجال من الجن ﴾ ، أي: يلتجئون إليهم مما يحاذرونه، يظنون أنهم يعيذونهم ، ولكن زادوهم رهقاً ، أي: خوفاً وذعراً، وكانت العرب في الجاهلية إذا نزلوا في واد نادوا بأعلى أصواتهم: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه .... والمستعيذ بالشيء لا شك أنه قد علق رجاءه به، واعتمد عليه، وهذا نوع من الشرك ".(5)

قال ابن عثيمين " أما الاستعاذة بالمخلوق، ففيها تفصيل، فإن كان المخلوق لا يقدر عليه، فهي من الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق عند أحد من الأئمة "، وهذا ليس على إطلاقه، بل مرادهم مما لا يقدر عليه إلا الله، لأنه لا يعصمك من الشرك الذي لا يقدر عليه إلا الله، سوى الله. ومن ذلك أيضاً الاستعاذة بأصحاب القبور، فإنهم لا ينفعون ولا يضرون، فالاستعاذة بهم شرك أكبر، سواء كان عند قبورهم أم بعيداً عنهم. أما الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه، فهي جائزة ".(٦)

---

1 - رواه أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس : ٤٠٠/١ ح : ٢٨٠٧ ، صححه الألبانى فى " صحيح الجامع " برقم : ٧٩٥٧

2 - أبو داود : كتاب الصلاة (باب الدعاء) ح : ١٤٧٩ ، صححه الألبانى فى الصحيحة فى التعليق على حديث رقم : ٢٦٥٤

3 - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : ٧٧/١- ٧٨ ، رقم : ٥٠٣٤

4 - المصدر السابق : ٨٧/١ ، رقم : ٧٢٦٧

5 - القول المفيد : ٢٦٩،٢٧٠ بتصرف

6 - القول المفيد : ٢٧٤

الاستعانة بغير الله:

يقال في الاستعانة ما قلناه في الاستغاثة والاستعاذة ، أن طلبها من الحي الحاضر فيما يقدر عليه جائز ، أما الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر.

قالت اللجنة الدائمة : " الاستعانة بالجن أو الملائكة والاستغاثة بهم لدفع ضر أو جلب نفع أو للتحصن من شر الجن شرك أكبر يخرج عن ملة الإسلام والعياذ بالله- سواء كان ذلك بطريق ندائهم أو كتابة أسمائهم وتعليقها تميمة أو غسلها وشرب الغسول أو نحو ذلك، إذا كان يعتقد أن التميمة أو الغسل تجلب له النفع أو تدفع عنه الضر دون الله. وأما كتابة أسماء الله تعالى وتعليقها تميمة فقد أجازه بعض السلف وكرهه بعضهم؛ لعموم النهي عن التمائم واعتبار تعليقها ذريعة إلى تعليق غيرها من التمائم الشركية؛ ولأن تعليقها يعرضها للأوساخ والأقذار وفي ذلك امتهان لها، وهذا هو الصواب. وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم".([1])

وسئلت اللجنة الدائمة عن :" مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقول عند قيامه أو قعوده: يا رسول الله، أو: يا أبا القاسم، أو: يا شيخ عبد القادر ، ونحو ذلك من الاستعانة فما الحكم ؟

فأجابت: نداء الإنسان رسول الله ﷺ أو غيره كعبد القادر الجيلاني أو أحمد التيجاني عند القيام أو القعود والاستعانة بهم في ذلك أو نحوه لجلب نفع أو دفع ضر - نوع من أنواع الشرك الأكبر الذي كان منتشرا في الجاهلية الأولى، وبعث الله رسله عليهم الصلاة والسلام ليقضوا عليه وينقذوا الناس منه ويرشدوهم إلى توحيد الله سبحانه وإفراده بالعبادة والدعاء، وذلك أن الاستعانة فيما وراء الأسباب العادية لا تكون إلا بالله تعالى؛ لأنها عبادة فمن صرفها لغيره تعالى فهو مشرك، وقد أرشد الله عباده إلى ذلك فعلمهم أن يقولوا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥] وقال : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] وبين لهم أنه وحده بيده دفع الضر وكشفه وإسباغ النعمة وإفاضة الخير على عباده وحفظ ذلك عليهم، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ۝ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[يونس:١٠٦- ١٠٧] . وقال تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝ نْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣- ١٤]. وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[الأحقاف:٥-٦] وقال:﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ

---

1 - اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : ١٣٥/١. إجابة السؤال الخامس من الفتوى رقم : ٣٣٢١.

فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون : ١١٧] فسمى تعالى دعاء غيره في هذه الآيات: كفرا وشركا به، وأخبر أنه لا أضل ممن يدعو غيره سبحانه.."([1])

مدد ... يا عم ([2])

إن طلب المدد - العون - من الأموات والغائبين استعانة أو استغاثة بهم شرك أكبر فى الدعاء .

وهذه قصيدة " خالد على" لشيخه صاحب الخليلية ، يدعوه ، ويعبده فيها من دون الله يقول :

وأنا فى طريقى لعمى بقول مدد يا عـم ** وأنا فى سلامى لعمى بقول مـدد يا عم

أقول : هذه استعانة بشيخه ، وهو غائب عنه ، وذلك شرك .

وأنا بسلم روحى بقول مـــدد يا عـــم ** وأنا فى حر الدنيا بقول مـــــدد يا عم
وأنا فى برد الدنيا بقول مـدد يا عـــم ** فى كل وقت وحين رح أقول مدد يا عم
وأنا فى عز الشدة بقول مـدد يا عـم ** وأنا فى عز الفرحة بقول مـــــدد يا عم
من كل قلبى حقول على طول مدد يا عم ** وقبل ما أمشى فى سكة حقول مـــدد يا عم

أقول : هذه استغاثة بشيخه من الحر والبرد والشدائد ، وهذا شرك بالله .

وقبل ما أخطى الخطوة بقول مدد يا عم ** وقبل ما أنطق كلمة بقول مـــدد يا عم
وفى كل لحظة ضعف بقول مـدد يا عم ** وفى كل لحظة صدق بقول مـــدد يا عم
من ظلم كل الخلق بقول مــــدد يا عم** دايما بحب وأنادى وأقول مـــــدد يا عم
بأعلى صوت من قلبى بقول مـــدد يـــا عم** فى الشرق أو فى الغرب بقول مـدد يا عم
فى ليلى أو فى نهارى بقول مـدد يا عم ** ومهما قالوا على بقول مــــــدد يا عم

أقول: هذه قصيدة شركية من أولها لآخرها ، فيها استعانة واستغاثة واستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .

سئلت اللجنة الدئمة : ما حكم طالب المدد من شخص ميت بأن يقول: مدد يا فلان، وما الحكم في طلبه أيضا من الأحياء الغير حاضرين لذلك الشخص الطالب للمدد؟
فأجابت: أولا: طالب المدد من شخص ميت بأن يقول: مدد يا فلان، يجب نصحه وتنبيهه بأن هذا أمر محرم ، بل هو شرك ، فإن أصر على ذلك فهو مشرك كافر؛ لأنه طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ، فقد صرف حق الله إلى المخلوق ، قال تعالى:﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[المائدة:٧٢] الآية.
ثانيا: طلب المدد من الحي الذي ليس بحاضر لا يجوز؛ لأنه دعا غير الله وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهو شرك أيضا قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠] ودعاء الحي الغائب نوع من العبادة ، فمن فعل ذلك نصح، فإن لم يقبل فهو مشرك شركا يخرج من الملة. وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم " ([3])

---

[1] - فتاوى اللجنة الدائمة : ١/ ١٦٤- ١٦٥ . رقم : ١٧١١
[2] - مقطع فيديو ، خالد على مدد يا عم ؛ على هذا الرابط :
http://www.youtube.com/watch?v=N6nvHWml2jU
[3] - فتاوى اللجنة الدائمة : ١/ ١٣٧. رقم : ٤٢٥٩

الذبح لغير الله :

الذبح على أعتاب الأضرحة شعائر مشهورة عند الصوفية ، وأقبحها الذبح يوم عرفات عند أبى الحسن الشاذلى ، يضاهون بذلك شعائر الحج الأكبر ، ومشهور قولهم: أن من زار الشاذلى سبع مرات ، كان كمن حج إلى البيت الحرام ، ونعوذ بالله من الضلال.

ومن الذبائح الشركية أيضا : الذبح للجن ، حيث يطلب الساحر أو الكاهن من الناس ذبح هدهد أو غراب أو غير ذلك ويرمى به فى مكان معين ولا يذكر اسم الله عليه .

ومنها الذبائح فى الحفل المسمى " الزار" ، حيث ترقص المرأة صاحبة الزار وسط الرجال الضاربين بالدفوف ، وحولهم البخور ، مع قولهم أشعار معينة ، ثم يذبحون للجن ، ويتكرر ذلك كل عام .

قال الشيخ ابن العثيمين : "... توحيد العبادة هو إفراد الله - سبحانه وتعالى - بالعبادة بأن لا يتعبد أحد لغير الله - تعالى - بشيء من أنواع العبادة ، ومن المعلوم أن الذبح قربة يتقرب بها الإنسان إلى ربه لأن الله - تعالى- أمر به في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢] وكل قربة فهي عبادة ، فإذا ذبح الإنسان شيئاً لغير الله تعظيماً له ، وتذللاً ، وتقرباً إليه كما يتقرب بذلك ويعظم ربه - ﷻ كان مشركاً بالله ﷻ وإذا كان مشركاً فإن الله - تعالى قد بين أنه حرم على المشرك الجنة ومأواه النار . وبناء على ذلك نقول : إن ما يفعله بعض الناس من الذبح للقبور - قبور الذين يزعمون بأنهم أولياء - شرك مخرج عن الملة ، ونصيحتنا لهؤلاء أن يتوبوا إلى الله ﷻ مما صنعوا ، وإذا تابوا إلى الله وجعلوا الذبح لله وحده كما يجعلون الصلاة والصيام لله وحده ، فإنه يغفر لهم ما سبق كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٣٨] بل إن الله تعالى - يعطيهم فوق ذلك فيبدل الله سيئاتهم حسنات كما قال الله -تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠-٦٨] فنصيحتي لهؤلاء الذي يتقربون إلى أصحاب القبور بالذبح لهم : أن يتوبوا إلى الله من ذلك ، وأن يرجعوا إليه ،وأن يخلصوا دينهم له سبحانه ،وليبشروا إذا تابوا بالتوبة من الكريم المنان ، فإن الله - سبحانه وتعالى- يفرح بتوبة التائبين وعودة المنيبين.([1])

النذر لغير الله :

مازال الناس ينذرون للقبور والأضرحة ، أموالا أو فرشا وما شابه ذلك
بل بلغنى أن من جهال المسلمين من نذر لمار جرجس وذبح له ؟؟!!
وصناديق النذور فى الأضرحة تمتلئ أسرع من صناديق الزكاة والصدقة.
والنذر لغير الله شرك أكبر ، وقد سئلت اللجنة الدائمة :
س٢: النذر لغير الله باطل لا ينعقد، فإذا نذر إنسان غنمًا للشيخ محي الدين أو عبد القادر الجيلاني مثلًا لإنفاق لحومها للفقراء ووصول ثوابه إلى روح الشيخ ومن ذلك

[1] ـ فتاوى العقيدة ، الشيخ ابن عثيمين : ٣٠٤- ٣٠٥ . ط – مكتبة الإيمان .

يحصل البركة إلى الناذر من عند الشيخ في اعتقادهم وهل ينعقد مثل هذه النذور، فإن لم ينعقد هل يحل أكل لحم هذه الغنم المنذورة ؟ وهل يدخل هذا المنذور في ضمن قوله تعالى:﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [النحل:١١٥] ؛ لأن الحيوان المنذور حيوان طاهر؟ وهل يحرم هذا بسبب نذر باطل؟

ج٢: أولا: النذر لله والذبح لله عبادة من العبادات لا يجوز صرف شيء منها لغيره سبحانه وتعالى ، فمن نذر لغير الله أو ذبح لغير الله فقد أشرك مع الله عبادته غيره، ويعظم إثم ذلك ويشتد إذا اعتقد الناذر أو الذابح لميت أنه ينفع أو يضر؛ لكون ذلك شركًا في الربوبية مع الشرك في الإلهية.

ثانيا: النذر لغير الله لا ينعقد بل هو باطل ، وما نذر لغير الله من أطعمة مباحة أو حيوان مباح الأكل ولم يتم ذبحه فهو لصاحبه فإن ذبحه لغير الله صار ميتة وحرم عليه وعلى غيره أكله، وهو داخل في عموم الآية المذكورة. وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم.([1])

الصلاة أو الركوع أو السجود لغير الله :

معلوم أن الصلاة عبادة وكذا الركوع والسجود ، فإن فعله عبد لغير الله فقد أشرك.

" وأما الانحناء عند التحية : فينهى عنه كما في الترمذي : عن النبي ﷺ أنهم سألوه عن الرجل يلقى أخاه ينحني له ؟ قال :" لا " ولأن الركوع والسجود لا يجوز فعله إلا لله ﷻ ؛ وإن كان هذا على وجه التحية في غير شريعتنا كما في قصة يوسف :

﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [يوسف:١٠٠] .

وفي شريعتنا لا يصلح السجود إلا لله بل قد تقدم نهيه عن القيام كما يفعله الأعاجم بعضهم لبعض فكيف بالركوع والسجود ؟ وكذلك ما هو ركوع ناقص يدخل في النهي عنه ".([2])

السعى والطواف بغير الكعبة المشرفة وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود :

رأيت مشاهد حية للشيعة فى كربلاء وهم يهرولون إلى الضريح ، ومنهم من يذهب حبوا على يديه ورجليه ومنهم من يزحف على بطنه ، أما تقبيل الأعتاب والأبواب والستور والجدران والتراب والضريح فمشهور عند الصوفية ، وهذه الأمور دائرة بين الشرك الأكبر والأصغر ، حسب مراد فاعلها ، وإن كان الغالب الأعم أنهم يفعلون ذلك لجلب نفع أو دفع ضر ، من صاحب القبر .

و" الاستعانة بقبور الأولياء أو النذر لهم أو اتخاذهم وسطاء عند الله بطلب ذلك منهم شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية موجب للخلود في النار لمن مات عليه. أما الطواف بالقبور وتظليلها فبدعة يحرم فعلها ووسيلة عظمى لعبادة أهلها من دون الله، وقد تكون شركًا إذا قصد أن الميت بذلك ،يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضرًا أو قصد بالطواف التقرب إلى الميت ".([3])

---

[1] ـ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : ١٨٥/١. رقم :٤٢٩٩.

[2] ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣٧٨/١

[3] ـ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : ١٦٧/١٥. رقم : ٥٠٠٠ .

فتوى أخرى للجنة الدائمة : س٤ " ما حكم الطواف حول أضرحة الأولياء، أو الذبح للأموات أو النذر، ومن هو الولي في حكم الإسلام، وهل يجوز طلب الدعاء من الأولياء أحياءً كانوا أم أمواتًا؟
ج٤: الذبح للأموات أو النذر لهم شرك أكبر، والولي: من والى الله بالطاعة ففعل ما أمر به وترك ما نهي عنه شرعًا ولو لم تظهر على يده كرامات، ولا يجوز طلب الدعاء من الأولياء أو غيرهم بعد الموت، ويجوز طلبه من الأحياء الصالحين، ولا يجوز الطواف بالقبور، بل هو مختص بالكعبة المشرفة ، ومن طاف بها يقصد بذلك التقرب إلى أهلها كان ذلك شركًا أكبر، وإن قصد بذلك التقرب إلى الله فهو بدعة منكرة، فإن القبور لا يطاف حولها ولا يصلى عندها ولو قصد وجه الله.
وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم.([1])

غلو الصوفية فى الأولياء ... سبب عبادتهم من دون الله :

إن أكثر من عبد من دون الله ؛ هم البشر ؛ والطريق إلى ذلك فى كل عصر ومصر الغلو ، حيث يرفع الشخص إلى مرتبة الإلوهية .
قوم نوح عبدوا الأولياء من دون الله ؛ واليهود عبدوا عزيرا من دون الله ؛ والنصارى عبدوا المسيح من دون الله ، والهندوس عبدوا بوذا ؛ البهائية عبدوا المازندرانى ؛ والشيعة عبدوا الإمام على ، والصوفية عبدوا الولى .
وها هى بعض أقوال القوم – غير ما ذكرناه سلفا – فى الغلو فى الأولياء والتحريض على عبادتهم من دون الله .

قال عمر بن سعد :" اعلم أن التعلق بأهل الله واللياذ بجنابهم والانحياذ إليهم تعلق بجناب الكريم ووقوف ببابه العظيم لأنهم أبواب رحمة الله تعالى دنيا وأخرى وعلى أيديهم تتنزل الرحمة من الرحمن الرحيم إلى كل مرحوم ، ولولا هم لهلك الكل كما قيل لولا الواسطة لذهب الموسوط " ([2])

وقال :" والأوتاد والخلفاء مفزع النقباء . والعلماء مفزع الخلفاء . والعرفاء مفزع العلماء . وأهل المكاشفة مفزع العرفاء . والقطب مفزع الكل ".([3])

وقال: " قال بعضهم : هو الذى بسط الأرض وجعل فيها أوتادا من أوليائه وسادة من عبيده فإليهم الملجأ وبهم الغياث فمن ضرب فى الأرض يقصدهم فاز ونجا ومن كان سعيه لغيرهم خاب " ([4])



1 - اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : ٦٧/٢١ . رقم : ٩٨٧٩ .
2 - رماح حزب الرحيم :١٨/١.
3 - المصدر السابق :٢٣/١.
4 - المصدر السابق : ٢٣/١

الفصل الرابع

الشرك فى الأسماء والصفات

الشرك فى أسماء الله وصفاته ؛ إنما يكون بتعطيل الصفات أو تحريفها أو إثباتها على جهة المماثلة للمخلوقين ، وكل ذلك ، وغيره من الإلحاد المنهى عنه .

الإلحاد فى الأسماء والصفات

معنى الإلحاد فى الأسماء والصفات:

الإلحاد : مأخوذ من اللحد ، وهو الميل، لحد وألحد بمعنى مال ، ومنه سمى الحفر بالقبر لحدا ؛ لأنه مائل إلى جهة القبلة .

قال ابن منظور : " المُلْحِدُ العادِلُ عن الحق المُدْخِلُ فيه ما ليس فيه ..... ومعنى الإِلحاد في اللغة المَيْلُ عن القصْد ... وأَصل الإِلحادِ المَيْلُ والعُدول عن الشيء " (١)

قال تعالى:﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

قال السعدى: " ... وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لآلهتهم ، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها ".(2)

صور الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

أولا: تسمية الله بما لم يُسمِّ به نفسه :

أسماء الله وصفاته توقيفية ؛ كما بينا سلفا ؛ ومن الإلحاد تسمية الله بما لم يسم به نفسه .

ومن ذلك : تسمية النصارى له : " أباً " وتسمية الفلاسفة إياه " علة فاعلة " أو تسميته بـ " مهندس الكون " أو " العقل المدبر " أو غير ذلك .

ومنه تسميات الصوفية ، كما فى أوراد الدسوقية وغيرها :

حيث يدعون الله ، فيقولون :

" كدٍ كدٍ كرددٍ كرددٍ كردهٍ كردهٍ دهٍ دهٍ دهٍ دهٍ الله رب العزة كتب اسمه على كل شىء أعزه" (٣)

" بها بها بها بهيا بهيا بهيا بهيات بهيات بهيات القديم الأزلى يخضع لى جميع من يرانى ، لمقفنجل يا أرض خذيهم " (٤)

" كهيعص كهيعص كهيعص انصرنا فإنك خير الناصرين " (٥)

" كهيعص كفايتنا حمعسق حمايتنا " (١)

---

[1] ـ لسان العرب : باب لحد

2- تيسير الكريم الرحمن: ٣٨٣/١

[3] ـ مجموعة أوراد الطريقة البرهانية ؛ الحزب الكبير للدسوقى : ١٨.

[4] ـ مجموعة الأوراد : ٢٠

[5] ـ مجموعة الأوراد : حزب البحر : ٨٢

ويا سقفاطيس صاحب الحمد والثنا .... عظيم سقاطيم وكافى البرية
أحون وقاف مع آدم أدم لنا .... رضاك ..
بأحمى حميثا مالك الملك قـــــادر ....
بأطما طميثا يا قوى يا قـــاهر ([2])

" اللهم إنى أسألك يالهيوش وياطهيوش ويايوش ويافهليوش . أسألك اللهم بحق هذه الأسماء والأسرار التى ألقيتها فى قلب نبيك محمد ﷺ ".([3])
قلت : بهيات ، اسم مؤنث ، كيف يسمون به الله سبحانه ؟؟؟
أما سقفاطيس ، ولهيوش ، وطهيوش ، ويوش ، وفهليوش ، فهى أسماء للجن ، فبأى حق ، وبأى دليل يسمون الله بها ؟
أما الحروف المقطعة ، فليست أسماء لله .
فهى لا تدل على صفة كمال ؛ ولم يأت بها دليل فى الكتاب أو السنة أنها أسماء لله ، ولا تتضمن أى نوع من المعانى ؛ ولم يدع بها النبى ﷺ ولا أحد من أصحابه .
فالرحمن يدل عى معانى الرحمة ، والغفور على معنى المغفرة والصبور على الصبر ...إلخ
فعلى أى شيء تدل " حم " ، " ألم " ، " كهيعص " .
ثم لماذا خصصوا بعض الحروف دون بعض ، هناك " ق " ، " ص " ، هل يسمون الله " ق" أو" ص " أيضا ؟؟
هذه الحروف ليست أسماء لله سبحانه ، ولا تدل على صفات جلال وكمال ، ولا يجوز تسمية الله بها ، وأصح ما قيل فيها ؛ أنها من باب الإعجاز والتحدى للعرب .

الحروف المقطعة ذكرت في أوائل بعض السور بياناً لإعجاز القرآن:

قال الشنقيطى :
" أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو: أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها .
وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد ، وجمع من المحققين ،وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب ، ونصره الزمخشري في الكشاف ، قال ابن كثير : وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي ، وحكاه لي عن ابن تيمية .
قال تعالى : ﴿ الم ۞ ذَلِكَ الكتاب لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة :١-٢].
﴿ المص۞ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْك..﴾ [الأعراف:١-٢]

---

[1] ـ مجموعة الأوراد : حزب البحر : ٨٦
[2] ـ مجموعة الأوراد : توسل البرهانية : ١٠٦ـ ١٠٧
[3] ـ الجواهر اللماعة : ٥٤ نقلا عن دراسات فى التصوف :٢١٦ ، إحسان إلهى ظهير . ط/ دار الإمام المجدد

﴿ الر ۞ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]
﴿ الر۞ تِلْكَ آيَاتُ الكتاب ﴾ [الحجر:١]، [يوسف:١] ، [يونس:١]
﴿ الر۞ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ .. ﴾ [إبراهيم:١] .
﴿ المر۞ تِلْكَ آيَاتُ الكتاب .. ﴾ [الرعد:١]
﴿ طه۞ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ القرآن لتشقى ﴾ [طه: ١-٢]
﴿ طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الكتاب المبين .. ﴾ [الشعراء:١-٢]
﴿ طس ۞ تِلْكَ آيَاتُ القرآن .. ﴾ [النمل: ١-٢].
﴿ طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الكتاب المبين ﴾ [القصص: ١-٢]
﴿ الم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الكتاب الحكيم ﴾ [لقمان:١-٢] .
﴿ الم ۞ تَنزِيلُ الكتاب لاَ رَيْبَ فِيهِ .. ﴾ [السجدة:١-٢] .
﴿ حم ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ الرحمن الرحيم .. ﴾ [فصلت:١-٣] .
﴿ حم ۞ والكتاب المبين ﴾ [الدخان:١-٢] ، [الزخرف:١-٢] .
﴿ حم ۞ تَنزِيلُ الكتاب ﴾ [المؤمن:١-٢]،[الجاثية:١-٢] ،[الأحقاف:١-٢]
﴿ يس ۞ والقرآن الحكيم ﴾ [يس:١-٢] ، ﴿ ص ۞ والقرآن ذِي الذكر ﴾ [ص:١-٢]
﴿ ق ۞ والقرآن المجيد ﴾ [ق:١-٢] ".[1]

ثانيا : أن يشتق منها أسماء للمعبودات:

مثل عباد الأصنام اشتقوا من أسماء الله أسماء لآلهتهم ؛ فاشتقوا اسم اللات من الله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان ، فمن أخذ منها أسماء لأصنامه فقد أشرك لأنه جعل مسميات هذه الأسماء مشاركة لله ﷻ .

ثالثا : وصفه ﷻ بصفة من صفات النقص .

لا تجد قوما يعظمون الله سبحانه إلا أهل السنة من المسلمين .
وكل ما سواهم يعتقدون النقص والعيب فى آلهتهم . ومن أولئك :

اليهود والنصارى :

يصفون الله سبحانه بصفات لو نسبت إلى بشر لكانت عيبا !! فما ظنك بنسبتها إلى الله سبحانه .

فمما ذكره القرآن عن اليهود : أنهم ، يصفون الله بالفقر ، فى الوقت الذى ينزهون أنفسهم عنه :قال الله تعالى:﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ [آل عمران:١٨١]

ويصفونه سبحانه بالبخل والشح:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة:٦٤]

وينسبون له الولد :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]

وزعموا أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام وتعب واستراح فى اليوم السابع يوم السبت ، فقال سبحانه:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨].

---

[1] ـ أضواء البيان : ٣/ ٧-٩

أما النصارى : فينسبون له الولد ، كاليهود ، وأنه صلب ومات ، وغير ذلك من صفات البشر.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]

وقال :﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٧٢]

وقال:﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء:١٥٧]

بعض صفات الله فى العهد القديم والجديد :

العهدين القديم والجديد ، عند اليهود والنصارى ، يقصد بهما التوراة والإنجيل ، وكلاهما أصابه التحريف ، ودخل فيه ما ليس منه ، قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

وكل ماورد فى العهدين من وصف الله سبحانه بما لا يليق به ، هو من التحريف ، وهذه بعض صفات النقص المنسوبة إلى الله ، فى العهدين :

أولا : العهد القديم :

الله لا يعلم الغيب :

الله لا يعلم أين اختبأ آدم ، ولا أنه عريان ، ولا أنه أكل من الشجرة ، بل لا يعلم عن القصة كلها شيئا ؟؟!!

(٣: ٨) وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة (٣: ٩) فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت (٣: ١٠) فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت (٣: ١١) فقال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها . (سفر التكوين)

الله يحزن ويندم من قلبه ، على خطأه فى خلق الإنسان والدواب :

(٦: ٦) فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض و تأسف في قلبه (٦: ٧) فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ، الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم .(سفر التكوين)

الله كثير الخطأ ، ينسى وعده ، ويخلفه ، ويهم بفعل الشر ، ويخاف من كلام الناس ، وموسى يصوب له الخطأ ، ويلومه ، فيندم ويرجع :

(٣٢: ١١) فتضرع موسى أمام الرب إلهه و قال لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة و يد شديدة ؟ (٣٢: ١٢) لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الارض؟ ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك (٣٢: ١٣) اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض الذي تكلمت عنها فيملكونها الى الابد (٣٢: ١٤) فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه . (سفر الخروج)

دلائل أخرى على ندم الله :

(٣: ١٠) فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم ان يصنعه بهم فلم يصنعه . (سفر يونان)

(١٥: ١٠) و كان كلام الرب الى صموئيل قائلا (١٥: ١١) ندمت على اني جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائي و لم يقم كلامي فاغتاظ صموئيل و صرخ الى الرب الليل كله . (سفر صمويل الأول)

(٢٦: ١٩) ... فندم الرب عن الشر الذي تكلم به عليهم فنحن عاملون شرا عظيما ضد انفسنا (سفر أرميا)

(٧: ٦) فندم الرب على هذا فهو أيضا لا يكون قال السيد الرب(سفر عاموس)

الله : جاهل :

(١: ٢٥) لان جهالة الله أحكم من الناس و ضعف الله أقوى من الناس .
(رسالة بولس ، كورنثوس)

الله: يصارع يعقوب ، وينهزم أمامه :

(٣٢: ٢٤) فبقي يعقوب وحده و صارعه إنسان حتى طلوع الفجر

(٣٢: ٢٥) و لما راى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه (٣٢: ٢٦) وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني (٣٢: ٢٧) فقال له ما اسمك فقال يعقوب (٣٢: ٢٨) فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت. (سفر التكوين)

الله: ينام ، ويستيقظ ، ويتغافى ، ويتعب ، ويستريح ، ويسهر ، ويصفر، ويصفق :

(٧٨: ٦٥) فاستيقظ الرب كنائم كجبار مُعيط من الخمر . (سفر المزامير)

(٢: ١٣) اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لانه قد استيقظ من مسكن قدسه (سفر زكريا)

(٤٤: ٢٣) استيقظ لماذا تتغافى يا رب انتبه لا ترفض إلى الأبد. (سفرالمزامير)

(٢: ٢) وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل .(سفر التكوين)

(٢٨:٣١) ويكون كما سهرت عليهم للإقتلاع والهدم والقرص والإهلاك والأذى ، وكذلك أسهر عليهم للبناء والغرس ، يقول الرب (سفر أرميا)

(٧: ١٨) ويكون فى ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب الذى فى أقصى ترع مصر وللنحل الذى فى أرض أشور. (سفر إشعياء)

(٨:١٠) أصفر لهم وأجمعهم لأنى قد فديتهم ، ويكثرون كما كثروا . (سفر زكريا)

(١٧:٢١) وأنا أيضا أصفق كفى على كفى وأسكن غضبى . أنا الرب تكلمت (سفر حزقيال)

(١٣:٢٢) فهأنذا قد صفقت بكفى بسبب خطفك الذى خطفت ، وبسبب دمك الذى كان فى وسطك (١٤:٢٢) فهل يثبت قلبك أو تقوى يداك فى الأيام التى فيها أعاملك ؟ أنا الرب تكلمت وسأفعل .(سفر حزقيال)

الله : يبكى ،وعيناه تدمع ، ويتألم ، وتضطرب أحشاؤه فى بطنه (مغص) ، وينوح ويولول ويخلع نعليه وثيابه ويمشى عريانا وينتحب مثل النساء :

(١٧:١٤) وتقول لهم هذه الكلمة : لتذرف عيناى دموعا ليلا ونهارا ولا تكفأ ، لأن العذراء بنت شعبى سحقت سحقا عظيما ، بضربة موجعة جدا .(سفر أرميا)
(٩:١٦) لذلك أبكى بكاء يعزر على كرمه سبمة . أرويكما بدموعى يا حشبون وألعالة لأنه على قطافك وعلى حصادك قد وقعت جلبة (١٠:١٦) وانتزع الفرح والابتهاج من البستان ، ولا يغنى فى الكروم ولا يترنم ، ولا يدوس دائس خمرا فى المعاصر . أبطات الهتاف (١١:١٦) لذلك ترن أحشائى كعود من أجل موآب وبطنى من أجل قير حارس . (١٢:١٦) ويكون إذا ظهرت ، إذا تعبت موآب على المرتفعة ودخلت إلى مقدسها تصلى ، أنها لا تفوز (١٣:١٦) هذا هو الكلام الذى كلم به الرب مآب منذ زمان .(سفر إشعيا)
(١:٦) فأجعل السامرة خربة فى البرية ، مغارس للكروم ، وألقى حجارتها إلى الوادى ، وأكشف أسسها (٧:١) وجميع تماثيلها المنحوتة تحطم ، وكل أعقارها تحرق بالنار ، وجميع أصنامها أجعلها خرابا ، لأنها من عقر الزانية جمعتها وإلى عقر الزانية تعود (٨:١) من أجل ذلك أنوح وأولول . أمشى حافيا وعريانا . أصنع نحيبا كبنات آوى ، ونوحا كرعال النعام .(سفر ميخا)

الله يشبه نفسه: بالرجال ، وبالدود ، والسوس ، والأسد ، والنمر ، والدبة ، واللبوة :

(٣:١٥) الرب رجل الحرب .(سفر الخروج)
(٥: ١١) أفرايم مظلوم مسحوق القضاء لأنه ارتضى أن يمضي وراء الوصية
(٥: ١٢) فأنا لأفرايم كالعث ولبيت يهوذا كالسوس ....
(١٣: ٦) لما رعوا شبعوا شبعوا و ارتفعت قلوبهم لذلك نسوني (١٣: ٧) فاكون لهم كأسد أرصد على الطريق كنمر (١٣: ٨) أصدمهم كدبة مثكل و اشق شغاف قلبهم وآكلهم هناك كلبوة يمزقهم وحش البرية . (سفر هوشع)
هذه صفات نقص نسبها اليهود والنصارى لله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .
وإليك بعض ما نسبوه لله من صفات النقص والعيب فى العهد الجديد .

ثانيا : العهد الجديد :

العهد الجديد ، على طريق القديم ، يصف الله سبحانه بصفات النقص ، فهم يعتقدون أن المسيح بهيئته ، وأعماله البشرية ، هو الله ، مشاركا للأب والروح القدس .
يقولون فى قانون الإيمان :
" نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شئ صانع ما يُرى وما لا يُرى ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها، ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها ، وهو خالق كل شىء الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ، وصار إنسانا وحملت به مريم وولد من مريم البتول

فأوجع وأولم وصُلب أيام (بيلاطس الملك) ودفن وقام في اليوم الثالث من بيت الموتى ".[1]
ومن هذه الصفات :
الله : ينام ، ويشعر بما يجرى حوله :
" فجاءوا إليه وأيقظوه وقالوا له : يا سيد ، يا سيد ، إننا نغرق " (لوقا:٨-٢٤)

الله : جائع ، وجاهل ، لا يعلم الغيب :
" جاع يسوع . وشاهد من بعيد شجرة تين مورقة . فتوجه إليها لعله يجد فيها بعض الثمار ، لكنه لم يجد سوى الأوراق ، وذلك لأن الموسم لم يكن موسم إثمار التين " (مرقص:١١-١٢:١٣) .

الله : ضعيف ، وذليل ، ويبكى ، ويضرب ، ويبصق عليه ، ويموت :
" وعندما اقترب يسوع رأى المدينة فبكى عليها " (لوقا ١٩-٤١)
" فقيدوه واقتادوه وسلموه إلى الوالى بيلاطس " (متى: ٢٧:٢)
" حينئذ بصقوا فى وجهه ، وضربوه بقبضاتهم ولطموه " (متى: ٢٦:٦٧)
" وابتدأ بعضهم يبصق عليه . وكانوا يغطون وجهه ويضربونه " (مرقس: ١٤:٦٥)
" وكان الجنود ، بعد أن صلبوا يسوع ، قد أخذوا ثيابه وقسموها إلى أربعة أقسام " (يوحنا:١٩-٢٣)
" ثم صرخ يسوع ثانية بصوت مرتفع وأسلم الروح " (متى: ٢٧:٥٠)
" فلما ذاق يسوع الخل ، قال :" قد تم " ثم حنى رأسه ومات " (يوحنا : ١٩-٣٠)
تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، هذه صفات الله عند النصارى .

رابعا : وصف غير الله بصفة من صفات الله (التمثيل):

وهو: أن يثبت الأسماء والصفات ولكن يجعلها دالة على التمثيل :
وهذا واقع فى عقائد اليهود والنصارى والشيعة والصوفية والبهائية :

شرك اليهود والنصارى :

اليهود والنصارى يصفون الخالق بصفات المخلوق ، تجد ذلك مواطن كثيرة – غير ما ذكرناه - من كتابهم المقدس ، بعهديه القديم والجديد .

أولا : العهد القديم :

الله : يتشكل سحاب ، ونار، وحمام ، وخروف .
(١٣: ٢١) وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضيء لهم . (سفر الخروج)
(٣: ١٦) فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وأتيا عليه . (متى)

1- تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب : ٩٧ ، للقس إنسلم تورميداً – سابقا- (أبو عبد الله الترجمان). ط / دار التوحيد للتراث .

(٥: ٦) و رأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح لـه سبعة قرون وسبع أعين هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض ....
(٥: ٨) ولما اخذ السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخا أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوة بخورا هي صلوات القديسين ....
(٥: ١١) ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات و ألوف ألوف (٥: ١٢) قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة.
(٦: ١٦) وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف ....
(١٧: ١٤) هؤلاء سيحاربون الخروف والخروف يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى)

ثانيا : العهد الجديد :

قلت : يعترف النصارى ببشرية المسيح ، ويؤمنون به إلها خالقا رازقا ، وقادرا على كل شيء .
وعليه : فالله عندهم موصوف بكل الصفات البشرية ، وهذه بعض النصوص الدالة على ذلك :
" ها إن العذراء ستحبل وستلد ابنا ".(متى :١-٢٣)
" فولدت ابنها البكر " (لوقا:٢-٧)
" وجاء اليوم الثامن ، موعد ختان الطفل ، فسموه يسوع " (لوقا: ٢-٢١)
" واستمر الطفل ينمو ويتقوى " (لوقا:٢-٤)
" وبينما كان يأكل فى بيت متى " (متى:٩-١٠) .
وبرغم وصفهم هذا للمسيح ، فإنه إله معبود ، كما ذكرنا فى قانون إيمانهم ، وفيه :
" ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها، ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها" .
قال ابن القيم :
ويا عجبا لقبر ضم ربا ... وأعجب منه بطن قد حواه
أقام هناك تسعا من شهور ... لدى الظلمات من حيض غذاه
وشق الفرج مولودا صغيرا ... ضعيفا فاتحا للثدى فاه
ويأكل ثم يشرب ثم يأتي ... بلازم ذاك هل هذا إله
تعالى الله عن إفك النصارى ... سيسأل كلهم عما افتراه [1]

---

1 - إغاثة اللهفان (٢/٢٢٦) ، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله . ط / المكتبة التوفيقية

هكذا يصفون الله بصفات المخلوقات ، صفات البشر ، والطير ، والسحاب ، والنار والخروف !!!

وقد فلصلنا فى هذه المسائل ، لما حدث من خلل فى اعتقاد كثير من المسلمين – نظرا لتفشى العلمانية بينهم – أن أهل الكتاب – والنصارى تحديدا – يعبدون الإله الذى نعبده ، وكأن العقيدة بيننا وبينهم واحدة والعياذ بالله .

شرك الشيعة :

الشيعة يعتقدون أن الأئمة موصوفون بصفات الله ، وما ذكرناه فى " الشرك فى التدبير " كافيا فى هذا الباب .

شرك الصوفية :

الصوفية يصفون الأولياء بصفات الله ، على غرار ما تقول به الشيعة فى الأئمة ، وقد بينا ذلك فى " الشرك فى التدبير " .

ولأن الخطر الصوفى أكثر انتشارًا ، وفيه جملة من الشبهات ، فإننا سنبسط المسألة أكثر ، وذلك ببيان أصل الغلط الصوفى فى المسألة ، ألا وهو الغلو فى الصالحين ، وتحريف حديث البخارى " .. كنت سمعه الذى يسمع به " ، وسنبين الحق والباطل فى ذلك ، مع بيان حقيقة الولاية والكرامات ، التى اتخذها الصوفية ذريعة لوصف الولى بصفات الله ، ثم نعرج بذكر عقيدتى الاتحاد والحلول ، ووحدة الوجود ، لما فيها من وصف الخالق بالمخلوق .

شبهة .. كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به

يزعم الصوفية أن الولى ، بسبب المجاهدة ، يصل به الحال أن يقول للشيء كن فيكون .

وبنوا على ذلك اعتقادات باطلة ، متخذين حديث البخارى – بعد تحريفه – وبعض الأحاديث الموضوعة ذريعة لوصف الولى بصفات الله سبحانه .

وهذا بيان المسألة :

قال تعالى:﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

فالآية تدل :على أن الإيمان والتقوى هى الصفة المميزة لولى الله ، فكل من كان تقيا كان لله وليا .

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : إن الله قال : " من عادى لى وَلِيًّا فقد آذَنْتُهُ بالحرب وما تقرب إلىَّ عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه وإن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "([1]).

تحريف الصوفية للحديث :

الصوفية يزعمون : أن معنى " كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به أن تكون للولى قدرة كقدرة الله ، فيسمع كسمع الله ، ويبصر كبصر الله ، ولعلهم يعلقون ذلك على مشيئة ، قائلين ، بإذن الله .

وهذه طائفة من أقوالهم فى ذلك :

قال على حرازم : " قال المرسى: لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته ، ومعنى الولى هنا الإنسان الكامل " ([2])

ونقل على حرازم أيضا عن التيجانى ، أنه قال: " ....وهكذا العارف إذا رفعه إلى محل القرب يصير سمعه يسمع كسماع الحق باتساع دائرته ... فإذا ارتفع محل القرب اتسعت دائرته باتساع معروفه فحمل من الله الأكوان فى الآن الواحد من المحركات والذوات والألفاظ دربا ما وسعه معروفه فلا تختلط عليه أصوات الوجود فى الآن الواحد ولا تختلط عليه ذوات الوجود فى الآن الواحد ولا تختلط عليه حركات الوجود فى الآن الواحد سمعا وبصرا " ([3])

ونقل عن التيجانى أيضا أنه قال : " (فإذا أحببته كنت سمعه .. إلخ)... يشهد العبد نفسه قوة إلهيه كأنه هو الذات المقدسه بجميع صفاتها وأسمائها .. وعلامة هذا النظر والسمع بالله ففى النظر ينظر الوجود كله من عرشه إلى فرشه من حيث أن لا يخفى

---

[1] - البخارى : كتاب الرقاق (باب التواضع) ص : ٧٨٠ ، ح : ٦٥٠٢

[2] - جواهر المعانى : ١٢٩/٢

[3] - المصدر السابق : ٧٨/٢

منه ذرة واحده ويستوى أمرها فى ما كان خلفه وأمامه ويمينه وشماله وفقه وتحته يرى ذلك فى الآن الواحده دفعة واحده ويراه كالجوهر الفرد الذى لا يقبل القسمه فلا تختلط عليه المرئيات ...... والسمع بالله تعالى أن يسمع جميع ألفاظ الوجود فى جميع العوالم واختلاف تسبيحها وأذكارها فى الآن الواحد فلا تختلط عليه كثرة ألفاظها أو تسبيحها " ([1])

وقال ابن عجيبة : " قال الشيخ أبو العباس المرسى : إن لله عبادا محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسراره ما تعجز عنه الأولياء " ([2])

وقال :" وفى بعض الأخبار يقول الله تعالى: " عبدى أنا الله الذى يقول للشئ كن فيكون فأطعنى أجعلك تقول للشئ كن فيكون " ([3])

وقال عمر بن سعد فى " الرماح " :" وينبغى للمريد أن يعتقد فى شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء فى الزجاجة " ([4])

وقال الشعرانى عن على الخواص: " يعامل الخلق على حسب ما في قلوبهم لا على حسب ما في وجوههم وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو، والإثبات ؛ فكان إذا قال قولاً لا بد أن يقع على الصفة التي قال " ([5])

وقال: " وعبد الرحمن المجذوب ...... كان يخبر عن سائر أقطار الأرض ، وعن أقواتهم وأحوالهم " ([6])

وإبراهيم العريان " إذا دخل بلداً سلم على أهلها كباراً، وصغاراً بأسمائهم حتى كأنه تربى بينهم" ([7])

هذه عقيدة القوم فى الأولياء ، يصفونهم بصفات الله ، ويصرحون بذلك :

قول حرازم :" فلا تختلط عليه أصوات الوجود فى الآن الواحد ولا تختلط عليه ذوات الوجود فى الآن الواحد ولا تختلط عليه حركات الوجود فى الآن الواحد سمعا وبصرا" .

وقول التجانى:" يشهد العبد نفسه قوة إلهيه كأنه هو الذات المقدسه بجميع صفاتها وأسمائها ..... يسمع جميع ألفاظ الوجود فى جميع العوالم واختلاف تسبيحها وأذكارها فى الآن الواحد فلا تختلط عليه كثرة ألفاظها أو تسبيحها "

وقول صاحب " الرماح " :" وينبغى للمريد أن يعتقد فى شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء فى الزجاجة "

---

[1] - جواهر المعانى: ٢/١٢-١٣

[2] - إيقاظ الهمم فى شرح الحكم : ٢٠٠ ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى . ط / دار المعارف

[3] - المصدر السابق : ٣٥

[4] - رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم – عمر بن سعيد الغوتى (٢٥) . هامش جواهر المعانى ، ط / المطبعة المحمودية .

[5] - الطبقات الكبرى للشعرانى : ٢/١٥١.

[6] - المصدر السابق : ٢/١٤١

[7] - المصدر السابق : ٢/١٤٢

ويأتى الشعرانى ، ليصف واقع الأولياء ، يطابق الإفك الصوفى المذكور، فيذكر أحوال بعض الأولياء ، الذين يطلعون على قلوب الناس ، ولا يخفى عليهم شيئا من أمرهم .

ومازال هذا الاعتقاد موجودا ، عند خلق كثير من الناس .

وهذا كله شرك أكبر ، فى الصفات الإلهية ، لوصفهم المخلوق بصفات الخالق من حيث السمع والبصر وعلم الغيب ، بخلاف ما مضى معنا فى الشرك فى التدبير ، حيث وصفوا الأولياء بالقدرة المطلقة .

هذا هو التفسير المحرف لحديث البخارى ، فما هو التفسير الصحيح للحديث ؟

قال ابن حجر: " المراد بولي الله : العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته ...

قوله : " عادى لي وليا " أي اتخذه عدوًا ، ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته ..

قوله : " فقد آذنته بالحرب".. وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب ، فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكي إياه .

وقال الطوفي : لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة ...

قوله : " وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ".. ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله . ...والذي يؤدي الفرائض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارا للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته .

قوله: " وما زال " بصيغة المضارعة .

قوله:" يتقرب إلي " .. قرب العبد من ربه يقع أولا بإيمانه ، ثم بإحسانه . وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه ، وفي الآخرة من رضوانه ...

قوله:" بالنوافل حتى أحبه "... ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل وقد استشكل بما تقدم أولا أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة ؟

والجواب: أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها وأيضا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب ..

قوله:" فكنت سمعه الذي يسمع به "، قوله " وبصره الذي يبصر به "....

وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ ؟ والجواب من أوجه :

أحدها: أنه ورد على سبيل التمثيل ...فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح .

ثانيها: أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به .

ثالثها: المعنى أحصل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره .. إلخ .

رابعها: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه .

خامسها:..كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه ،وحافظ بصره كذلك إلخ

سادسها: .. أن يكون معنى سمعه مسموعه ، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملى بمعنى مأمولي ، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك ، وقال الطوفي : اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته ، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية " فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي " .قال : والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد ، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية ، قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر ، قالوا فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

وقال الخطابي : هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء ، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ، ومن السعي إلى الباطل برجله . وإلى هذا نحا الداودي ، ومثله الكلاباذي ، وعبر بقوله أحفظه فلا يتصرف إلا في محابي ، لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه.

سابعها : .. معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الأسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي .

وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو ، وأنه الغاية التي لا شيء وراءها ، وهو أن يكون قائما بإقامة الله له محبا بمحبته له ناظرًا بنظره له من غير أن تبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف ... وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق ، تعالى الله عن ذلك ، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج ، وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث " ولئن سألني ، ولئن استعاذني " فإنه كالصريح في الرد عليهم ". ([1])

وعليه : فإن الحق فى معنى " كنت سمعه الذى يسمع به .." الحديث

أن العبد يصل إلى مرتبة الإحسان ، فيظل مراقبا لله فى كل أحواله ، مشغولا بربه بكل حواسه ، عاملا فى خدمته ، بكل جوارحه . فهو دائم السعى للطاعة ، شغوف بها ، مشغولة بها حواسه ، فيكون الله فى عونه ومدده ، وقضاء حاجاته وتيسيرها ، فتنقضى بسهولة ويسر ، بأفضل من شغله بها وتفرغه لقضائها بجوارحه.

---

[1] ـ فتح البارى : ١١/ ٣٤٥

ولا يجوز أن يحمل الحديث على غير المجاز والتشبيه ، فإنه ممتنع أن يكون الله سبحانه جارحة ، فى وليه ، عين أو يد أو رجل . ومما يحتج به الصوفية – غير تحريف معنى حديث البخارى – بعض الأحاديث المكذوبة ، مثل :
حديث " من خاف الله تعالى خافه كل شىء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شىء " ([1])
حديث : " عبدى أطعنى أهبك تقول للشىء كن فيكون " ([2])
حديث : "عبدى أنا أريد وأنت تريد وتتعب نفسك فى ما تريد فكن لى كما أريد أكن لك كما تريد"([3])

---

[1] - حديث : منكر : الحافظ العراقى ، بحاشية إحياء علوم الدين : ١٤٤/٤، السلسلة الضعيفة ح : ٤٨٥ ، المقاصد الحسنة ح : ١١١٩ ، كشف الخفاء ح : ٢٧٨٥

[2] - لا أصل له

3- ذكره الجفري فى كتابه "معالم السلوك "(ص٥٠) ولم يذكرالمرجع الذي ورد فيه هذا الحديث " وهذا الحديث ليس بحديث قدسي ولا نبوي كما قال العلماء ، وإنما هو من الإسرائيليات ! والإشكال فيه هو قوله (أكن لك كما تريد) أي أن يكون الله سبحانه وتعالى تابعاً لإرادة العبد عند تحقق شروط معينة وفيه من سوء الأدب ما فيه ، ولا يقع في ملكوته سبحانه شيء إلا بإرادته ، فما شاء كان وإلا لم يكن ، فالشرط (كن لي كما أريد) متحقق على كل حال سواء أطاع العبد أم عصى ، وحاشا لله عند تحقق هذا الشرط أن يتحقق جوابه بأن يكون تابعاً لإرادة العبيد طائعين أو عاصين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .. وقد قال الإمام شهاب الدين القرافي في كتابه (الفروق) عند الفرق (٢٧٢) بين قاعدة ما هو من الدعاء كفر، وقاعدة ما ليس بكفر : (... الثاني : أن تعظم حماقة الداعي وتجرؤه ، فيسأل الله تعالى أن يفوض إليه من أمور العالم ما هو مختص بالقدرة القديمة. والإرادة الربانية ، من الإيجاد والإعدام والقضاء النافذ المحتم ، وقد دلَّ القاطع العقلي على استحالة ثبوت ذلك لغير الله تعالى ، فيكون طلب ذلك طلباً للشركة مع الله تعالى في الملك وهو كفر ، وقد وقع ذلك لجماعة من جهال الصوفية فيقولون : فلان أُعطي كلمة (كن) وسألوا أن يعطوا كلمة كن التي في قوله تعالى :{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } [النحل : ٤٠] .وما يعلمون معنى هذه الكلمة في كلام الله تعالى ، ولا يعلمون ما معنى إعطائها إن صح أنها أُعطيت ، وهذه أغوارُ بعيدة الرَّومْ على العلماء المحصّلين ، فضلاً عن الصوفية المتخرّصين ، فيهلكون من حيث لا يشعرون ، ويعتقدون أنهم إلى الله تعالى متقربون وهم عنه متباعدون ، عصمنا الله تعالى من الفتن وأسبابها والجهالات وشبهها).انتهى من كتاب الفروق (١٤٠٦/٤).

لاستكمال إزالة شبة المتصوفين فى وصفهم للولى بصفات الله ، يلزمنا أيضا أن نتعرض لمسألة الكرامات ، بشيء من البيان ، حيث اتخذ الصوفية ، مسألة الكرامات ذريعة لوصف الولى بصفات الله ، بعدما أكثروا فيها من الكذب والخداع .

معنى الكرامة :

الكرامة : أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد وليه تأييداً أو إعانة أو تثبيتاً ، أو نصرةً للدين .
وهى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع .

قال السفارينى : " فصل في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها
١٦٥ - وكل خارق أتى عن صالح ... من تابع لشرعنا وناصح
١٦٦ - فإنها من الكرامات التي ... بها نقول فاقف للأدلة
١٦٧ - ومن نفاها من ذوي الضلال ... فقد أتى في ذاك بالمحال
١٦٨ – فإنها شهيرة ولم تزل ... في كل عصر يا شقا أهل الزلل"([1])

وقال الذهبى :
١٣٩ - أعلم أن الله ﷻ قد أخبرنا وهو أصدق القائلين بأن عرش بلقيس عرش عظيم فقال ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل:٢٣]. ثم ختم الآية بقوله تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٦] . فكان عرشها عظيما بالنسبة إليها وما نحيط الآن علما بتفاصيل عرشها ولا بمقداره ولا بماهيته وقد أتى به بعض رعية سليمان عليه السلام إلى بين يديه قبل إرتداد طرفه فسبحان الله العظيم فما ينكر كرامات الأولياء إلا جاهل فهل فوق هذه كرامة " ([2])
وقال المعلمى : " فأما معجزات الأنبياء و كرامات الأولياء فليست بقدرتهم ولا في ملكهم ، قال الله ﷻ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧] . وكان الصحابة إذا احتاجوا إلى نفع غيبي إنما يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء كما في الاستسقاء ، وقلة الأزواد في السفر ، و غير ذلك ، والدعاء داخل في المقدورات العادية كما لا يخفى ".([3])

وقال الطحاوى ، عن الأولياء : " ونؤمن بما جاء من كراماتهم ، وصح عن الثقات من رواياتهم "([4])
فأهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء ، وهو أمر مسلم به .

---

[1] - جامع شروح العقيدة السفارينية : ٨٥٧
[2] - العلو للذهبى : ٦٨-٦٩
3 - : القائد إلى تصحيح العقائد : ١٢١ ، للعلامة : عبد الرحمن المعلمي اليماني . ط / المكتب الإسلامى .
[4] - متن الطحاوية : ١١ ، أبى جعفر الطحاوى الحنفى . ط / المكتب الإسلامى .

ضوابط وتنبيهات حول الكرامات:

حتى نتمكن من التميز بين الكرامات الحقيقية والمكذوبة ، وما كان منها بمعاونة الشيطان ، يلزمنا استحضار هذه الضوابط والتنبيهات :

أولا: أن الكرامات ، لا تكفى دليلا على الولاية لله :

الكرامة للولى لا تكفى دليلا على ولايته ودخوله الجنة ، وذلك لأن القلوب تتقلب ، فتقى اليوم قد يكون فاجرا غدا ، وفاجر اليوم قد يكون تقيا غدا .
لذلك أهل السنة لا يجزمون لأحد من المؤمنين بالجنة ، إلا ما جاء به الدليل ، كالعشرة المبشرين ، وغيرهم .

قال الطحاوى :" والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن ، ولا ننزل أحد منهم جنة ولا نارا "([1])

وقال المقدسى :" ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار ، إلا من جزم له الرسول ﷺ لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسىء "([2])

ثانيا: الكرامة ليست من كسب الولى ، وهى خارق للعادة ، وليست عادة .

إن من أكثر دلائل الكذب ، أن يدعى الرجل أنه صاحب كرامات ، يأتى بها فى أى وقت شاء .
وقد بلغنا من عدد كبير أن صاحب " الخليلية " يزعم أنه ملهم ، ولا ينقطع الإلهام عنه .
وأغرب من ذلك ، أنه يعلم الناس الإلهام !!
وما سمعت الدنيا ، أن الكرامات تنتقل من شخص لآخر بالتعليم !!
ومن الغرائب أيضا : أننا نرى الكرامات " تورث " ، فإذا كان الشيخ صاحب كرامة ، ترى ابنه وحفيده من أصحاب الكرامات أيضا ، وقد تتسع الدائرة ، لتشمل العائلة كلها أحيانا ، فيقال ، بيت الشيخ فلان ، وتذاع الكرامات عنهم كلهم أو جلهم .
ولا شك أن فى الأمر مبالغات ومغالطات كثيرة ، وليس لولى أن يأتى بالكرامات فى أى وقت يريد ، وأكثر من ذلك أن النبى ﷺ لا يأتى بالمعجزات فى أى وقت يريد .
كان المشركون ، يطلبون المعجزات من النبى ﷺ فأنزل الله تعالى ، قوله :
﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [العنكبوت : ٥٠].
فبين أن المعجزات ، ليست من كسب النبى ﷺ ، إنما هى من عند الله ﷻ يجريها على يد نبيه ، فى الوقت الذى يريد هو سبحانه ، لا فى الوقت الذى يريد النبى ﷺ، فضلا عن أن تكون من كسبه ، يفعلها فى أى وقت شاء .

فالكرامة : شىء خارق للعادة : فمن زعم أنها عادته ، فهو كاذب فى دعواه .
وإليك هذا المثال ، ليتضح الأمر :

---

[1] ـ الطحاوية : ١٠ـ ١١

[2] ـ لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد : ٦٢ .

قال بن كثير : " عن ابن عمر أن عمر وجه جيشا ورأس عليهم رجلا يقال له سارية ، قال: فبينما عمر يخطب فجعل ينادي : يا ساري الجبل يا ساري الجبل ثلاثا.
ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر: فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مناديا يا سارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله . قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك. وهذا إسناد جيد حسن.([1])
هذه كرامة من كرامات عمر ﷺ ، أنه رأى حال الجيش بالعراق ، وهو بالمدينة يخطب الجمعة ، فنادى قائد الجيش ، وأوصاه أن يتحصن بالجبل .
فهل كانت هذه الكرامة ، مستمرة مع عمر، أن يرى ويخاطب الناس ، عبر البلدان فى أى وقت شاء ؟؟
بالطبع لا : لأن عمر نفسه الذى رأى الجيش رغم هذا البعد ، طعن بخنجر من خلف ظهره وهو يصلى الصبح ، ولم يرى أو يعرف من طعنه .

قال ابن كثير :" .. فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل ، الرومي الدار، وهو قائم يصلي في المحراب، صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات ، إحداهن تحت سرته قطعت السفاق فخر من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العلج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه ، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنسا فانتحر نفسه لعنه الله ، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغمى عليه ، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول: نعم ، ولاحظ في الإسلام لمن تركها.
ثم صلى في الوقت ، ثم سأل عمن قتله من هو ؟ فقالوا له: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة.
فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل يدعي الإيمان ولم يسجد لله سجدة " ([2])
قلت: وفى هذا برهان أن من يدعى أو يفعل الخوارق باستمرار ، ليس وليا لله ، فإما أن يكون كاذبا أو يكون مشعوذا .

ثالثا : قد تصدر خوارق العادات عن غير الولى :

خوارق العادات ، لا تجرى على أولياء الله فقط ، وإنما قد تحدث من الدجاجلة والمشعوذين ، وممن يسخرون الجان .
كما أنها تحدث من النصارى والهندوس عباد النار .
وستحدث قطعا على يد الدجال ، كما روى مسلم فى كتاب الفتن .
عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال :" ما شأنكم ". قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل.

---
[1] ـ البداية والنهاية : ٧ / ١٧٣
[2] ـ البداية والنهاية : ٧ / ١٨١-١٨٢

فقال :" غير الدجال أخوفنى عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا ". قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض قال :" أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ". قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال :" لا اقدروا له قدره ". قلنا يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض قال : " كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ..".(١)

فهذا هو الدجال تجرى الخوارق على يديه ، فإنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ، والكنوز فتخرج ، والأغنام والماشية تمتلئ ضروعها ، ويظهر عليها السمن بسببه ، ويقتل شابا ، يشقه نصفين ، ثم يرده .

ومع ذلك كله ، فهو رجل مشهود له بالكفر .

أقول : وكثير من الصوفية سلك طريق الدجل ، فأضل الله به خلقا كثيرا ، لما ظنوا أنه على كل شىء قدير ، وكثيرٌ ما تروج عنهم كرامات مكذوبة ، فيترسخ فى عقول الناس أنهم قادرون على جلب النفع ودفع الضر.

ذكر الشعرانى ، فى طبقاته ، عن المرسى أبو العباس :" دعاه خمسة رجال للغداء بعد الجمعة وشكروه على الحضور مع أنه لم يغادر المسجد ".

قلت : الخبر مكذوب ولابد ، وإلا فإن الخمسة الذين حضروا الغداء فى أماكن متفرقة ، فى وقت واحد ، هم من الجان تشكلوا فى صورة الدسوقى ، إما تسخيرا وإما من عند أنفسهم لإضلال الناس ، كما كانت الجن تخاطب المشركين من خلف الأصنام ، أو يشربون اللبن الذى يقدم لها ، فيظن الناس أن الأصنام هى التى شربت اللبن .

قال شيخ الإسلام: " ومنهم من يقول هذه رقيقة ذلك المرئى أو هذه روحانيته أو هذا معناه تشكل ولا يعرفون أنه جنى تصور بصورته ".(٢)

وقال أيضا : " وكثير من هؤلاء يطير فى الهواء وتكون الشياطين قد حملته " (٣)

رابعا : ذكر بعض الكرامات المكذوبة :

إن من أكثر ما ضل به الناس الروايات المكذوبة فى الكرامات .

[1] - مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة (باب ذكر الدجال) ص : ٦٨٣ ح : ٢٩٣٧

[2] - مجموع الفتاوى :١/ ١٧٣

[3] - مجموع الفتاوى :٣٦٣/١

وقد ترسخ عند العوام ، أنه لا يكاد رجل يقصد وليا حيا أو ميتا فى مطلب إلا وقد قضى ، أسرع مما لو دعا الله سبحانه .
ومن أساطير الشعرانى عن الأولياء ، أن على الخواص ، أنه : " يعامل الخلق على حسب ما في قلوبهم لا على حسب ما في وجوههم وكان محل كشفه اللوح المحفوظ "([1])
هذا كلام باطل ومكذوب ، ولا يعلم ما تنطوى عليه القلوب إلا الله .
وقد يكذب الرجل على النبى ﷺ ولا يعلم أنه كذب عليه ، وقد يحكم لصالحه فى الخصومة ، فكيف يقال أن أحدا يطلع على قلوب الناس ، بعد ذلك .
عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ : " إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو مما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار".([2])

وقال : أحمد البدوي : " لم يزل متلثماً بلثامين فاشتهى عبد المجيد يوماً رؤية وجه أحمد فقال : يا سيدي أريد أن أرى وجهك أعرفه فقال: يا عبد المجيد كل نظرة برجل فقال: يا سيدي أرني، ولو مت، فكشف له اللثام الفوقاني فصعق ومات في الحال "([3]) .
وهذا كذب محض ، فليس فى البشر من يموت الناس من بهاء وجلال وجهه ، لا من الأولياء ولا من الأنبياء ، إنما هذا الجلال الذى لا طاقة للبشر بتحمله ، إنما هو جلال وجه الله سبحانه : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣]
وقال رسول الله ﷺ : " ... حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ".([4])

ومن كرامات أحمد بن إدريس: " أن شخصا اشترى لحماً ووضعه فى ثوبه وأدركته الصلاة ، فصلى معه وبعد انقضاء الصلاة ذهب بلحمه إلى بيته ووضعه فى القدر، وأوقد عليه النار فلم يؤثر فيه شيئا فأكثر عليه من النار فلم تفد فيه شيئا فأخبر بذلك الشيخ... فقال :نحن بُشِرنا أنه من صلى معنا لم تمسه النار "([5]).
هذا كذب واضح ، لأن اللحم لم يصلى ، ولو أن كل رجل صلى معه لم ينضج لحمه ما صلى معه أحد ، ولكان ذلك من باب الأذى وإيقاع الضرر بالناس .

---

[1] - الطبقات الكبرى للشعرانى :١٥١/٢
[2] - البخارى : كتاب الشهادات (باب من أقام البينة بعد اليمين) ص : ٣٢٠ ح : ٢٦٨٠ .
ومسلم : كتاب الأقضية (باب الحكم بالظاهر ..) ص : ٤١٦ ح : ١٧١٣
[3] - الطبقات للشعرانى:١٨٤/١
[4] - سنن ابن ماجه : أبوعبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، وماجة اسم أبيه يزيد: المقدمة " باب ما أنكرت الجهمية " ٧٠/١ ح : ١٩٥ . ط / دار إحياء الكتب العربية.
وصححه الألبانى فى " صحيح ابن ماجه " ١/ ٨٣-٨٤ . ح : ١٦٢. ط / مكتبة المعارف
[5] - جامع كرامات الأولياء للنبهانى :٥٧٩/١

أيضا : هذه الدرجة من الكرامة ، لم يصل إليها النبى ﷺ ، بأن كل من يصلى معه يدخل الجنة . وقد صلى معه ابن سلول وسائر المنافقين ودخلوا النار .
قال الشعرانى ، ومحمد الرويجل: " كان يدخل ينام في كنون الطباخ ".([1])
وهذا أيضا كذب مفضوح ، كما ذكرنا أن الخوارق لا تكن من عادة الولى ولا من كسبه .
ثم أى طباخ هذا الذى معه كانون يكفى أن ينام فيه رجل ؟
وما الحكمة من استعراض " الرويجل " أمام الناس ، هل هذه هى التقوى ، أم الرياء والسمعة ؟؟
لقد ساهمت هذه الكرامات المكذوبة فى تزوير عقيدة الناس فى الأولياء ، حتى وصفوهم بصفات الله .

خامسا : ذكر بعض الكرامات المدبرة :

كما كذب القوم ، وذكروا كرامات من وحى الخيال ، لا أساس لها فى الواقع ، ذكروا كرامات ، كانت مدبرة مسبقا ، ولم يكن لأصحابها ولاية لله ، بل كانت ولايتهم للشيطان ظاهرة .
مثل الحلاج : " فكان يحفر فى بعض الطرقات موضعا يضع فيه زقا فيه ماء ، ثم يحفر موضعا آخر يضع فيه طعاما، ثم يسير مع أصحابه إلى الموضع الأول . فإذا ما احتاجوا إلى ماء يشربونه ويتوضئون به ، نبش هذا الموضع بعكاز فيخرج الماء فيشربون ويتوضئون ، ثم يسير إلى الموضع الآخر فيخرج منه الطعام ، ويوهم أصحابه أن ذلك من كرامات الأولياء .. بل كان يحفظ الفواكه ويخرجها فى غير أوانها " ([2])
قال ابن كثير : " روى الخطيب البغدادي: أن الحلاج بعث رجلا من خاصة أصحابه وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح، فإذا سعوا في مداواته، قال لهم: يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شئ مما تفعلون، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وصفته كذا وكذا، وقال له الحلاج: إني سأقدم عليك في ذلك الوقت.
فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن.
فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي فمكث حينا على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد زمن، فسعوا بمداواته بكل ممكن فلم ينتج فيه شئ، فقال لهم: يا جماعة الخير هذا الذي تفعلونه معي لا ينتج شيئا وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وكانوا أولا يقودونه إلى المسجد ثم

[1] ـ الطبقات، الشعرانى :٢/١٤١
[2] ـ تاريخ الإسلام : ٢٣١/٣. د/ حسن إبراهيم حسن

صاروا يحملونه ويكرمونه ، كان في الوقت الذي ذكر لهم، واتفق هو والحلاج عليه، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفيا وعليه ثياب صوف بيض، فدخل المسجد ولزم سارية يتعبد فيه لا يلتفت إلى أحد، فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل، فابتدروا إليه يسلمون عليه وتمسحون به، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافى فأخبره بخبره، فقال: صفوه لي، فوصفوه له فقال: هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام، وأن شفائي على يديه، اذهبوا بي إليه.

فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه فقال: يا أبا عبد الله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام.

ثم ذكر له رؤياه، فرفع الحلاج يديه فدعا له ثم تفل من ريقه في كفيه ثم مسح بهما على عينيه ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر، ثم أخذ من ريقه فمسح على رجليه فقام من ساعته فمشى كأنه لم يكن به شئ والناس حضور، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده، فضج الناس ضجة عظيمة وكبروا الله وسبحوه وعظموا الحلاج تعظيما زائدا على ما أظهر لهم من الباطل والزور.

ثم أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم .

فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالا كثيرا فقال: أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الابدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس، ويحجون ويتصدقون، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك، فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافى.

صدق الشيخ ، قد رد الله علي بصري ومن الله علي بالعافية، لاجعلن بقية عمري في الجهاد في سبيل الله، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الابدال والصالحين الذين نعرفهم، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم .

ثم إن الحلاج خرج عنهم ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم مدة إلى أن جمعوا له مالا كثيرا ألوفا من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال.([1])

ومن ذلك ما كان يفعله الرفاعية فى عصر شيخ الإسلام : كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيت أحد الأمراء، ثم يخبرونه بها على طريق المكاشفة ... أدخلوا رجلا فى القبر يتكلم وأوهموه أن الموتى تتكلم وأتوا به فى مقابر باب الصغير إلى رجل زعموا أنه الرجل الشعرانى الذى بجبل لبنان ولم يقربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته . وقالوا: إنه طلب منه جملة من المال فقال قفجق (نائب السلطنة) : الشيخ يكاشف وهو يعلم أن خزائنى ليس فيها هذا كله وتقرب قفجق منه وجذب الشعر فانقلع الجلد الذى ألصقوه على جلده من جلد الماعز .... فقال - أى شيخ الرفاعية - ورفع صوته: نحن لنا الأحوال وكذا وكذا وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها وإنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها فقلت ورفعت صوتى وغضبت: أنا أخاطب كل أحمدى - أى نسبة إلى أحمد الرفاعى -

---

[1] ـ البداية والنهاية : ١١/١٧٥ـ١٧٦

من مشرق الأرض إلى مغاربها أى شيء فعلوه فى النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب وربما قلت فعليه لعنة الله ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار. ..أن لهم حيلا فى الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارنج وحجر الطلق ...فلما قلت ذلك تغير وذل وذكر لى أن وجهه اصفر " ([1]) . وما قبلها باختصار.

قلت : هذا المكر - الذى ذكرنا بعض صوره – كان السبب الأساس ، فى وصف الأولياء بصفات الله ، ولعل المسألة الآن أكثر وضوحا .



---

[1] - مجموع الفتاوى :٤٥٨/١١- ٤٦٦

عقيدة الحلول والاتحاد

فكرة الحلول والاتحاد ، تقوم على أساس ، أن الله سبحانه يحل فى البشر ويتحد بهم فيصبح ذلك البشر ، موصوفا بصفات الله .

وهى فكرة النصارى فى المسيح بن مريم ، وفكرة الشيعة فى الأئمة ، وغلاة الصوفية فى الأولياء ؛ إلا أنه قد سرت الفكرة للمتأخرين من الصوفية ، فصاروا يدندنون نحو هذه ، بعلم أو غير علم الفكرة .

قول النصارى فى الحلول والاتحاد :

قال شنودة : " ... لذلك قال القديس بولس الرسول عن السيد المسيح إنه :
" حكمة الله " (١كو١:٢٤) لذلك لما تجسد ، رأينا الله فيه ، الله لم يره أحد قط (يو ١:١٨) أى لم يره أحد فى لاهوته . ولكن لما تجسد ، لما ظهر فى الجسد (١تى١:١٦) رأيناه فى هذا الجسد ، رأيناه متجسدا.

ولذلك قال القديس يوحنا الرسول " الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الكائن فى حضن الآب هو خير " (١يو١:١٨) . أى هو الذى أعطانا خبرا عن الله ، وعرفنا الله وبهذا المعنى قيل أنه " صورة الله غير المنظور" (كو١:١٥) ...

وقال عنه القديس بولس فى بدء رسالته إلى العبرانيين " الذى به أيضا عمل العالمين.الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره ...

عبارة " رسم جوهره " أى الصورة التى ظهر بها الله فى تجسده ، فرأيناه أى المسيح ؛ ولذلك قال المسيح " من رآنى فقد رأى الآب " (يو ١٤:٩).

تجسد لأجل فدائنا ، ليصنع بذلك تطهيرا لخطايانا . وقد أخلى ذاته مع أنه بهاء مجد الله ، وصورة الله (٢كو٤:٤). ومع أنه هو الذى عمل العالمين .

وهنا يقدم لنا الرسول صفة من صفات المسيح الإلهية وهو كونه الخالق ، وقد خلق الكون باعتبار أنه اللوجوس : عقل الله وحكمة الله ".[١]

فالنصارى يعتقدون ، أن روح الله الذاتية ، حلت فى السيدة مريم ، واتخذت لها منها جسدا بشريا ، هو المسيح بن مريم ، فهو الصورة المنظورة لله رب العالمين ، وبذلك فالخالق موصوف بصفات المخلوق والمخلوق موصوف بصفات الخالق .[٢]

هذه الفكرة ، انتقلت إلى الصوفية ، نظرا لمخالطتهم للرهبان ، وعدم تحصنهم بالعلم الشرعى .

عقيدة الحلول عند الصوفية أولها الفناء :

الغلو الذى دفع النصارى بالقول بحلول الله فى المسيح ، دفع غلاة الصوفية بالقول بحلول الله واتحاده بالأولياء ، وإن لكل فريق فلسفة مختلفة ، لكن النتيجة عندهما إمكانية اتحاد الخالق بالمخلوق .

قال شيخ الإسلام : " ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلّال المتعبدة والمتصوفة ، حتى خالط كثيرا منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه"[١].

---

1 - لاهوت المسيح : ٩ - ١٠

2 - رددنا على عقيدة النصارى هذه ، فى كتابنا " التسبيح فى عدم ألوهية المسيح "

قلت : نعم عقيدة الصوفية فى الحلول والاتحاد أسوأ حالاً من عقيدة النصارى ،لأن النصارى يقولون بحلول الله فى المسيح بن مريم فقط ، والصوفية يقولون بحلول الله فى كل الأولياء.!!

وطريق الصوفية للحلول ، قولهم بالفناء الصوفى المزعوم ؛ ومعناه :

أن الصوفى يظل فى مجاهدة نفسه لا للوصول إلى الكمال البشرى الذى كان عليه أصحاب النبى ﷺ ، بل ولا الكمال البشرى الذى كان عليه النبى ﷺ نفسه ، وإنما يريد الصوفى تجاوز جميع الصفات البشرية والتحلى بصفات الله ﷻ ، حتى لم يعد للبشرية فيه نصيب إلا ذلك الجسد الظاهر.

يقول داود بن محمود القيصرى فى الفناء الصوفى :" المراد من الفناء فناء من جهة العبد البشرية فى الجهة الربانية إذ لكل عبد جهة من الحضرة الإلهية .... وهذا الفناء موجب لأن يتعين العبد بتعينات حقانية وصفات ربانية "([٢])

ويقول ظهير الدين القادرى :" الفناء هو أن يطالع الحق سر وليه بأدنى تجل ، فيتلاشى الكون ويفنى الولى تحت تلك الإشارة " ([٣])

يقول ابن عجيبة :" ...لأن القلوب إذا صفت من الأكدار والأغيار ، وملئت بالأنوار والأسرار لا يتجلى فيها إلا الحق " ([٤]) وهو يقصد الحق سبحانه بذاته وصفاته.

وللصوفية أقوال كثيرة فى الحلول والاتحاد ، والحلاج من أكبر الرموز الصوفية التى أعلنت ذلك بوضوح ، حتى حكم عليه العلماء بالكفر والذندقة .

الحلاج وعقيدة الاتحاد :

قال ابن كثير عن الحلاج :

" ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة، منها شعره في ذلك فمن ذلك قوله:

جبلتَ روحكَ في روحي كما * يجبلُ العنبرُ بالمسك الفَنِقْ
فإذا مسكَ شئ مَسني * وإذا أنت أنا لا نفترقْ

وقوله:

مزجتَ روحكَ في روحي كما * تمزجُ الخمرة بالماءِ الزلالِ
فإذا مسك شئ مسني * فإذا أنت أنا في كل حال

وقوله، أيضا:

قد تحققتك في سري * فخاطبك لساني
فاجتمعنا لمعان * وافترقنا لمعان
إن يكن غيبك التعظيم * عن لحظ العيان

---

[1] - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم :٧٧/١، شيخ الإسلام ابن تيمية . ط / مكتبة الرشد

2 - ختم الولاية للحكيم : ٤٩١ ، نقلا عن دراسات فى التصوف : ٣٠٦

3 - الفتح المبين لظهير الدين القادرى : ٣٨. نقلا عن دراسات فى التصوف : ٣٠٨

4 - إيقاظ الهمم فى شرح الحكم : ٤٤

فلقد صـــــيرك الوجــــــد * مـــــن الاحشــــاء دان"([1])

وقال :

سبحان من أظهر ناسوته ***** سر سنا لاهوته الثاقــــب
ثم بدا فى الخـلق ظـاهرا ***** فى صورة الآكل االشارب
حتى لقد عاينه خلقــــه ***** كلحظة الحاجب بالحاجب ([2])

وقال :

يا عين عين وجودى يا مدى هممى * يامنطقى وعباراتى وإيمـــائى
يا كل كلى ويا سـمعى ويابصـــرى * ياجملتى وتباعيضى وأجزائى
يا كل كلـــى ، وكــــل الكل مـلتبس * وكل كلك ملبـــوس بمعنـــائى ([3])

وقال :

رأيت ربـــى بعين قلبى *** فقلت : من أنت ؟ قال : أنت
فليس للأين منك أيـــــن *** وليـــس أيـــــن بحيث أنت ([4])

وقال :

كفرت بدين الله والكفر واجب *** على ، وعند المسلمين قبيح ([5])

وقال :

أنـــا أنـت بـــلا شــــك ***** فسبحانك سبـــحانى
وتوحيدك توحيــــــدى ***** وعصيانك عصيانى
وإســـخاطك إســـخاطى ***** وغفرانك غفرانـــى ([6])

وأقوال الحلاج هذه كفر صريح ، بلا خلاف بين علماء عصره .

قال ابن كثير : " قلت : لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين فى أمره ، فأما الفقهاء فحكي عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله، وأنـه قتل كـافرًا، وكـان كافرًا ممخرقا مموها مشعبذا، وبهذا قـال أكثـر الصوفية فيـه. ومنهم طائفـة كمـا تقدم أجملوا القول فيه، وغرهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنـه ولا بـاطن قولـه ، فإنـه كـان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك ، ولكن لم يكن لـه علم ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان. فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

وقال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنـا كـان فيـه شبـه من اليهـود، ومـن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى، ولهذا دخل على الحلاج الحلـول والاتحـاد ، فصـار من أهل الانحلال والانحراف .... وقال أبو عبد الرحمن السلمي عن عمرو بن عثمان المكي: أنه قال: كنت أماشي الحـلاج فـي بعض أزقـة مكـة وكنـت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته.

---

[1] ـ البدية والنهاية : ١١/ ١٧٢
[2] ـ الأعمال الكاملة للحلاج : ٢٩١ ، قاسم محمد عباس . ط / مكتبة الاسكنرية
[3] ـ المصدر السابق : ٢٨٩
[4] ـ المصدر السابق : ٢٩٥
[5] ـ المصدر السابق : ٢٩٧
[6] ـ المصدر السابق : ٣٢٧

قال الخطيب: وحدثني مسعود بن ناصر أنبأنا ابن باكوا الشيرازي سمعت أبا زرعة الطبري يقول: الناس فيه - يعني حسين بن منصور الحلاج - بين قبول ورد ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول: سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي.
فقلت له: إيش الذي وجد الشيخ عليه ؟ قال قرأت آية من كتاب الله فقال: يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به.
قال أبو زرعة الطبري: وسمعت أبا يعقوب الاقطع يقول: زوجت ابنتي من الحسين الحلاج لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده، فبان لي منه بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث كافر".([1])

الصوفية المتأخرون شر خلف لشر سلف :

هذه أقاويل بعض الصوفية المعاصرة ، ينقلون ضلال أسلافهم ، فى الحلول والاتحاد.
هذا ابن بشيش لا رحمه الله يسب مرحلة ما قبل الإتحاد والحلول وهى مرحلة التوحيد فيقول :" وزج بى فى بحار الأحدية وانشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة ...واجمع بينى وبينك ". ([2])
وصلاة ابن بشيش يكاد يتفق عليها جميع الصوفية ، وهى جزء لا يتجزأ من أذكارهم.
والرجل يعتقد أن توحيد العوام (أهل الظاهر) هو وحل ، وطين ، يرجوا الخروج منه إلى توحيد الخواص ، فيزول الفرق بينه وبين الله ، أى يفنى فى الذات والصفات الإلهية ، وهذا القول حلول واتحاد ، وأحيانا يقصد به وحدة الوجود .
قال ابن عجيبة ، فى شرحه لصلاة ابن بشيش : " لأن المراد هنا من التوحيد ما كان ذوقا وحالا ومقاما ، لا ما كان علما واعتقادا إذ ذلك من شأن أهل الحجاب ، أهل الدليل والبرهان " ([3])
إذن توحيد البرهان والدليل ، وحل ، وطين ، وهو توحيد أهل الحجاب ؟؟!!
ولم نجد فى القرآن إلا هذا النوع من التوحيد ، الذى يذمه الصوفية .
ولو تعرضت لذلك لطال بنا المقام ، وليس هذا أوانه ، والقوم لهم توحيد خاص اعترفوا ، بأنه توحيد ناتج من أذواقهم العفنة ، لا من الدليل والبرهان .

والدسوقى يؤمن بالحلول ويسأل الله أن يحل فيه - ومن خلفه الدسوقية جميعا- فيقول : " اللهم اجعل لى نوراً من نورك على وجهى ومن ضياء سلطانك أمامى حتى إذا رأونى ولوا هاربين خاضعين لهيبة الله ولهيبة أسمائه ...."([4])
يريد الدسوقى : أن الناس إذا رأوه ولوا هاربين ، لا لهيبته هو ، ولكن لهيبة الله وأسمائه سبحانه ؟!
ومع ذلك مضى على القوم سنوات يرددون هذه الدعوات ، ولم يهابهم أحد ، ولا فر منهم ، غير الملائكة .

---

[1] - البداية والنهاية : ١٧١/١١- ١٧٤
2 - مجموعة أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية (صلاة ابن بشيش) : ٣٠
[3] - شرح صلاة ابن بشيش : ٣١ ، أحمد بن عجيبة . ط / دار الرشاد الحديثة .
4 - مجموعة أوراد البرهانية ، الحزب الكبير للدسوقى : ١٩

وهذا أحمد بن إدريس فى أوراده يجاهد ليصل إلى مرحلة الفناء الحلولى .
يقول أحمد بن إدريس : " وتجل لى يا إلهى بمقام الإحسان الجامع لأسرار كمال اعبد الله كأنك تراه حتى أشاهد الحسن الذاتى الإلهى الكمالى المطلق السارى فى جميع جزئيات العالم وكلياته فتنجذب روحى وجسمى بل كلى وسائرى إلى مغناطيس الجمال الإلهى فأذوب فيه ولوعاً وعشقاً عن كل شىء سواه حتى أكون عين العشق الإلهى بل عين الحسن والجمال بل حتى تكون ذاتى كلها عشقا ذاتياً وجمالاً إلهيا صرفاً من جميع الوجوه . (1)
وهذه المقالة تجمع بين وحدة الوجود ، وطلب الحلول .

ويقول : " وتجل لى يا إلهى باسم الذات. الاسم الله مرجع الصفات والأسماء الحقية توحيداً صرفاً تجلياً ينسف بصرصر عظمته وكبريائه جبال الخيالات الخلقية فى نظرى نسفا فيذرها قاعاً صفصفاً فتزول غشاوة عمش الأغيار عن بصرى وبصيرتى بل وعن ذاتى كلها حتى تكون ذاتى كلها عيناً ذاتية إلهية من جميع الوجوه وأكون كلى وجهاً واحداً إلهياً لا أعْلَمُ من جميع جهاتى ولا أشهد ولا أرى فى إياى وفى كل شىء وفى لا شىء إلا إياك " . (2)

وهذا النص من أوضح النصوص ، فهو يريد إزالة الأغيار بينه وبين الله ، قال :
" حتى تكون ذاتى كلها عيناً ذاتية إلهية من جميع الوجوه "
ثم يزيد الأمر وضوحا ، بل فجورا ، فيقول : " وأكون كلى وجهاً واحداً إلهياً لا أعْلَمُ من جميع جهاتى ولا أشهد ولا أرى فى إياى وفى كل شىء وفى لا شىء إلا إياك "



---

1 - مجموعة أوراد أحمد بن إدريس : ٧٦،٧٧ . ط / دار جوامع الكلم
2 - المصدر السابق : ٣٩،٤٠

عقيدة وحدة الوجود

عقيدة وحدة الوجود : عقيدة بالغة من النجاسة غايتها ومنتهاها ؛ أتى بها أوائل الصوفية : ذو النون المصرى ، وأبو يزيد البسطامى ، والخراز ، والحلاج ، والشبلى ثم تولى نشرها من بعدهم : الغزالى ، وابن الفارض ، وابن عربى ، وابن سبعين ، والجيلى ، والنابلسى . ([1])

وتأثر الصوفية المتأخرين بهذه الأفكار تأثراً شديداً ، فهم يدندنون حولها بعلم أو غير علم .

ومفادها: أن الوجود كله ليس فيه إلا الله ، وكل ما تراه من الخلق إنما هو صور متعددة للخالق سبحانه .

ويرون هذا الاعتقاد ؛ اعتقاد خواص الخواص ؛ أو الإنسان الكامل.

" قال المرسى: لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته ، ومعنى الولى هنا الإنسان الكامل " ([2])

والإنسان الكامل يستحق أن يعبد ، كقول الدسو قى ، لأنه لم ير فرقا بينه وبين الله .

وقد ثبت أن هذه العقيدة أصل التصوف ، وأن القائلين بالحلول والاتحاد من الصوفية قليل ، وقد أنكر الحلول كثير من أعلام الصوفية ، وذلك لاعتقادهم بوحدة الوجود ([3])

الحقيقة المحمدية .. مدخل الصوفية إلى وحدة الوجود :

الصوفية يعتقدون وحدة الوجود ،ولتبرير هذا الفساد العقدى نسجوا أوهاما ، من إلقاء الشياطين فى صدورهم الخاوية والخالية من نور الوحى . فابتدعوا لذلك ما سموه : " الحقيقة المحمدية " .

فهم يرون أن الله ﷻ كان بلا ذاتٍ ولا صفاتٍ ، إنما كان على حد ضلالهم " عماءً " لا ذات ولا وصف ولا اسم له . فاحتاج هذا العماء أن يُعرف ويظهر ، فتحور وتطور أو تعين إلى " الحقيقة المحمدية " وهذه الحقيقة الحمدية - والتى هى عبارة عن النور الذاتى الإلهى - انفجرت كالقنبلة العنقودية إلى أنوار متعددة - ويعرف هذا الحال عندهم بالفتق بعد الرتق، الأحدية والواحدية - فخلق منها العرش والسماوات والأرضين وكلما تعدد انفجارها تعددت المخلوقات ، وفى النهاية كل ما تراه من حولك أو من فوقك أو من تحت قدميك وما لا تراه من المخلوقات ، ما هو إلا صور متعددة للخالق والعياذ بالله ، فى طوره الثالث والأخير الذى استقر عليه ، ويصور مشهد هذه الحقيقة المحمدية ويوضحها حديث مكذوب من أحاديث الصوفية المفتراة على خير البرية ﷺ : " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر"(4)

---

[1] - عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية : ١٠٧- ١٧١ ،الدكتور / أحمد بن عبد العزيز القصير . ط / مكتبة الرشد

[2] - جواهر المعانى : ١٢٩/٢

[3] - راجع فصل : موقف الصوفية من الحلول والاتحاد ، فى كتاب " عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية "

4- نص الحديث كما ذكره العجلونى فى كشف الخفاء (٢١٢،٢١١/١) ح(٨٢٧).

ويحتج الصوفية أيضا على إفكهم هذا :
بحديث: "أنا من الله والمؤمنون مني "(1) .
وحديث " لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك".([2])

ط / دار التراث. قال: رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء . قال : يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء : فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور إنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله . الحديث .

" وهذه القصة الواهية : قصة خلق العالم من نور النبي ﷺ أوردها العجلوني في "كشف الخفاء" (١-٣١١) (ح٨٢٧) وعزى الخبر الذي جاءت به القصة إلى مصنف عبد الرزاق ولم يذكر أي تحقيق حول القصة، وبالرجوع إلى مصنف عبد الرزاق تبين أن هذا الخبر باطل لا يوجد في مصنف عبد الرزاق. ولذلك عندما سُئل عنه الحافظ السيوطي في "الحاوي في الفتاوي" (١-٥٠٠) فأجاب:"بأنه لا سند له يثبت البتة". وفي "صحيح مسلم" (ح٢٩٩٦) قال رسول اللّه ﷺ : "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم". قلت: وهنا فائدة أوردها الألباني رحمه الله تحت هذا الحديث في "الصحيحة" (١-٧٤١) (ح٤٥٨) قال: "وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس: " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور، فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور، دون آدم فتنبه ولا تكن من الغافلين". انتهى. وفى "السلسلة الصحيحة" (١-٢٠٧) (ح١٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ : "إن أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء يكون".وهنا فائدة أيضًا أوردها الألباني رحمه الله تحت هذا الحديث فقال: "وفي الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير منهم وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى، وليس لذلك أساس من الصحة، وحديث عبد الرزاق غير معروف إسناده". انتهى.وقال أحمد الصديق الغماري في مقدمة كتابه "المغير على ما في الجامع الصغير": "إنه موضوع لا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه".

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في تقديمه لكتاب "تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق" للعلامة الشنقيطي: "وكل من تأمل الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة عَلِم يقينًا أن هذا الخبر من جملة الأباطيل التي لا أساس لها من الصحة .(تحذير الداعية من القصص الواهية ص(٤٥٦:٤٦٠) بتصرف ، على بن إبراهيم حشيش . ط / دار العقيدة)

راجع أيضا كتاب " كذب المتصوفين على أشرف الخلق وسيد المرسلين ﷺ" من تأليفنا ، وقد حوى تخريج أشهر مايحتج به الصوفية على عقائدهم الفاسدة وبيان بطلانها.

1- موضوع : المقاصد الحسنة ح : ١٩٠ ،شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى .
ط / مكتبة الخانجى ؛ كشف الخفاء ح : ٦١٩

2- موضوع : كشف الخفاء : ٢/٢١٤ ح : ٢١٢٣ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة ح : ٢٨٢

والقصة الباطلة ، أن جبريل عجب حين رأى النبى ﷺ يتلو القرآن قبل أن يعلمه إياه فسأله عن ذلك فقال له النبى ﷺ : ارفع الستر مرة حين يلقى إليك الوحى ، ففعل جبريل ، فرأى محمداً هو الذى يوحى إليه فصاح مسبحاً منك وإليك يا محمد". ([1])

ولذلك يعرف الصوفية الحقيقة المحمدية بقولهم : " هى الذات مع التعين الأول ولها الأسماء الحسنى وهى اسم الله الأعظم "([2])

ويقولون :" صور الحق هو محمد ؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية " ([3])

وبوضوح شديد يقول البيطار:" شأن محمد فى جميع تصرفاته شأن الله ، فما فى الوجود إلا محمد ". ويقول: " لا يُدرى لحقيقته غاية ولا يُعلم لها نهاية ، فهو من الغيب الذى نؤمن به " . ويقول:" ولما كانت بشريته نوراً محضاً ، كانت فضلاته مقدسة طاهرة ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة ، وهذا النور المحمدى ، هو المعنى بروح الله المنفوخ فى آدم ، فروح الله نور محمد ".([4])

وقال الدباغ : " اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب ، وما فوقها ، وما تحتها ، إذا جمعت كلها ، وجدت بعضاً من نور محمد ، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت ".([5])

وقال التيجانى ، فى النبى ﷺ أيضا :" ..(وأنشأت من نورك الكامل): اعلم أن النور الكامل ههنا لا يطلق إلا على نور الذات ، ولا يطلق على غيرها ، وأما حقيقته وصورته فلا مطمع لأحد فى فهمها فضلا عن رؤيتها .
قوله : (نشأة الحق): معنى نشأة الحق ههنا الحقيقة المحمدية ... قال أويس القرنى رضي الله عنه لسيدنا عمر وسيدنا على رضى الله عنهما حين لقياه لم تروا من رسول الله ﷺ إلا ظله ، قالوا ولا ابن أبى قحافة ، قال ولا ابن أبى قحافة " ([6])

ومن ذلك ، صلاة المطلسم ، التى يرددها أتباع الدسوقى فى أورادهم ، وفيها :

1- هذا من قول الأفاك ابن عربى عند تفسير قوله تعالى:{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ }[طه:١١٤] .قال : " اعلم أن رسول الله ﷺ أعطى القرآن مجملا قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل فتلقيه على الأمة مجملا فلا يفهمه أحد منك لعدم تفصيله" (الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر للشعراني بهامش اليواقيت والجواهر) ، طبع مصطفى ، الحلبي ، ١٣٧٨٩هـ ، ص (٦) . وانظر : هذه هي الصوفية (٨٩ - ٩٢).
2 - جامع الأصول للكمشخانلى : ٩٢ ، نقلا عن هذه هى الصوفية : ١٢١ ، عبد الرحمن الوكيل . ط / دار الإيمان .
3- جامع الأصول : ١٠٧ ، نقلا عن هذه هى الصوفية : ١٢١
4- النفحات الأقدسية ، للبيطار: ١٣،١١،٩ نقلا عن هذه هى الصوفية : ١٢٤
5- رسالة الحلوانى : ١٥،١٤ نقلا عن شبهات التصوف : ٨٢ ، د. عمر بن عبد العزيز.
ط / دار الهدى
6 - جواهر المعانى : ٢/ ٢٠٥

" اللهم صل على الذات المطلسم والغيث المطمطم والكمال المتمم لاهوت الجمال وناسوت الوصال طالعة الحق . كنز عين إنسان الأزل فى نشر من لم يزل ...فصل اللهم به منه فيه عليه وسلم ".([1])

وفى أوراد الطريقة الإدريسية ، يقولون : " اللهم صل على مظهر العظمة الذاتية جمعية عيون الحقائق الرحموتية سر ملكوت الأسماء المعبر عنه بالعماء قبل خلق أرض ولا سماء "([2]) .

وفى الصلاة الرابعة منها :" اللهم صل على مولانا محمد نورك اللامع ومظهر سرك الهامع الذي طرزت بجماله الأكوان وزينت ببهجة جلاله الأوان ، الذي فتحت ظهور العالم من نور حقيقته وختمت كماله بأسرار نبوته فظهرت صور الحسن من فيضه في أحسن تقويم ولولا هو ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم "([3])

تأمل قوله " سر ملكوت الأسماء المعبر عنه بالفناء" فهو إشارة إلى الحقيقة المحمدية التى هى صورة الله سبحانه ، المعبر عنه " بالعماء ".
وقوله "ولولا هو ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم " فكل الصور هى الحقيقة المحمدية والحقيقة المحمدية هى الله سبحانه.

وفى الطريقة الخليلية ،قال صالح أبو خليل تحت عنوان " الصورة المحمدية الأزلية والنور الذاتى: " اللهم صل على سيدنا محمد النور الذاتى والسر السارى فى جميع الأسماء والصفات " .
حتى بلغ به الجنون غايته فقال: ".... وأما حديث العروج إلى السماء فإن النبى ﷺ قد تلاشت صفاته البشرية تماماً فرجع إلى أصله " النورانى" حيث قد أصبح هيولة نورانية ليس فيها من صفات البشر شىء . حتى رأى النورُ النورَ ، وسمع النورُ من النور ".(4)
وبذلك يتضح جليا ما يعتقده الصوفية : أن مظهر الكون هو محمد ﷺ، وأنه هو الله سبحانه ؛ جريمة ينقلها خلفهم عن سلفهم ، ونعوذ بالله من مضلات الفتن.

---

1 - أوراد البرهامية صلاة المطلسم : ٢٠ (طبعة خاصة بأبناء عبد الله بلال ، بدون ناشر)
2 - أوراد أحمد بن إدريس : ١١٨ .
3- المصدر السابق : ١٢٢
4- كشف الغطاء عن أهل البلاء : ٦٩-٧١ ، صالح أحمد الشافعى محمد محمد أبو خليل الكبير. (طباعة كمبيوتر لأبناء الطريقة ، بدون ناشر)

أقوال الصوفية فى وحدة الوجود :

أبى الحسين النورى:
سمع نباح الكلاب فقال :" لبيك وسعديك ".(١)

أبو حمزة الصوفى :
نقل الطوسى عنه أنه كان إذا سمع صوتا مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول : لبيك.(٢)

أبو اليزيد البسطامى :
يسأل الله من أنت ، فيجيبه أنا أنت !!
قال ؛ وهو يخاطب الله : " ... أنت الآمر وأنت المأمور ، ولا إله غيرك ، فسكت عنى ، فعلمت أن سكوته رضاه ... فقال لى ما أنت ؟ قلت له : ما أنت ؟ قال : أنا الحق ، فقلت : أنا بك ، قال : إذا كنت أنت بى فأنا أنت وأنت أنا " (٣)

ويزعم أن الله ألبسه الصفات الإلهية !!
فقال : " فطرت بجناحى فلم أبلغ منتهى عزه وكبريائه ، فدعوته بالاستغاثة به عنه فيما لا طاقة لى به إلا به ، فنظر إلى بعين الجود فقوانى بقوته ، وزيننى وتوجنى بتاج كرامته على رأسه ، وأفردنى بفردانيته ، ووحدنى بوحدانيته ، ووصفنى بصفاته التى لا يشاركه فيها أحد .... فقال لى : يا أنت ، فقلت به : يا أنا ، فقال لى : أنت الفرد ، قلت : أنا الفرد ، قال لى : أنت أنت ، قلت أنا أنا " (٤)

وهنا يصرح أن الوجود كله – الخالق والمخلوق - واحدا ؛ فيقول : " أنا الشارب والشراب والساقى ... أنا اللوح المحفوظ ... أنا ربى الأعلى ... أنا لا أنا أنا أنا ؛ لأنى أنا هو أنا ، أنا هو هو .....
خرجت من الحق إلى الحق حتى صاح منى فى : يا من أنت أنا ... فزينى بوحدانيتك حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ، ففعل ذلك " (٥)

وأخيرا : أبو اليزيد ، لأنه هو الله ... يجلس على العرش !!
" غبت فى الجبروت ، وخضت بحار الملكوت وحجب اللاهوت ، حتى وصلت إلى العرش ، فإذا هو خالٍ ، فألقيت نفسى عليه ، وقلت : سيدى أين أطلبك ؟ فكشف ، فرأيت أنى أنا ، فأنا أنا " (٦)

---

1 - اللمع : ٤٩٢ ، أبى نصر السراج الطوسى . ط / دار الكتب الحديثة
2 - اللمع : ٤٩٥
3 - أبو يزيد البسطامى ، المجموعة الصوفية الكاملة :٤٢ ، قاسم محمد عباس . ط / دار المدى للثقافة والنشر .
4 - المصدر السابق :٤٢- ٤٣
5 - المصدر السابق :٤٦- ٤٩
6 - المصدر السابق : ٥٠

ابن عربى :
قطب من أقطاب الضلال ، وعلم من أعلام وحدة الوجود ، تلفظ بما يستحيى إبليس أن يتفوه به ، ودعا الناس إلى عقيدته النجسة ، وحدة الوجود المزعومة .

هنا يزعم أن جميع أسماء الموجودات ، هى أسماء الله فى الحقيقة ، لأنه ليس فى الوجود غيره سبحانه ، فيقول :
" فالكل أسماء الله ، أسماء أفعاله أو صفاته أو ذاته ، فما فى الوجود إلا الله ، والأعيان معدومة فى عين ما ظهر فيها " ([١])

وقال عن الله : " (فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف) ، قال القاشانى : لأنه أكبر من أن يتجلى فى صورة واحدة . (ومن عرف منكم أنه رأى نفسه) ، قال القاشانى : أى رأى الحق فى صورة عينه . (فهو العارف فلهذا انقسم الناس) " ([٢])
فالعارف عنده ؛ يرى نفسه الله !!

وقال : " فإن للحق فى كل خلق ظهورا خاصا ، وهو الظاهر فى كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم ، إلا عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته وهو الاسم الظاهر " ([٣])

وهنا يزعم أن الله لا يفوته نعت - أى صفة - من الصفات المحمودة والمذمومة ، ذلك أن كل موجود هو الله ، والموجودات فيها الحسن وفيها القبيح !! لعنه الله .
قال :" فالعلى لنفسه ، هو الذى يكون له الكمال الذى يستغرق به جميع الأمور الوجودية ،والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا ،أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا ".([4])

وقال:" ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات ، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص ، وبصفات الذم ؟! ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها وكلها حق له كما هى صفات المحدثات حق للحق " ، ويعقب القاشانى ، فيقول : أى وجميع صفات الحق تعالى حق واجب ثابت للمخوق ، لأن حقيقة المخلوق هو الحق الظاهر بحقيقته فى صورة عينه وصفاته صفاته .([5])

قلت : سبحان الله ، أين ومتى أخبر الله أنه يظهر بأى صفة كانت ، ثم يتجرأ فى وقاحة بالغة ويقول " وبصفات النقص ، وبصفات الذم " فلعنة الله على الكافرين.

وقال فى فص حكمة قدوسية فى كلمة إدريسية :
" ومن أسمائه الحسنى :العلى . على من ؟ وما ثم إلا هو !! فهو العلى لذاته ، أو عن ماذا ؟ وما هو إلا هو !! فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات ،

---

1 - الفتوحات المكية : ٢/ ٤٤- ٤٥ ، نقلا عن دراسات فى التصوف : ٣١٣
2 - فصوص الحكم : ٦٤ ، محى الدين بن عربى ، بشرح عبد الرازق القاشانى . ط / وزارة الثقافة
3 - المصدر السابق : ٥٦
4- المصدر السابق :٨٤
5- المصدر السابق : ٨٨

فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها ، وليست إلا هو . فهو العلى ، لا علو إضافة ، لأن الأعيان التى لها العدم الثابتة فيه ، ما شمت رائحة من الوجود ، فهى على حالها مع تعداد الصور فى الموجودات والعين واحدة من المجموع فى المجموع ، فوجود الكثرة فى الأسماء ، وهى النسب ، وهى أمور عدمية ، وليس إلا العين الذى هو الذات ، فهو العلى لنفسه ، لا بالإضافة ، فما فى العالم من هذه الحيثية علو إضافة ، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة ، فعلو الإضافة موجود فى العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة ، لذلك نقول فيه : هو ، لا هو .أنت ، لا أنت .
قال الخراز (1): وهو وجه من وجوه الحق ، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه : بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد فى الحكم عليه بها ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن فى حال ظهوره ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات ".(2)
اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، فما أقبح أقواله ، وما أشد كفره بالله العظيم .

ابن الفارض :

ابن الفارض رأس آخر من رؤوس الضلال يؤمن بوحدة الوجود ، ويصرح بها فى قصيدته " التائية الكبرى " ، والمسماة " نظم السوك "
فى هذه الأبيات يذكر: أن من صال ، أو طار فى الهوا ، أو مشى فوق الماء ، أو اقتحم النيران ، ومن قام من الموت ، أو قرأ ألف ختمة من القرآن ، إنما ذلك بقدرته هو .

فمن قال أو من صال إنما	يمت بإمدادى له بريقة
وما سار فوق الماء أو طار فى الهوا	أو اقتحم النيران إلا بهمتى
وعنى من أمددته برقيقة	تصرف عن مجموعة فى دقيقة
وفى ساعة أو دون ذلك من تلا	بمجموعه جمعى تلا ألف ختمة
ومنى لو قامت بميت لطيفة	لردت إليه نفسه وأعيدت (3)

وفى الأبيات التالية : يؤكد ما سلف من قوله ، وأن الأمر كله بيده ، والناس كلهم عبيدا له ، ولولاه ما كان الوجود ، وأن الأحياء يستمدون الحياة منه ، والأنفس كلها فى طوعه .
ثم يؤكد وحدة الوجود : فيزعم أنه كل متكلم ، وكل ناظر ، أن الأسماع كلها سمعه هو ، وأنه كل باطش ، وكل ناطق ، ، وكل ناظر وكل سميع .

ولا تحسبن الأمر عنى خارجا	فما ساد إلا داخل فى عبودتى
ولولاى لم يوجد وجود ولم يكن	شهود ولم تعهد عهود بذمة
فلا حى إلا عن حياتى حياته	وطوع مرادى كل نفس مريدة
ولا قائل إلا بلفظى محدث	ولا ناظر إلا بناظر مقلتى

1- سيذكر ابن عربى صريحا أن الخراز هو الله سبحانه !!
2- فصوص الحكم (٧٧-٧٨) الثقافة
3 - ديوان ابن الفارض : ٦١ ، ط / مكتبة الفجر الجديد

ولا منصـــت إلا بسـمعى سـامع ولا باطـــش إلا بأزلـــى وشـــدتى
ولا ناطـق غيرى ولا ناظـــر ولا سـميع سـوائى مـــن جميع الخليقــة ([1])

وهنا ، يزعم أنه هو الله وأن الله هو ، ولذلك صلاته لله ؛ تعد صلاة لنفسه .
فيقول :

لها صــــلواتى بالمقام أقيمهـــا وأشهد فيهـــا أنها لى صـــلت
كلانا مصـل واحد ساجـــد إلى حقيقة بالجـــمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ولم تكن صلاتى لغيرى فى أدا كل ركـعة ([2])

وهنا يؤكد أن حقيقة التوحيد ؛ الاعتقاد بوحدة الوجود ؛ وأن الاعتقاد بالتفريق بين الخالق والمخلوق ، ضلال يجب تركه ومفارقته .

وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج هدى فرقة بالاتحـــاد تحـــدت ([3])

وهنا كفر أشد صرحة وأكثر وقاحة ، يزعم أن الله سبحانه يظهر فى كل صورة ، وفى صور النساء : لبنى وبثينة وعزة ، فعليه لعنة الله .

وتظهر للعشــاق فى كل مظـــهر من اللبس فى أشكال حسن بديعة
ففى مـــرة لبنى وأخـــــرى بثينة وآونـــة تـــدعى بعـــزة عـــزت
ولسن ســـواها لا ولكـن غيرهـا وما إن لها فى حسنها من شريكة ([4])

هذا غيض من فيض ، ونقطة من بحر إلحاد وكفر ابن الفارض ، الذى يتغنى ياسين التهامى بقصائه إلى الآن ، ومن خلفه جميع الصوفية ، جهلة العصر ، ودواب الزمان.

" هذه هى حقيقة الصوفية ، وهذا حجم ضلالها وانحرافها ،" لقد كفرت الصابئة؛ لأنهم عبدوا الكواكب ، وكفرت اليهود ؛ لأنهم عبدوا العجل ، وكفرت النصارى ؛ لأنهم عبدوا ثلاثة أقانيم ، وكفرت الجاهلية ؛ لأنهم عبدوا أصناما أقاموها لمن مات من أوليائهم ، لتكون مقصد الرجاء ، ومطاف الآمال ، كما كان أصحابها ، وهم ناعمون بالحياة . فماذا تقول فى الصوفية ، أو بماذا تحكم عليها ، وهى تدعوا إلى عبادة كل شىء ؟!...إن الصوفية استمدت من كل كفر ، ودانت بكل ما دان به الكافرون من قبل فكانت هى وحدها تاريخ الوثنية كلها ، وحمأتها منذ ابتدعها إبليس ليضل الكافرين؟!([5])

وأكتفى بهذا النقل كمثال لعقيدة وحدة الوجود عند الصوفية ، فقولهم تعافه الفطرة وتشمئز منه النفوس ، وما أردنا إلا البيان ، أن القوم يصفون الخالق بصفات المخلوق ، وأنهم يدندون فى أذكارهم وأدعيتهم حول هذا المعنى والعياذ بالله .



[1] ـ المصدر السابق : ٦٤
[2] ـ المصدر السابق : ٣٥
[3] ـ المصدر السابق : ٤٠
[4] ـ المصدر السبق : ٤١
5- هذه هى الصوفية : ٨٥ـ ٨٦

من اعتقد أن السحرة ، أو الكهنة ، أو العرافون يعلمون الغيب :

إفراد الله بعلم الغيب ، مسألة من مسائل توحيد الأسماء والصفات ، والقول بأن غير الله يعلم الغيب ، شرك فى الصفات الإلهية .
وهذه صورة أخرى من صور الشرك فى الأسماء والصفات ، ووصف المخلوق بصفات الخالق سبحانه ؛ وهى صورة من اعتقد أن الساحر أو الكاهن أو العراف يعلم الغيب ، غير ما ذكرنا من وصف الشيعة للأئمة ، والصوفية للأولياء ، بعلمهم الغيب .

عن صفية عن بعض أزواج النبى ﷺ عن النبى ﷺ قال : من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ".([1])
وعن أبى هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : " من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد".([2])
قال الشيخ ابن العثيمين : " كفر بما أنزل على محمد ". وجه ذلك : أن ما أنزل على محمد قال الله تعالى فيه: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] . وهذا من أقوى طرق الحصر، لأن فيه النفي والإثبات، فالذي يصدق الكاهن في علم الغيب وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله، فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً من الملة، وإن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب، فكفره كفر دون كفر.([3])

وقال تعالى:﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام :٥٩].
قال القرطبى : " فالله تعالى عنده علم الغيب ، وبيده الطرق الموصّلة إليه ، لا يملكها إلا هو ، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه ،ومن شاء حجبه عنها حجبه . ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغيب وَلَكِنَّ الله يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ ﴾ ؛ وقال:﴿ عَالِمُ الغيب فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً*إِلاَّ مَنِ ارتضى مِن رَّسُولٍ ﴾...... قال علماؤنا : أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آيةٍ من كتابه إلا من اصطفى من عباده . فمن قال : إنه ينزّل الغَيْث غدا وجزم فهو كافر ، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا.وكذلك من قال : إنه يعلم ما فى الرحم فهو كافر .... وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر . أوأخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضا "([4])

---

1 - رواه مسلم : كتاب السلام (باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان) ص : ١١٢٧ ح :٢٢٣٠.
[2] - رواه أبى داود فى سننه : كتاب الطب (باب فى الكاهن) ص: ٦٤٦ ح : ٣٩٠٣
ورواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة : ٦٢٧/٢ ح : ١٠١٧٧.
وصححه الألبانى فى الصحيحة ح : ٣٣٨٧
[3] - القول المفيد :٥١٦
[4] - تفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم : ٨ / ٤٠٢- ٤٠٣ ، أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبى . ط / مؤسسة الرسالة

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥]
قال القرطبى: " وقالت عائشة : من زعم أن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية؛ والله تعالى يقول:﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السماوات والأرض الغيب إلاَّ الله ﴾ خرجه مسلم . وروي أنه دخل على الحجاج منجّم فاعتقله الحجاج ، ثم أخذ حصيات فعدّهن ، ثم قال : كم في يدي من حصاة؟ فحسب المنجم ثم قال: كذا؛ فأصاب . ثم اعتقله فأخذ حصيات لم يعدهن فقال : كم في يدي؟ فحسب فأخطأ ثم حسب فأخطأ؛ ثم قال : أيها الأمير أظنك لا تعرف عددها؛ قال : لا . قال : فإني لا أصيب . قال : فما الفرق؟ قال : إن ذلك أحصيته فخرج عن حدّ الغيب ، وهذا لم تحصه فهو غيب و﴿ لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السماوات والأرض الغيب إلاَّ الله ﴾ "([1])

وقال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧]
وزعم الرازى أن غير الرسل يطلع على الغيب وقد رده أبو حيان فى ذلك قائلاً:
" قال أبو عبد الله الرازي : واعلم أنه لا بد من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لا يطلع أحد على شيء من المغيبات إلا الرسل - عليهم الصلاة والسلام - والذي يدل عليه وجوه ، أحدها : أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقاً وسطيحاً كانا كاهنين يخبران بظهور محمد ﷺ قبل زمان ظهوره ، وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع إليهما كسرى في تعرف أخبار رسولنا ﷺ
وثانيها : إطباق الأمم على صحة علم التعبير ، فيخبر المعبر عن ما يأتي في المستقبل ويكون صادقاً .
وثالثها : أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد إلى خراسان سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها ووقعت على وفق كلامها ، فقد رأيت أناساً محققين في علوم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء على سبيل التفصيل وجاءت كذلك ، وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر في شرح حالها في كتاب التعبير وقال : فحصتُ عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات أخباراً مطابقة موافقة .
ورابعها : أنا نشاهد أصحاب الإلهامات الصادقة ، ليس هذا مختصاً بالأولياء فقد يوجد في السحرة وفي الأحكام النجومية ما يوافق الصدق ، وإن كان الكذب يقع منهم كثيراً . وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً ، فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر إلى الطعن فى القرآن ، وذلك باطل ،. فقلنا: إن التأويل الصحيح ما ذكرناه انتهى . وفيه بعض تلخيص . وإنما أوردنا كلام هذا الرجل في هذه المسألة لننظر فيما ذكر من تلك الوجوه.
أما قصة شقا وسطيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب لأنه مما يخبر به رئي الكهان من الشياطين مسترقة السمع ، كما جاء في الحديث : " إنهم يسمعون الكلمة ويكذبون ويلقون إلى الكهنة ويزيد الكهنة للكلمة مائة كذبة " وليس هذا من علم

[1] ـ تفسير القرطبى : ١٦/ ١٩٧

الغيب ، إذ تكلمت به الملائكة ، وتلقفها الجني ، وتلقفها منه الكاهن، فالكاهن لم يعلم الغيب .
وأما تعبير المنامات ، فالمعبر غير المعصوم لا يعبر بذلك على سبيل البت والقطع ، بل على سبيل الحزر والتخمين ، وقد يقع ما يعبر به وقد لا يقع .
وأما الكاهنة البغدادية وما حكي عنها فحسبه عقلاً أن يستدل بأحوال امرأة لم يشاهدها ، ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يجوز أنه لبس عليه هذا ، وهو العالم المصنف الذي طبق ذكره الآفاق ، وهو الذي شكك في دلائل الفلاسفة وسامهم الخسف .
وأما حكايته عن صاحب المعتبر ، فهو يهودي أظهر إسلامه وهو منتحل طريقة الفلاسفة . وأما مشاهدته أصحاب الإلهامات الصادقة ، فلي من العمر نحو من ثلاث وسبعين سنة أصحب العلماء وأتردد إلى من ينتمي إلى الصلاح ، فلم أر أحداً منهم صاحب إلهام صادق .
وأما الكرامات ، فلا أشك في صدور شيء منها ، لكن ذلك على سبيل الندرة ، وذلك في من سلف من صلحاء هذه الأمة ؛ وربما يكون في أعصارنا من تصدر منه الكرامات ، ولله تعالى أن يخص من شاء بما شاء والله الموفق"([1])

تأمل رد أبى حيان على الرازى وآخر كلامه أنه لو حدث لولى كشف إنما يكون على سبيل الندرة .
بخلاف دجاجلة المتصوفين الذى يزعمون قراءة اللوح المحفوظ وكشف الحجب عنهم .
وها هو الإمام البقاعى يذكر لك الآن أن الخبر بمجرد ظهوره للرسول من الملائكة يخرج عن كونه غيباً وبعدها يوحيه الملك للرسول من الإنس وحياً أو للولى إلهاماً .

وقال البقاعى: " ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ أى كله وهو لم يبرز إلى عالم الشهادة فهو مختص سبحانه بعلمه ، فلذلك سبب عنه قوله : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت من الأوقات ﴿عَلَى غَيْبِهِ ﴾ أى : الذى غيبه عن غيره فهو مختص به ﴿ أَحَدًا ﴾ لعزة علم الغيب ولأنه خاصة الملك .
ولما كان لا يعلم الغيب إلا ببروزه إلى عالم الشهادة ، وكان لأول من يطلع عليه شرف ينبغى أن يعرف له قال : ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى ﴾ أى عمل الله تعالى فى كونه رضى عمل من يتعمد ذلك ويجتهد فيه ، وبين ﴿ مِنْ ﴾ بقوله :﴿ مِنْ رَسُولٍ ﴾ أي من الملائكة ومن الناس فإنه يظهر عليه ذلك المرتضى الموصوف لا كل مرتضى..... وتارة يكون ذلك الرسول ملكاً ، وتارة يكون بشراً يكلمه الله بغير واسطة كموسى عليه السلام في أيام المناجاة ، ومحمد ﷺ ليلة المعراج في العالم الأعلى في حضرة قاب قوسين أو أدنى ، وإذا ظهر عليه الرسول خرج عن كونه غيباً ، وأوصله الرسول إلى من أذن له في إيصاله له تارة بالوحي للأنبياء وتارة بالنفث والإلهام للأولياء ، ....وربما كان النفث شيطانياً بما تلقته الشياطين من الاستراقات

[1]- تفسير البحر المحيط :٨/ ٣٤٨-٣٤٩ ، محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى .
ط / دار الكتب العلمية

من الملائكة إما من الأرض بعد نزولهم أو من السماء بالاستراق فيها - والله أعلم " ([1])

وتأمل قول الإمام البقاعى أيضاً:" وربما كان النفث شيطانياً بما تلقته الشياطين من الإستراقات من الملائكة " فلا ينبغى الجزم بصحة الإلهام أيضاً لأن الولى غير معصوم وكثيراً ما يلبس الشيطان على الناس فى هذا الأمر فيظن الرجل أنه بلغ درجة الكشف ورفع عنه الحجاب مع فساد حاله وسوء اعتقاده .

وبذلك يظهر كذب المتصوفين الذين يزعمون الإطلاع على الغيب ، وعلى اللوح المحفوظ .

و يتبين أن من زعم علم الغيب فهو كاذب فى زعمه ولا يعد من المسلمين أصلاً فضلاً عن كونه من أولياء الله الصالحين .

وكل من زعم أن أحدا يسمع كسمع الله أو يبصر كبصر الله ، أو يقدر كقدرة الله ، فهو مشرك فى الأسماء والصفات ، الشرك الأكبر ، وذلك لوصفه للمخلوق بصفات الخالق .



[1] - تفسير نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور : ٢٩ / ٥٠٠- ٥٠٢ ، برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى . ط / دار الكتاب الإسلامى .

خامسا : التعطيل :

والتعطيل هو : نفى جميع الصفات أو بعضها ، نفيا كاملا ، أو نفى المعنى الحق الذى دلت عليه الصفة ، كأن يقول إن الله سميع بلا سمع ، عليم بلا علم !

ومنهم من يجعل الأسماء كلها شيء واحد ، ومنهم من يقول السمع غيرالعلم ولكنها ليس لها معنى .

أو ينفى النقضين ، فيقول : لا سميع ولا ليس بسميع ، لا بصير ولا ليس ببصير ، لا عليم ولا ليس بعليم .....

ومنه تعطيل الجهمية ، والمعتزلة ، والفلاسفة ، والباطنية ، والصوفية ، والبهائية :

أما الجهمية : فإنهم لا يثبتون اسماً ولا صفة ولا فعلا لله ﷻ.

وقائدهم الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم ، والجعد هو من أظهر هذا الاعتقاد علانية ، فكفره أهل زمانه من التابعين وقتله خالد بن عبد الله القسرى على زندقته .

وقد حكم العلماء على الجهمية ، ومن عطل الصفات بالكفر.

قال الدارمى فيهم : " وقال الله تبارك وتعالى :﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل:٤٠] . وقال هؤلاء : ما قال لشيء قط قولا وكلاما : كن فكان ، ولا يقوله أبدا ، ولم يخرج منه كلام قط ، ولا يخرج ، ولا هو يقدر على الكلام في دعواهم ، فالصنم في دعواهم والرحمن بمنزلة واحدة في الكلام ، فأي كفر أوضح من هذا .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[المائدة : ٦٤] .

و﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص:٧٥]. و{بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]. وقال:﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[الفتح:١٠] .

قال هؤلاء : ليس لله يد ، وما خلق آدم بيديه ، إنما يداه نعمتاه ورزقاه . فادعوا في يدي الله أوحش مما ادعته اليهود ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[المائدة:٦٤]

وقالت الجهمية : يد الله مخلوقة ، لأن النعم والأرزاق مخلوقة لا شك فيها ، وذاك محال في كلام العرب فضلا أن يكون كفرًا ؛ لأنه يستحيل أن يقال : خلق آدم بنعمته ، ويستحيل أن يقال : في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦] : بنعمتك الخير ؛ لأن الخير نفسه هو النعم نفسها ، ومستحيل أن يقال في قول الله ﷻ : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح :١٠] : نعمة الله فوق أيديهم ، وإنما ذكرنا هاهنا اليد مع ذكر الأيدي في المبايعة بالأيدي ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[الفتح:١٠]. ويستحيل أن يقال : ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤] : نعمتاه ، فكأن ليس له إلا نعمتان مبسوطتان ، لا تحصى نعمه ، ولا تستدرك ، فلذلك قلنا : إن هذا التأويل محال من الكلام فضلا أن يكون كفرا .

ونكفرهم أيضا بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجها ولا سمعا ولا بصرا ولا علما ولا كلاما ولا صفة إلا بتأويل ضلال ، افتضحوا وتبينت عوراتهم ، يقولون : سمعه وبصره وعلمه وكلامه بمعنى واحد ، وهو بنفسه في كل مكان ، وفي كل بيت مغلق ، وصندوق مقفل ، قد أحاطت به في دعواهم حيطانهم

وأغلاقها وأقفالها ، فإلى الله نبرأ من إله هذه صفته ، وهذا أيضا مذهب واضح في إكفارهم .
ونكفرهم أيضا أنهم لا يدرون أين الله ، ولا يصفونه بأين ، والله قد وصف نفسه بأين فقال : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥].﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام:١٨] . و﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] . و{ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [النحل:٥٠] . ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [الملك:١٦] . ونحو هذا ، فهذا كله وصف بأين ، ووصفه رسول الله ﷺ بأين ، فقال للأمة السوداء : " أين الله ؟ " فقالت : في السماء ، قال : " من أنا ؟ " قالت : أنت رسول الله قال : " أعتقها فإنها مؤمنة " (١) ، والجهمية تكفر به ، وهذا أيضا من واضح كفرهم ، والقرآن كله ينطق بالرد عليهم ، وهم يعلمون ذلك ، أو بعضهم ، ولكن يكابرون ويغالطون الضعفاء ، وقد علموا أنه ليس من حجة أنقض لدعواهم من القرآن ، غير أنهم لا يجدون إلى رفع الأصل سبيلا مخافة القتل والفضيحة ، وهم عند أنفسهم بما وصف الله به فيه نفسه جاحدون . قد ناظرنا بعض كبرائهم ، وسمعنا ذلك منهم منصوصا مفسرا . ويقصدون أيضا بعبادتهم إلى إله تحت الأرض السفلى ، وعلى ظهر الأرض العليا ، ودون السماء السابعة العليا ، وإله المصلين من المؤمنين الذين يقصدون إليه بعبادتهم : الرحمن الذي فوق السماء السابعة العليا ، وعلى عرشه العظيم استوى ، وله الأسماء الحسنى ، تبارك اسمه وتعالى ، فأي كفر أوضح مما حكيناه عنهم من سوء مذاهبهم " (٢)

قال الإمام أحمد : " إذا أردت أن تعرف أن الجهمى كاذب على الله حين زعم أنه فى كل مكان ولا يكون فى مكان دون مكان ، فقل له : أليس كان الله ولا شىء ، فحين خلق الشىء خلقه فى نفسه أو خارجا من نفسه ؟ فإن قال : خلقه فى نفسه كفر وإن قال : خلقه خارجا من نفسه ثم دخل فيهم كان أيضا كُفر ، حين دخل فى مكان وحيز بل وحُشٍّ ، وإن قال : خلقهم خارجا من نفسه ولم يدخل فيهم ؛ رجع عن قوله وهو قول أهل السنة "(٣)

" وقال حماد بن زيد عن الجهمية : إنما يدورون على أن يقولوا ليس فى السماء إله.
وقال جرير بن عبد الحميد : كلام الجهمية أوله عسل ، وآخره سم . وإنما يحاولون أن يقولوا ليس فى السماء إله " (٤)

" عن أبى مطيع الحكم بن عبد الله البلخى صاحب " الفقه الأكبر" قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربى فى السماء أو فى الأرض . فقال : قد كفر ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] وعرشه فوق سمواته . فقلت : إنه يقول : أقول على العرش استوى ، ولكن قال لا يدرى العرش فى السماء أو فى الأرض . قال : إذا لأنكر أنه فى السماء فقد كفر "

---

1 - سبق تخريجه
2 - الرد على الجهمية : ١٧٣ - ١٧٦ ، الإمام عثمان بن سعيد الدارمى . ط / الدار السلفية
3 - إبطال التأويلات : ٤٤٤/٢
4 - الأربعين فى صفات رب العالمين : ٥٩-٦٠

وعن ميمون بن يحيى البكرى قال قال مالك : " من قال القرآن مخلوق يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه "([1])

" قال أبى معمر الهذلى : من زعم أن الله لا يتكلم ولا يبصر ولا يسمع ولا يعجب ولا يضحك ولا يغضب ، وذكر أحاديث الصفات ، فهو كافر بالله ، ومن رأيتموه على بئر واقف فألقوه فيها ....
قال يزيد بن هارون : من كذب بأحاديث الصفات فهو برىء من الله والله منه برىء" ([2])

والمعتزلة معطلة كالجهمية ، ولم تأويلات باطلة : " قال أيوب السختيانى – وذكر المعتزلة – وقال : إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس فى السماء شىء "([3])

والفلاسفة أيضا يجحدون صفات الله : فيقولون أنه ليس له ذاتا ولا اسما ، ولا صفة ولا فعلا ، إنما هو وجود مطلق ، بدون أى تقييدات . أى : واجب الوجود . ومن أشهرهم ابن سيناء والفارابى .
ومنه تعطيل غلاة الصوفية : مثل ابن عربى ، وابن الفارض وغيرهم ، زعموا أن الله كان بغير صفة ولا اسم ، ثم صار إلى ما يعرف عندهم " الحقيقة المحمدية " وقد ذكرنا أقوالهم فيها .
ومنه تعطيل الباطنية ([4]) : وهم نفاة النقيضين ، ينفون عن الله سبحانه كل صفة من صفاته وضدها ، " فقالوا فى البارى تعالى : إنا لا نقول : هو موجود ، ولا :لا موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك جميع الصفات ".(5)
فإذا كان الله عندهم لا حى ولا ميت ، ولا باقى ولا فانى ، ولا موجود ولا لا موجود فالرب عندهم مستحيل وعدم ، وهذا اعتقاهم ولا شك ، لكنهم لا يصرحون بهذا .
والذى يوصف بصفات الله عند القوم هو "الإمام" .
وقد رأيناهم فى وسائل الإعلام يصلون لحاكمهم ، وهم يقولون : لا إله إلا بشار . لعنهم الله .

---

1 - العلو للذهبى : ١٤٠
2 - إبطال التأويلات :٥٤
3 - العلو للذهبى : ١٢٩
4- من فرق الباطنية :الفاطميين ، وهم بنو عبيد القداح فى الحقيقة . وكان يهوديا وانتسب إلى الإسلام ، وهذه الدولة الخبيثة احتلت مصر والشام والحجاز مدة طويلة ، ومنها اليوم الإسماعيلية فى أفغانستان والهند ، يعتقدون استحالة وجود الرب ويأخذ صفاته عندهم الإمام ، ولذلك يقول شاعر المعز لدين الله الفاطمى :
احكم ما شئت لا ما شاءت الأقدار *** احكم فأنت الواحد القهار.
ومن الباطنية أيضا فرقة الدروز فى لبنان ، والبهرة فى الهند ،وكذلك العلويون فى تركيا والشام ، وعداوتهم لأهل السنة شديدة جدا ، كما هو واضح فى إبادتهم لإخواننا فى سوريا على يد بشار الأسد – قتله الله – وتساندهم فى ذلك دولة إيران ، بكل قوة .
5- تنبيه الغبى إلى تكفير ابن عربى (مصرع التصوف) : ٣٤ ، العلامة برهان الدين البقاعى. تحقيق عبد الرحمن الوكيل . ط / دار الإيمان

البهائية :([1])
البهائية من الفرق القائلة بالتعطيل ، وبعقيدة الحلول أيضا، ومن أقوالهم فى التعطيل يقولون عن الله جل وعلا : " إنه حقيقة ربانية وكينونة صمدانية ، وهو سر فى ذاته ، وكنز مخزون فى صفاته ، مجرد بحث فى حقيقتة وهويته ، لا يوصف بوصف ، ولا يسمى باسم ، لم يزل كانت ذاته ولا تزال تكون ، مقدسة عن كل اسم ومنزهة عن كل وصف ، ليس لجواهر الأسماء فى ساحة قدسها طريق ، ولا للطائف الصفات فى ملكوت عزها سبيل".([2])

و" البهائية تقليدً للمتصوفة الجهلة ، والجهمية الاتحادية ،والحلولية يتفوهون بما تفوهوا من قبل بدون أن يعلموا الحق ويميزوه من الباطل ، فقولهم مسروق من القاشانى الصوفى حيث قال عن الله ﷻ :" هو من حيث مقدس عن النعوت والأسماء لا نعت له ولا رسم ولا اسم ".([3])
وقال المازندرانى أيضا عن الله ﷻ :" ثبت بالبرهان أنه لا يوصف بالأوصاف ، ولا يذكر بالأذكار"([4])
وقال فى الحلول:" إن الناس لا يبصرونه تعالى ولا يسمعونه بآذانهم ولا يعرفونه إلا إذا تجلى لهم فى هيكل مرئى ، وتكلم معهم بلغة بشرية " ([5])

والحاصل أن البهائية أحدى صور الشيعة والصوفية ، ذلك لأن الميرزا حسين مؤسسها " تلقى العلوم الشيعية والصوفية وهو صغير ، وكانت له معرفة واسعة وإلمام تام بالروايات الشيعية وكتبها ، وخاصة الكتب التى تروى عن المهدى والمهدوية ، كما كان مطلعا على الكتب الصوفية والباطنية والفلاسفة القدامى والفلسفة السوفسطائية ، القديمة .([6])

قلت: هذه بعض صور المعطلة ، ولسنا نقصد إحصاء القائلين بالتعطيل ، ولا التفصيل فى رد شبهاتهم ، ولكنا نقصد بيان ما التعطيل ، الذى يعتبر صورة من صور الشرك بالله فى الأسماء والصفات .

1- البهائية نسبة إلى مؤسسها " حسين على نور" الملقب ب"بهاء الله " ، وهى امتداد لفرقة "البابية" التى أسسها " ميرزا على محمد الشيرازى" ، وتسمية البابية مأخوذة من باب العلم المذكور فى الحديث المكذوب "أنا مدينة العلم وعلى بابها" .
ونحلة البهائية أساسها فكر شيعى ، تنقلت مع الدعوة الباطنية عبر التاريخ ، تزعمها أولا "أحمد الآحسائى "، وزميله "كاظم الرشتى" أصلهما قسيسان .، ومن أهم مبادئها : الحلول ، فهم يزعمون أن الله بعد ظهوره فى الأئمة الإثنى عشر ظهر فى أحمد الإحسائى ومن جاءوا بعده ، ومما يدل على ذلك أن شعارهم العام هو اللافتات المعلقة فى بيوتهم وعليها عبارة ياإلهى بهاء.(فتاوى علماء الأزهر فى البهائية والقاديانية : ٤٢،٤٢) بتصرف
2- مكاتيب عبد البهاء : ١٣٣ نقلا عن البهائية نقد وتحليل ، إحسان إلهى ظهير : ١٦٧ .
ط / دار الإمام المجدد .
3- شرح فصوص الحكم للقاشانى :١ ، نقلا عن البهائية نقد وتحليل : ١٦٨
4- إشراقات : ١١١ ، نقلا عن البهائية نقد وتحليل : ١٦٨
5- بهاء الله والعصر الجديد : ٢٠٩ ، نقلا عن البهائية نقد وتحليل : ١٦٨
6- البهائية نقد وتحليل : ١٤ بتصرف

فإذا رآه المسلم ، أو سمع من يدندن حوله ، عرف ضلاله ، واجتنبه .

وللأشعرية تأويل ، يخالف السلف ، غير أنه لا يخرجهم من الإسلام ، كالمعطلة ، وقد قال عنهم شيخ الإسلام : " وإن كان فى كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة مالا يوجد فى كلام عامة الطوائف ، فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث ، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة فى البلاد التى يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم "([1])

سادسا: التكييف :

وهو : أن يجعل لصفة الله كيفية معينة ، وإن لم يجعلها مماثلة للمخلوقين ، كأن يتوهم كيفية معينة لاستواء الله على عرشه ، أو نزوله للسماء الدنيا ... إلخ

سابعا : التفويض :

وهو : أن يقول لا نعلم معنى السمع لله ، ونفوض علم ذلك له ، وكذا البصر والغضب والرضا ..إلخ

فتستوى عنده كل الصفات ، فهو لا يفرق بين السمع والبصر ، ولا الرضا والغضب ، ولا اليد والوجه ، بل يقول عن ذلك كله ، علمه لله ، ونعرف المراد منه .

والحق أن معانى الصفات معلومة ، أما كيفيتها فيفوض علمها إلى الله ﷻ .

فنحن نعلم أن السمع معناه إدراك الصوت ، ولا نعلم كيف يسمع الله ، ونعلم أن البصر رؤية الأشياء ، ولا نعلم كيف يبصر الله .

ثامنا: التحريف :

وهو ثلاثة أقسام :

أ - تحريف لفظي يتغير معه المعنى ، كتحريف بعضهم قوله تعالى:

{ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً } [النساء : ١٦٤] .

إلى نصب لفظ الجلالة ؛ ليكون التكليم من موسى عليه السلام .

ب - تحريف معنوي : وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى " اليدين " المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك .

تاسعا : التأويل :

ويقصد به: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر.

كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالنعمة . وهذا هو الذي ذمه السلف .

---

[1] ـ نقض التأسيس : ٢/ ٨٧ ، نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة : ٧٠٢ـ٧٠٣ د. عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود . ط / مكتبة الرشد

حكم من نفى صفة من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة

من نفى صفات الله الثابتة فى الكتاب والسنة ، له ثلاث حالات ، ولكل حالة حكم مخصوص ، كما بينه شيخ الإسلام :

إن كان من أهل العلم والاجتهاد ، معروف باتباعة للسنة ، مجانبا لأهل البدع والأهواء ، فأخطأ ، لم يكفر ، وهو معذور .

أما المعاند ، المعرض عن الدليل ، هذا يكفر بنفيه للصفات ، بعد ما تبين له الحق.

والحكم الأخير ، على من تكلم بغير علم ، ولا يقصد نفى الصفات ، ولو ظهر له الحق قبله ، فهذا مذنب .

قال رحمه الله : " وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر ، بل يغفر له خطؤه .

ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين ـ فهو كافر .

ومن اتبع هواه ، وقصَّر في طلب الحق ، وتكلم بلا علم ـ فهو عاصٍ مذنب ، وقد يكون فاسقاً ، وقد تكون حسناته ترجح على سيئاته ؛ فالتكفير يختلف باختلاف حال الشخص ؛ فليس كل مخطيء ، ولا مبتدع ولا جاهل ، ولا ضال يكون كافراً ، بل ولا فاسقاً ، بل ولا عاصياً " ([1]).

هذا والله أسأل أن يجعله عملا صالحا ولوجهه خالصا ، وأن يكون هداية للراغبين حجة على المعاندين ، زخرا ليوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

سعيد رمضان بن على صالح

وكان الفراغ من تسطيره يوم الإثنين

السادس عشر من شهر رجب ١٤٣١هـ

الموافق

الثامن والعشرون من يونيه ٢٠١٠م



[1] ـ مجموع الفتاوى : ١٨٠/١٢

المراجع

١- القول السديد شرح كتاب التوحيد ، للإمام / محمد بن عبد الوهاب.
تأليف / عبد الرحمن بن ناصر السعدى . ط / دار الثبات
٢- القول المفيد فى شرح كتاب التوحيد . الشيخ صالح بن العثيمين ، ومعه فتح المجيد فى شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب . ط / دار المستقبل .
٣- العقيدة السفارينية ، محمد بن أحمد بن سالم السفارينى . ط / ابن الجوزى .
٤- العقيدة الواسطية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، شرح محمد خليل هراس .
ط / دار ابن الجوزى
٥- الطحاوية ، أبى جعفر الطحاوى الحنفى . ط / المكتب الإسلامى.
٦- الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد ، للإمام موفق الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة المقدسى ، شرح عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين .
ط / دار طيبة
٧- الأسماء والصفات ، شيخ اسلام ابن تيمية . ط / دار الكتب العلمية .
٨- التدمرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية . ط / العبيكان
٩- العبودية ، شيخ الإسلام ابن تيمية . ط / دار أضواء السلف .
١٠- الفتوى الحموية الكبرى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية .
ط / دار الأصمعى
١١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب أهل الجحيم .
شيخ الإسلام ابن تيمية . ط / مكتبة الرشد
١٢- اعتقاد الأئمة الأربعة ، محمد بن عبد الرحمن الخميس . ط / دار العاصمة .
١٣- إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، أبى يعلى محمد بن الحسين بن محمد ابن الفراء . ط / دار إيلاف الدولية
١٤- الأربعين فى صفات رب العالمين ، شمس الدين محمد بن عثمان الذهبى .
ط / مكتبة العلوم والحكم .
١٥- القائد إلى تصحيح العقائد ، العلامة عبد الرحمن المعلمى اليمانى .
ط / المكتب الإسلامى .
١٦- التكفير وضوابطه ، د . منقذ بن محمود السقار . ط / رابطة العالم الإسلامى
١٧- العلو للعلى الغفار فى إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ،الحافظ شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الذهبى . ط / أضواء السلف
١٨- أحكام أهل الذمة ، الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر ، ابن القيم .
ط / دار الحديث
١٩- إيضاح الدليل فى قطع حجج التعطيل ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة.
ط / دار إقرأ
٢٠- الأصول العلمية للدعوة السلفية ، عبد الرحمن عبد الخالق. ط / دار العقيدة .
٢١- الرد على الجهمية ، الإمام عثمان بن سعيد الدارمى . ط / الدار السلفية
٢٢- القضاء والقدر ، د / عمر سليمان الأشقر . ط / دار النفائس .

٢٣- البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء .
ط/ دار الغد العربى
٢٤- أعلام وأقزام فى ميزان الإسلام ، سيد بن حسين العفانى .
ط/ دار ماجد عسيرى ، السعودية - جدة
٢٥- آيات الله فى الكون ، د. محمد راتب النابلسى . ط / المكتبى .
٢٦- آيات الله فى الآفاق ، د . محمد راتب النابلسى . ط / المكتبى .
٢٧- آيات الله فى الإنسان ،د . محمد راتب النابلسى . ط / المكتبى .
٢٨- السلسلة الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألبانى . ط / المكتب الإسلامى
٢٩- السلسلة الضعيفة ، محمد ناصر الدين الألبانى . ط / المكتب الإسلامى
٣٠- البهائية نقد وتحليل ، إحسان إلهى ظهير. ط / دار الإمام المجدد
٣١- أسلمة الديمقراطية حقيقة أم وهم ، محمد شاكر الشريف ،
ط / دار طيبة بالرياض
٣٢- العلمانيون والإسلام ، محمد قطب . ط / دار الشروق .
٣٣- العلمانية وثمارها الخبيثة ، محمد شاكر الشريف . ط / دار الوطن
٣٤- الديمقراطية ونظريات الإصلاح فى الميزان ، سعيد عبد العظيم ،
ط / دار الإيمان
٣٥- المقاصد الحسنة ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي .
ط / مكتبة الخانجى
٣٦- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، محمد بن على بن محمد الشوكانى
ط / دار الكتب العلمية
٣٧- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية . ط/ التوفيقية
٣٨- أوراد أحمد بن إدريس . ط/ دار جوامع الكلم
٣٩- أوراد الطريقة البرهامية ، طبعة خاصة بأبناء عبد الله بلال (بدون ناشر)
٤٠- الحكومة الإسلامية ، آية الله الخمينى – الطبعة الثانية – شبكة الفكر على.
الأنترنت . http://alfeker.net/library.php?id=1244
٤١- أصول الكافى . محمد بن يعقوب الكلينى . ط / الفجر . بيروت ، لبنان
٤٢- الأنوار النعمانية . نعمة الله الجزائرى .ط / دار القارىء
٤٣- الإنسان الكامل فى معرفة الأوائل والأواخر ، عبد الكريم الجيلى .
ط / دار الكتب العلمية
٤٤- الإبريز من كلام عبد العزيز الدباغ ، أحمد بن المبارك السلجمانى المالكى .
ط / دار الكتب العلمية .
٤٥- الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية ، عبد الرؤوف المناوى .
ط / المكتبة الأزهرية
٤٦- انتكاسة المسلمين إلى الوثنية ، سيد محمود القمنى .ط / مؤسسة الانتشار العربى
٤٧- الطبقات الكبرى ، عبد الوهاب الشعرانى. ط / دار الفكر العربى
٤٨- إيقاظ الهمم فى شرح الحكم ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى .
ط / دار المعارف

٤٩- الأعمال الكاملة للحلاج ، قاسم محمد عباس . ط / مكتبة الإسكندرية
٥٠- أبو يزيد البسطامى " المجموعة الصوفية الكاملة " ، قاسم محمد عباس .
ط / دار الهدى
٥١- اللمع ، أبى نصر السراج الطوسى . ط / دار الكتب الحديثة .
٥٢- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية . ط / مكتبة الصفا
٥٣- تفسير ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء .
ط/ دار الفكر العرب
٥٤- تفسير الطبرى(جامع البيان فى تفسير القرآن) ،أبى جعفر محمد بن
جريربن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر . ط / دار المعرفة .
٥٥- تفسير تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان .
عبد الرحمن بن ناصرالسعدى . ط / دار ابن الجوزى
٥٦- تفسير البيضاوى(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ناصر الدين أبى سعيد
عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوي .
ط / الهيئة العامة لقصور الثقافة .
٥٧- تفسير أضواء البيان فى تفسير القرآن بالقرآن ،محمد الأمين الشنقيطي.
ط/ دار عالم الفوائد
٥٨- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن الكريم) .
أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبى . ط / مؤسسة الرسالة
٥٩- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى .
ط / دار الكتب العلمية .
٦٠- تفسير نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور .
برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى . ط / دار الكتاب الإسلامى .
٦١- تهذيب تسهيل العقيد الإسلامية ، أ . د عبد الله بن عبد العزيز الجبرين.
ط/ مكتبة مكة
٦٢- تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، للقس إنسلم تورميدا – سابقا-
(أبو عبد الله الترجمان) . ط / دار التوحيد للتراث
٦٣- تحذير الداعية من القصص الواهية ، على بن إبراهيم حشيش . ط / دار العقيدة
٦٤- تنبيه الغبى فى تكفير ابن عربى ، البقاعى (مصرع التصوف)
تحقيق عبد الرحمن الوكيل . ط / دار الإيمان
٦٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى
أبو الفيض ، الملقب بمرتضى الزبيدى . ط / المطبعة الخيرية
٦٦- جامع كرامات الأولياء ، يوسف بن إسماعيل النبهانى. ط/ المكتبة التوفيقية

٦٧- جامع شروح كشف الشبهات ، محمد بن إبراهيم آل الشيخ
محمد بن عبدالعزيز بن مانع ، محمد بن صالح العثيمين
صالح بن فوزان الفوزان . ط / دار ابن الجوزى
٦٨- جواهر المعانى وبلوغ الأمانى فى فيض أبى العباس التيجانى .

على حرازم بن العربى . ط / المطبعة المحمودية .
٦٩- حقيقة الإيمان ، د.عمر بن عبد العزيز قريش .ط / دار الهدى
٧٠- دراسات فى التصوف،إحسان إلهى ظهير . ط/ دار الإمام المجدد
٧١- ديوان ابن الفارض . ط / مكتبة الفجر الجديد
٧٢- رياض الصالحين ، يحيى بن شرف النووي أبو زكريا .
شرح محمد بن صالح العثيمين . ط / مكتبة الصفا
٧٣- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، عمر بن سعد الغوتى .
ط / المطبعة المحمودية .
٧٤- سنن أبى داود ، أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى .
ط / مكتبة أولاد الشيخ
٧٥- سنن الترمذى ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي .
أبو عيسى. ط / المكتبة الثقافية . بيروت - لبنان
٧٦- سنن ابن ماجه ، أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد .
ط / دار إحياء الكتب العربية
٧٧- شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .
الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية . ط / دار الحديث .
٧٨- شروط لا إله إلا الله. د/ محمود عبد الرازق الرضوانى. ط/ سلسبيل
٧٩- شرح السنة ، أبى محمد الحسن بن على بن خلف البربهارى .
شرح صالح الفوزان . ط / دار ابن حزم
٨٠- شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن ناصر السعدى .
عبد العزيز بن باز. ط/ دارالألبانى
٨١- شرح العقيدة الواسطية ، مجموعة علماء :محمد صالح العثيمين .
صالح الفوزان ،محمد خليل هراس ، ط دار ابن الجوزى
٨٢- شرح صلاة ابن بشيش ، أحمد بن عجيبة . ط / دار الرشاد الحديثة .
٨٣- شبهات التصوف ، د. عمر بن عبد العزيز . ط/ دار الهدى
٨٤- صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي .
ط / ابن حزم
٨٥- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري .
ط / دار ابن الجوزى
٨٦- صحيح سنن ابن ماجة ، محمد ناصر الدين الألبانى . ط / مكتبة المعارف
٨٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألبانى .
ط / المكتب الإسلامى
٨٨- صحيح سنن أبى داود ، محمد ناصر الدين الألبانى . ط / مكتبة المعارف
٨٩- صحيح سنن ابن ماجة ، محمد ناصر الدين الألبانى . ط / مكتبة المعارف
٩٠- صحيح مسلم ، شرح يحيى بن شرف النووي أبو زكريا . ط/ مكتبة الصفا
٩١- ضوابط تكفير المعين عند شيخى الإسلام : ابن تيمية وابن عبد الوهاب
وعلماء الدعوة الإصلاحية ، أبى العلا راشد بن أبى العلا الراشد .

٩٢- طبقات الشاذلية الكبرى ، زين على الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن .
ط / دار الكتب العلمية .
٩٣- عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية ، د . أحمد بن عبد العزيز القصير .
ط / مكتبة الرشد
٩٤- عيون المعجزات . حسين بن عبد الوهاب .
ط / مؤسسة بضعة المصطفى ﷺ لإحياء تراث أهل البيت
٩٥- عمدة التفسير ، الحافظ ابن كثير ، مختصر العلامة : أحمد شاكر .
ط / دار الوفاء
٩٦- فتح البارى شرح صحيح البخارى .
الإمام أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى . ط / دار مصر
٩٧- فتح المجيد مع القول المفيد فى شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن
ابن محمد بن عبد الوهاب ، محمد بن صالح العثيمين . ط / دار المستقبل
٩٨- فصوص الحكم ، محيى الدين ابن عربى ، بشرح عبد الرازق القاشانى .
ط / وزارة الثقافة .
٩٩- فتاوى أركان الإسلام ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين . ط / دار الثريا
١٠٠- فتاوى العقيدة . محمد بن صالح العثيمين . ط – مكتبة الإيمان .
١٠١- فتاوى الشبكة الإسلامية ، على الإنترنت
١٠٢- قانون الإيمان ، شنودة الثالث . ط / الكلية الإكلريكية .
١٠٣- فتوى بحرمة المشاركة فى الاستفتاء على الدستور .
الشيخ / أحمد عشوش . ط / مؤسسة البيان الإعلمية .
١٠٤- كشف الخفاء ،إسماعيل بن محمد العجلونى . ط / دار التراث
١٠٥- كشف الغطاء عن أهل البلاء ، صالح أحمد الشافعى محمد محمد
أبو خليل الكبير. طباعة كمبيوتر(غير منشور)
١٠٦- كتاب الصفات ، على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان
ابن دينار بن عبد الله أبو الحسن الدارقطنى . ط / ابن الجوزى
١٠٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري .
ط / دار المعارف
١٠٨- لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد ، الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسى.
شرح : محمد بن صالح العثيمين. ط/ الرحاب
١٠٩- لاهوت المسيح ، شنودة الثالث . ط / الكلية الإكلريكية للأقباط الأرثوزكس

١١٠- مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة ، الشيخ / عبد العزيز بن باز .
ط / دار القاسم .
١١١- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ / محمد بن صالح العثيمين . ط / دار الثريا .
١١٢- مسند الإمام أحمد،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن
أسد الشيبانى ط / دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان
١١٣- مذاهب فكرية فى الميزان ، د. علاء بكر. ط/ دار العقيدة
١١٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول فى علم الأصول .

حافظ بن أحمد الحكمى .ط / مكتبة الصفا
١١٥- مشارق أنوار اليقين فى أسرار أمير المؤمنين . الحافظ / رجب البرسى .
ط / مؤسسة الأعلمى للمطبوعات .
١١٦- مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام / أحمد بن تيمية . ط / خادم الحرمين
١١٧- معذرة إلى ربكم ، الشيخ / مصطفى العدوى . ط / دار ابن كثير
١١٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية .
ط / دار الكتب العلمية
١١٩- منهج ودراسات لآيات الصفات ، العلامة / محمد الأمين الشنقيطى .
ط / مكتبة السنة
١٢٠- موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود .
ط / مكتبة الرشد
١٢١- موقع اللجنة الدائمة للبحوث العلمية – السعودية – على شبكة الأنترنت .
١٢٢- مجموعة أوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ،عبد العزيز
أبو الخيرالبرهانى ط / دار الكتب الجامعية الحديثة
١٢٣- نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية ، أ.د / صلاح الصاوى .
ط / الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية .
١٢٤- نقض النظام الديمقراطى ، د . محمود الخالدى . ط / دار الجيل .
١٢٥- هذه هى الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل .ط/ دار الإيمان
١٢٦- لاهوت المسيح ، شنودة الثالث . ط / الكلية الإكلريكية

الفهرس

الفصل الأول:

الفصل الثانى :

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :